ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

حنطة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر

العدد 22 - تشرين الثاني 2014

لافتة نظري

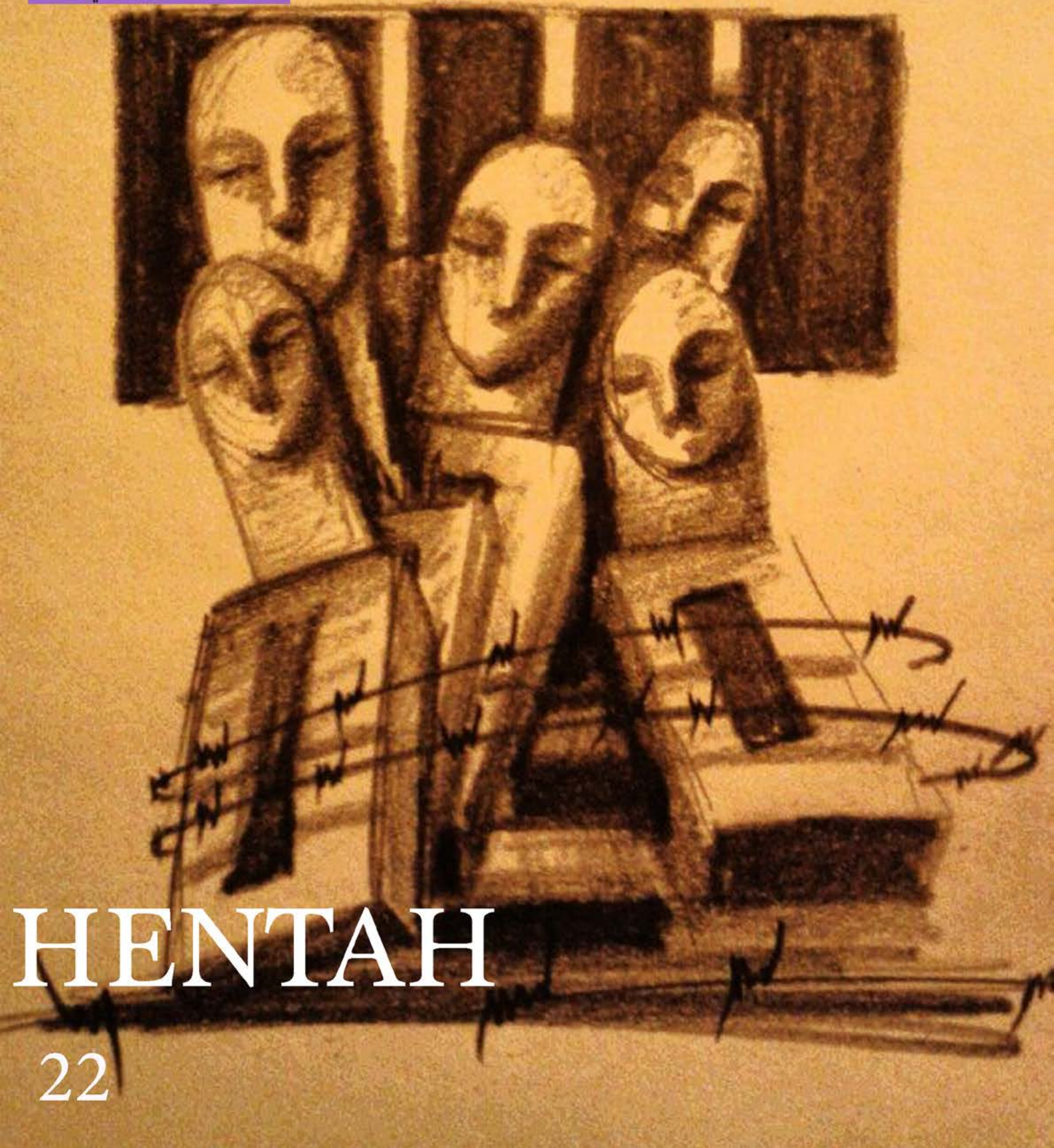

HENTAH

22

هيئة التحرير

رئيس التحرير : ناجي الجرف

مدير التحرير : بشرى جود

أمين التحرير: محمد فيصل الجرف

المدير الفني : بحر عبد الرزاق

الإخراج الصحفي : عمران الحلاق

فريق التحرير

ثـابت اسـماعيل

جـــمال حسـون

جـــنان عـلي

مصطفى تاج الدين الموسى

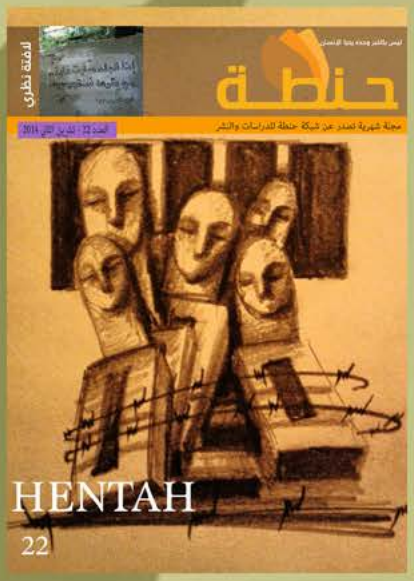

لوحة الغلاف: لوحة للفنان أنس سلامة

تقرؤون في هذا العدد

ع البيدر

لقاء مع الرياضي خالد الفرج ص(10)

عروة قنواتي

حديدة

الحب في زمن الحرب ص(14)

لينا الحكيم

حكايا البيدر

الغزو الثقافي والاحتلال البغيض ص(20)

عارف حمزة

جرن حنطة

الدّور التّركيّ في الثّورة: مصْلحة أم احْتضان؟ ص(25)

محمد الحلج

رحى

النظام والتنظيم في الميزان الخلدوني حلقة 1 ص(30)

د.عبد فراتي

حنطة حلب

أزمات الدولة الاسلامية ص(32)

ترجمة: روز الحمصي

خميرة

الاغتصاب والموروث الثقافي في أماكن النزاع ص(34)

د. سوسن جميل حسن

إن الآراء الواردة في مجلة حنطة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

www.hentah.com

hentah.magazine@gmail.com

رغيف أسمر

طرحت الأزمة السورية مشاكل عديدة، لم تكن ظاهرة فيما مضى، منها ما هو متعلق بإشكالات العيش المشترك بين جماعات متعددة ومختلفة إثنياً، ودينياً.

وبالطبع، فإننا لا نستطيع فصل سورية عن التاريخ المعاصر، هذا التاريخ الذي شهد انبعاث الهويات الجماعية بتعبيرات حادة وقاسية. وهي ربما كانت -في حدتها وقسوتها هاتين- تعبيراً عن مقاومة العولمة باسم الخصوصية الثقافية.

سورية غنية بتعددها، سواءً من حيث القوميات، أم من حيث الطوائف، وربما كان الحدث السوري الكبير فرصةً لإعادة التأمل في سورية، ودراستها من جديد: تاريخاً وسياسةً، علنا نصل إلى تلمس طريق المواطنة السورية المتساوية.

وأياً كان الأمر فليس هناك في تصورنا حلّ عقلاني لمشكلة التنوع والتعدد سوى بتحويله من نقمة إلى نعمة، سوى بقبوله كتنوع خلاق يُميز سورية ككل.

المسألة برأينا تكمن في «إدارة الوحدة ضمن التنوع»، وإدارة ما سيقرره الشعب السوري مستقبلاً في صيغة عقد اجتماعي جديد: هل نحافظ على شكل الدولة الحالي، أم نسير في اتجاه الإدارة الذاتية وصولاً إلى الفيدرالية؟

في دأبها على فتح الملفات الشائكة، وعدم الخوف من الخوض فيها، تفتح مجلة حنطة هذا الملف في عددها هذا.

لذا توجهنا إلى عدد من الأساتذة المفكرين والمهتمين بالشأن السوري، وطرحنا عليهم هذه المحاور:

١. في تعريف الثقافة، وفي تعريف التعددية الثقافية: هل هناك جماعات ثقافية فعلاً؟

٢. من وجهة نظرك ما هو مفهوم العيش المشترك، هل تصحّ التسمية؟ (على اعتبار أنّ العيش المشترك يُشير إلى أنّ هناك جماعات متناقضة ينبغي أن تتعايش مع بعضها).

٣. كيف يمكن للدولة- الأمة أن تتعامل مع تحدي التنوع الثقافي بين مكوناتها.

٤. عطفاً على المحور السابق، هل الشكل الراهن للدولة القومية ما زال صالحاً لحلّ مشاكل الاندماج والاختلاف بين مكونات المجتمع السوري؟

نأمل منكم إغنائنا بأرائكم، ونقاشاتكم.

وقد اختار أصدقاؤنا ممن شاركونا هذه الأسئلة، طريقتهم في الإجابة، فمنهم من أجابنا منفصلاً، ومنهم من أجمل الإجابات على شكل مادة متكاملة، ومنهم من اعتمد هذه الأسئلة كخلفية لمادته، وابتعد في إجابته المباشرة عنهم.

المشاركون في الملف مع حفظ الألقاب:

- عبدو نبي
- حسام ميرو
- سعيد محمد
- جديع نوفل
- زيدون الزعبي

جديع عبد الله نوفل (أبو سلام)

كن بخير أيها الشجاع...

الناشط الحقوقي جديع نوفل ٦٣ عاماً، المدير التنفيذي للمركز السوري للديمقراطية والحقوق المدنية الذي تأسس عام ٢٠١٢ لنشر وترسيخ ثقافة حقوق الإنسان، وأحد مؤسسي جمعية العمل المدني في سورية. اعتقل في ٢٠١٤-١٠-٣١ وذلك من الحدود السورية اللبنانية مع الصحفي عمر الشعار عندما كانا متجهين الى دمشق, بعد حضورهما ورشة عمل حول حقوق الإنسان في بيروت. نوفل هو ناشط في مجال حقوق الإنسان منذ سنة ١٩٨٩. كان من اوائل الذين أسسوا لجان الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات الديموقراطية في سوريا. سبق ان اعتقل في عام ١٩٩٢ بسبب نشاطه الحقوقي وبعد محاكمة صورية في محكمة أمن الدولة حكم بالسجن خمس سنوات مع الأشغال الشاقة.

إشْكالية العُنف في الثّقافة العربيّة الإسْلامية (عودٌ على بدْء)

عبْدو نَبي

تطبيق الحد على مواطن سوري من قبل متشددين

تقْرأ هَذه الأيّام في الصّحافة الغَرْبيّة مَقالات وتَحْليلات كَثيْرة حَوْل الجُذور العَقيْديّة والدّينيّة للإرْهَاب الإسْلاميّ الذي بَلَغ حَدّه الأقْصى في إمَارة الدّوْلة الإسْلاميّة التي أعْلنت دَوْلة الخلافَة، وتَمدّدتْ في مَنَاطق وَاسعَة منَ العِرَاق وسُورية، والفِكْرة السّائدَة في هَذه التّحْليلات هيَ تَفْسير الإرْهَاب الأصُوليّ بجذُورٍ مُبَاشرة في التّقْليد الإسْلاميّ مِنْ حَيْث المرْتكزات العَقْديّة والمعَايير الفَقْهيّة والقيْميّة، ممّا ينْتج عَنْه القَوْل إنّ التّشدّد والعُنْف لَيْسا منَ الانْحرَافات والانْشقَاقات عَن التّقْليد الدّينيّ، وإنّما هُما منْ صَلْب النّسَق الدّينيّ ومُتعلّقَاته الثّابتة، وهيَ مُرْتكزة عَلى الرّؤْية الكَوْنية الإسْلاميّة، واعْتمَادها إطَاراً تَصوّرياً مَنْهجيّاً جَديداً لإعَادَة صيَاغَة وبنَاء المنْظومة الأُصُولية الكلاسيكيّة.

ويَرى الدّكْتور يُوسف زيْدان أنّ «العَقيْدة» هي العَاملَ الذي يَنُوب عَن الدّين في تلْك الجَدليّة، لأنّ العَقيْدة كانَتْ وما تزَال هي مَيْدان التّنافُس/ الرّفْض للآخَر منْ مُنْطلق أنّ العَقيْدة هيَ العَاملُ الرّئيسُ في جَدليّة العُنْف والسّياسَة والدّيْن.

وحيْنَ النّظَر إلى الجَانب الأيْديولوجيّ والفِكْري، نَجدُ أنّ أفْكار هَذا التّنْظيم مُنْبثقة منْ ميْراثٍ فقْهيّ تَاريخيّ، وخطَابٍ ثَقافيّ مُتَداول يقُوم عَلى مَنْطق عَدَم الاعْتراف بالتّعدديّة السّياسيّة والطّائفيّة والدّينيّة، وتَكْفير أوْ تَخْوين وتَضْليل المخَالف في الرّأي، أيْ ثَقافة أُحَاديةَ الجَانبِ، سُلْطوية.

هُنا يُصْبح تَبرّأ المثقّفين والوعّاظِ والسّياسيّين والتّيار العَام في الشّارع العَربيّ والإسْلاميّ منْ هَذا التّيار المتَوحّش خيَاراً مَوْضوعيّاً صَائباً (إنْ حَصَل) تعْبيراً عنْ المدى الذي يُمْكن أنْ تَصلَ إليْه الاخْتياراتُ السّياسيّة والأخْلاقيّة والثّقافيّة والمجْتمعيّة.

والتّاريخُ الإسْلاميّ مَليءٌ بالكَثيْر منَ الأمْثلة عمّا حَصَل في فتْرة مَا سُميّ حيْنَها بالفُتُوحات الإسْلاميّة تلْك الفُتوحَات التي اعْتدُيَ فيْها عَلى أقْوامٍ وبُلْدانٍ أُخْرى تَحْت مُسمّى نَشْر الإسْلام، والتي كانَ مُحرّكها الحَقيْقيّ، بالإضَافة للرّغْبة في نَشْر الدّين الجَديْد، الأطْماعُ المادّيةُ في الاسْتيْلاء عَلَى مَزيدٍ منَ الأرْض وإرْغام شُعوبِها عَلى الخُضوع والتّبعيّة، وكَذلك سَبْي نِسائِهم ونِكاحَهنّ! وهَذا هو مَا يفْعله حاليّاً تَنْظيم الدّولة الإسْلاميّة وغَيْره في العرَاق وسُورية، منْ قتْل الرّجال، وسَبْي النّساء وبيْعهنّ في سُوق النّخاسة، فَهَل يَصحّ أنْ نَلومَ تَنْظيم الدّولة الإسْلاميّة فقَط، ونُخْرجه منَ الإسْلام دونَ أنْ نلومَ تَاريْخنا ومَوْروثَنا ومنْ سَبَقنا لتلْك الأفْعال.

منَ المعْلوم أنَ السّلفيّة تُوصَف بالتّشدّد في مَجَال العَقيْدة، لا سيّما مَا يَتعلّق بالتّوْحيد والشّرْك، وكَذلك مَا يَتعلّق بآيَات وأحَاديث الصّفَات، وكثيْراً مَا يَغْلب عَليْهم الحَرْفيّة والجُمود في مَجَال الفَقْه والاستنْبَاط، وإذَا أُضيْف- إلى هَذا التّشدّد والحَرْفيّة والجُمُود- الجَانبُ العَسْكريّ، أو جَانبُ القُوّة والعُنْف أصْبحت هَذه السّلفيّة تُمثّل خَطراً مُزْدوجاً: خَطرٌ فكْريٌ من جانب، وخَطرٌ وجوديّ منْ جانبٍ آخَر.

ومن أهمّ سمَات الفِكْر «الجِهاديّ» أنّه جَاء كَردّ فعْل سَلْبيّ لحَالَة الإحْبَاط واليَأس التي يَعيْشُها المسْلمون، ولذَا فَهُو يَنْدفع منْ خلالِ أعْمال إرْهابيّة غَيْر مَسْؤولة، أوْ غيْر أخْلاقيّة لمحَاربة الكُفّار، بغضّ النّظر عنْ نَتائج هَذه الأعْمال.

فالفكْرُ الإسْلاميّ أنْتج تَشْريعه ومَنْظوره الفقْهيّ ضمْن مُعْطيات عَصْره، وكانَت الوَسَائل منْ طَبيْعة العَصْر، فأدواتُ: السّيْف والسّكين والرّمْح وغَيْرها، هيَ سلاحُ ذَاك الزّمَان، لكنّ العَقْل الإسْلاميّ الجهَاديّ المتثبّت عَلى المَاضي، والذي يَجْعل قيَمهُ مثَالاً مُسْتقبليّاً، والمتوسّل بالمقدّس لإشْبَاع كلّ غَرَائز المَوْت لَديْه، أَرَاد أنْ يَتوسّل هَذه الأدَوات أيْضاً، فَمنْ جهةٍ، تُظْهره مُتَمسّكاً بالمَاضي عَبْر تَوسّل أدَواته، ويُضيف يحْيى الأمَيْر أنّ «الإرْهاب هُو نتَاجٌ مُتدرّجٌ لسنيْنٍ منَ النّشَاط والحُضُور الفقْهيّ الذي اسْتطاعَت أنْ تُمثّله تلْك الأصْوات التّقْليديّة، ونتَاجاً مُتدرّجاً أيْضاً لسَنَواتٍ منَ التّنْظير الدّيْني المتشدّد والمتعصّب الذي مَلأ مَسَاحات وَاسعة في مُخْتلف أرْجاء العَالَم الإسْلاميّ».

إنّ هَذه الخَلْفية التّاريخيّة الخَاصّة، جَعَلت الإسْلامَ يُؤكّد على وَاجب أسْلمة العَالَم، ويُؤكّد حَتْمية النّصْر النّهائيّ للإسْلام في نهَايَة العَالَم عبْر طَرْح فِكْرة الجهَاد المسْتمرّ تبْريراً لعَقْلية الغَزْو البَدويّ، وهَذا مَا يُرسّخ لَدى المسْلمين عَقْليةً تُبرّر الفعْلَ الجهَاديّ مَهْما اكْتسبَ منْ عُنْف.

إنّ الأرْضية الثّقافية المنْتجة للعُنْف مَازالَتْ رَاسخَةً في الفكْر العَربيّ الإسْلاميّ كَوْن النصّ المقدّس خَالقاً مَعْرفياً للفَرْد المسْلم في كلّ زَمَان، هَذا النصّ يَسْمح للعُنْف بإعَادَة تَجْديد نفْسه وُفْق آليّات التّكْرار والنّسْخ، إذْ يَسْتحيل إلْغَاء

النصّ المقدّس بالقانون الدّنْيويّ، كَوْنه نصّاً سَماوياً فَوْق تَاريخيّ، وهَذا مَا يَجْعل جَمِيْع الحَرَكات الإسْلاميّة تُؤسّس عَلى المسْتوى المعْرِفيّ للعُنْف، وحتّى عنْدَما تَقوم بالتّدثّر بلبَاس الدّعْوة السّلْمية، ذَلك أنّ المنْظومة المعْرفيّة للعُنْف المقدّس تَحوز عَلى فَعاليّة كَبيْرة في النّفْسيّة الفَرْدية للمُسْلم، فالسّيْرورة التّاريخيّة للدّيانة الإسْلاميّة، ودُخولها في مَرْحلة صِراعٍ منْ أَجْل بَسْط سُلْطتها وسيَادَتها عَلى القَبَائل الحجَازيّة، ولاحِقاً -بَعْد وَفَاة النّبي مُحمّد ص- مَع تَوسّعها في الجَزيْرة العَربيّة والتّطورات المؤْضوعيّة التي سَمَحتْ بمُتابعة هَذا التّوسّع خَارج الجَزيْرة العَربيَة، كلّ ذَلك فَرَض عَلى الحَركة الإسْلاميّة صيَاغَة أيديولوجيا قتَاليّة تُنَاسب الظّروفَ التّاريخيّة بشَكْل وَثّق ارْتباط العُنْف بالمقدّس أَكْثر فأَكْثر بحَيْث بتْنا بَعْد التّصرفَات التي تَقُوم بهَا الجَمَاعات المتشدّدة والتّكْفيريّة، منْ جَزّ للرّؤُوس وسَبْي للنّساء، وكَأنّنا نَعيشُ تلْك الفَتْرة الإسْلاميّة الأُولى.

لنرَ المثاليْن التّالييْن:

الأوّل: عنْدَما خَاض المسْلمون أُوْلى مَعَاركهم الميْدانية مَع قُرَيْش في بَدْر، تُسجّل لَنَا روايةً عَن التّنْكيل بعَمْرو بن هشَام (أبو الحَكَم) المعْروف إسْلاميّاً بأبي جَهْل، وهُو أحَد اثْنيْن (الثّانيّ هو عُمر بن الخطّاب) تَمنّى النّبي مُحمّد منْ ربّه أنْ يَنْصر الإسْلامَ بهُما، لَقَد قُطِعت رجْلَه في المعْركة على يَد مُقَاتل مُسْلمٍ فَجاءَه مُقَاتل أخَر ووجّه إليْه ضَرْبة إضَافيّة، ولَمْ يَمُت الرّجل حتّى وَصَل إليْه عَبْد اللّه بن مَسْعود بَعْد انْتهاء المعَارك وكَانَ أبو الحَكَم بآخر رمَق، يَقُول ابْن مَسْعود إنّه اجْتزّ رَأْسه، ثُمّ جَاء مُحمّداً، فَألْقى الرّأس بيْن يَديْه.

لَقَد صَنَعت الذّاكرة الإسْلاميّة منْ هَذا الحَدث أُسْطورةً تَحْريضيةً عَلى العُنْف والقَتْل مُلاحظاً أنّ عَدَم تعْليق النّبي مُحمّد -ص- على قَطْع رَأْس الجَريح يَعْني مُوافَقة ضمْنيةً. كَمَا أنّ الآثار نقَلت إلَيْنا أنّ جبْريل قَدْ تَبسّم.

تَنْجم خُطورَة هَذه المسَالك منْ كَوْنها تَراجعاً عنْ القيَم التي كَانَت سَائدةً قبْل الإسْلام، والتي منَ المفْروض أنّ الإسْلام جَاء ليُكْملها، والأشدّ خَطَراً، أنّه عنْدَما جَاء النصّ المقدّس (قُرْآناً وَحَديثاً) يُسوّغ هَذه الانْتهاكَات بثّاً للثّقة، ولإرَاحَة ضَميْر المؤْمنيْن مثْلما تَروي كُتُب التّفَاسيْر منْ أنّ المسْلمين سَبوا يَوْم «أوْطَاس» نسَاءً مُتزوّجات، وأنّهم كَرهوا الوُقُوع عَليْهنّ، فلمّا اسْتَفتوا مُحمّداً -ص- بشَأْنهنّ، جَاءَت الآيَة «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ « (النساء: ٢٤). فَقَال أَحَد المسْلمين: «فاسْتحْللنا بها فُروجهنّ»، (أسباب النزول للواحدي وكذلك للسيوطي). أيْ شَرْعنتْ اغْتصَابهنّ.

وممّا سَاعَد عَلى انْتشار هَذا الجانب العُنْفيّ المتطرّف في عُصور الانْحطاط تَحوّل الفقْه أداةً إيديولوجيّة تَسْند الظّلْم والجُور والفُسوق، وغَدا فُقَهاء الظّلام شَريحةً منْ بِطانَة الحُكّام تُكفّر العَقْل والحِوار والمنَاظرة، واسْتتْبَعت أَدْلجة الدّين في سيَاقَات تاريخيّة مُخْتلفة رعَاية نَمَط الحُكْم السّلْطويّ في العَصْر الوَسيط.

وقَدْ أَشَار البَاحثُ وائل حلّاق في دراسَة مُهمّة حَوْل جُذور العُنْف الدّينيّ في الإسْلام، إلى أنّ أَحَد الأَسْباب الرّئيسة للإرْهَاب الإسْلاميّ انْحسار دَوْر الفَقيْه التّقْليديّ، والمنْظومة الفَقْهيّة الكلاسيكيّة التي كَانت تُوفّر العدّة التّأْويليّة للجَمَاعة، ممّا وَلّد حَالة اغْتراب حادّة عَمّقتْها المحَاولاتُ التّجْديديّة المأْدْلجة العَقيْمة والضّعيْفة علْميّاً، لتُصْبح منَ الشّرايِيْن المغذيّة للتّطرف الدّينيّ، بَدَلاً منْ أنْ تَكون منْ وَسَائل مُحَاربته.

فالطّابع الاعْتداليّ للدّين الإسْلاميّ، والذي لَطَالما اعْتزّ به المسْلمون، يَقف اليَوْم على المحكّ أَمَامَ هَذا الكمّ الهَائل والمرِيْع للعُنْف المسْتند إلى المؤْروث السّابق بحَيْث تَبْدو السّاحة مَفْتوحة أَمَام مُمْثلي الاتّجَاه السّلَفيّ في المضِيّ قُدماً بمَشْروعهم التّكْفيريّ وما يَتْبع منْ نَتَائج خَطيْرة على الإسْلام المحمّديّ ككل، في ذَلك يَقُول الدّكْتور حُسيْن مروّة في مُقدّمة مُؤلّفه «النّزعَات المادّية في الفَلْسفة العَربيّة الإسْلاميّة» إنّ السّلفيّة حتّى بإصْرَارها عَلى الالْتزام برُؤْية الحَاضر منْ خلَال المَاضي، إنّما هي في الوَاقع وجَوْهر الأَمْر، تَنْطلق منْ إصْرارٍ مُعَاكس لَه،إنّ السّلفييْن يَنْطلقون حَقيقةً منَ المؤْقع الذي يَحْتلونه في هَرَم البُنْية الاجتماعيّة الحَاضرة، أوْ لسَببٍ آخر يَتعلّق بتَكْوينهم الفكْريّ وغيَابِ الوَعْي السّياسيّ والطّبقيّ عَنْهم. تَقْصد بذَلك أنّ المضْمون الحَقيقيّ لرُؤْيتهم السّلفيّة إلى التّرَاث هُو مَضْمونٌ تَرْتبط جُذوره بالحَاضر و تَنْغرس في تُرْبة الحَاضر.

إنّ العَقْل الذي يَقْبل في القَرْن الحَادي والعشْرين سُرورَ جبْريل بسَببٍ منَ التّنْكيل بعدوّ جَريح، والذي يَدْعو إلى تَفْعيل حُكْم المرتدّ، لا لشَيْءٍ إلاّ لأنّ ذَلك ارْتبط بالمقدّس وجَرى اقْترافه على أَيْدي مَن يُنْتجون هَذا المقدّس، لَهُو عَقْل يَسْتسيغ قُبول كلّ فعْل، بمَا فيْه قُبول إبادَة البشَر.

فالعَقْل الذي يَدّعي الوَسطيّة، إذْ يَقْبل قتْل المرْتدّ، هُو عَقْل يَقْبل في صيْغته الأَشْرس مَبْدأ إبادَة أُمَم لمجرّد نزْعة التّشفيّ الإلهيّ، وحَيْث وَصَلتْ دَرَجة التّماهي مَع الجبّار المنْتقم الذي يَحْكم عَلى مُخالفيه بالإبادَة.

وللأَسَف، لَمْ يَتمكّن العَقْل العَربيّ الإسْلاميّ منْ تَمييْز أنّ العُنْف في مُجْتمعات تَمرّ بمَرَاحل تَطوّر كَبيْرة كَانَ أَمْراً مُنْسجماً مَع اللّحْظة الزّمنيّة المكَانيّة التي عَاشَها نَبيّ الإسْلام و خُلَفاؤه، فَقَام فُقَهاء الإسْلام بالتّقْنين للعُنْف ومَنْحه القَدَاسة، ولهَذا فإنّ النّصُوص المقدّسة التي لَدينا تَمْتاز بأَنّها نُصوصٌ سوّغَت هَذه العَمليّة التّاريخيّة، وإذْ صَار لَها قيمَة الثّبات، فإنّها أسّستْ لمنْهَج التّغيير بالسّيْف، فَأعْلن القُرْآن أنّ المسْلمين خَيْر أُمّة أُخْرجت للنّاس، لأنّهمْ يَأْمرون بالمعْروف وينْهون عَن المنْكر (آل عمران: ١١٠)، وبهَذا الإعْلان تمّ مَنْحهم صفَة الأُمّة المخْتارة، أُمّة اللّه.

بالمجْمل يَتميّز خطَاب الحَركة الإسْلاميّة السّياسيّ العَامّ بالعُنْف، كَمَا انْعكس هَذا السّلُوك أَيْضاً في أَشْكال التّعَامل اليَوْميّ، ومُحَاولة فَرْض لُغة السّيْف الذي عُرفَ اليَوْم اصْطلاحيّاً بالعُنْف المسْلح، وحَاول مُنظّروا هَذا الاتّجَاه العَنيْف دَاخل الحَركات الإسْلاميّة السّياسيّة، والسّلفيّة المعَاصرة الْتمَاس الأَسَاس التّاريخيّ التّشْريعيّ الفقْهيّ المسوّغ لاسْتخْدام العُنْف المسلّح من خلالِ التّفْسيْر والتّأْويل القَسْري للنّصوص الدّينيّة.

في النّهاية، لا يُمْكن اعْتبار كلّ مَا ذُكر حَالة منْ أنْوَاع الهُجُوم والتّحيّ عَلى الدّيْن الإسْلاميّ، بقَدْر مَا هُو عَمليّةٌ نقْدية لجَانبٍ مُظْلم في النصّ الدّينيّ الإسْلاميّ، نَجدُ تَشظّياته في عَصْرنا الرّاهن، وهُو أَمْرٌ لا تَخْلو منْه الدّيانتيْن اليهُوديّة والمسيحيّة، إذْ في الوَقْت الذي اسْتَطاع الأُوربيّون أنْ يَتَجاوزوا ذَاكَ المؤْروث في تَاريخهم، والوُصولَ إلى حَالةٍ مُصَالحةٍ مَع الذّات، بَقيتْ مُجْتمعاتنا مَرْهونةً إلى يَوْمنا هَذا، ومَحْكومةً بتلْك الثّقافة، هيَ مُحَاولة للعَوْدة إلى المقدّمات لنَفْهم النّتَائج التي نُعَايشها حَاليّاً، وهُو جَانب لَطَالما تمّ التّهرّب منْه، وتمّ إقْصاءُ وتَكْفير منْ حَاول النّبْش فيْه، كنَصْر حَامد أبو زيْد، ومحمّد مَنْدور، والجابريّ، والطيّب تيْزيني، وغَيْرهم الكَثيْر.

الضّرورة والرّهان في وعي المَسْألة السّورية ثقافيّاً

حسّام ميْرو

يَأْخذ الحَدْيث عن الثّقافة في أَوْقات الأَزمات طابعَاً يرْتدي الصّيغ الإشْكاليّة التي يَطْرحها الوَاقع المأْزوم، أوْ الوَاقع الذي خَرَجت فيْه الأَزمات إلى السّطْح، وتَفجّرت بشَكْل يَسْتدعي المفَاهيم لكَيْ تَفْعل فعْلها في تَشْريح الأَزمة أوْ الأَزمات.

لكنْ، منْ حَيْث المبْدأ، فإنْ الأَزمات قَابلة للحَلّ، أوْ للتّعايش مَعَها، وإدَارَتها، لكنّ المأْزق أَمْر مُخْتلف، فالمأْزق هُو بُلوغ ذُرْوة مَا، لا يعُود مَعَها التّعَايش مَع مُسبّبات الأَزمَة مُمْكناً. فَهَل تَطْرح الحَالة السّورية اليوْم، وبَعْد كلّ ما شَهدَتْه منْ مُنْعطفات مُنْذ مُنْتصف آذار ٢٠١١ ولغَاية اللّحْظة الرّاهنَة، أَزمات لِكَي تتَعايش مَعَها، أمْ تَضَعنا أَمَام مَأْزق كَبيْر؟ والمأْزق السّوريّ- إنْ صحّت العبَارةُ، وجَازَت- هُو بلا شَكّ، نِتَاج جُمْلة من الأَزمات، ومنْ ضِمْنها أَزمة الهُويّة، والتي تُحيْل، منْ ضِمْن مَا تُحيْل إلَيْه، إلى مَأْزق الثّقَافة؟.

إنّ الثّقافة، وكَمَا يعْرف المشْتغلون في حُقولها، لا تُخْتصر في تعْريفٍ وَاحدٍ شَاملٍ لجَميْع أَوْجهها، وهُو مَا يَجْعل منْ مَفْهوم الثّقَافة نَفْسه مَفْهوماً غَنيّاً، ومُتعدّداً في ذَاته، وهَذا الغِنى للمَفْهوم يُسَاعد عَلى مُقَاربة الكَثيْر من الإشْكَالات، ويُمكّننا منَ اسْتخْدام جُمْلةٍ منَ المعَايير التي يُحيْل إلَيْها مَفْهوم الثّقَافة نَفْسه.

لكنْ، وكَيْ لا نَذْهب كَثيْراً في التّجْريد المفْهوميّ للثّقَافة، فإنّ تَحْديد مجَال الإشْكاليّة المطْروحة بالوَاقع السّوريّ يُسَاهم في تَحْديد المدْخل لنِقَاشٍ جَدّي حَوْل فِكْرة التّعدّد الثّقافيّ، وخَاصّة مَا طَرَحه هَذا الوَاقعُ منْ إشْكَالات لجِهَة «الهُويّات- الثّقَافات»، وجَعَلت شَرائحَ هَذا المجْتمع، وفي غَيْر مُنَاسبة، تَذْهب نَحْو التّطرّف والمغَالاة في تَقْديم رَأْي (حُكْم قيْمة) يَخصّ شَريحةً مُحدّدةً ، أيْ مُتعيّنة ثَقافيّاً منْ وُجْهة نَظَر بَقيّة الشّرائح.

لكنْ، نَحْن في الوَاقع لا نَخْرج الأَزمات هَكَذا دَفْعةً وَاحدَة منْ بَيْن أَظَافرنا، إلاّ إذا كُنّا قَدْ تغَافلْنا عَنْها لفَتْرة طَويْلة، وربّما تَرَكْناها لتَتحوّل إلى مَأْزق يُهدّد بالكَثيْر منَ المخَاطر، وبَدَلاً منْ أنْ تَكُون الأَزمات في الكَثيْر من الأَحْيان فُرْصة مُهمّة للجَمَاعات والشّعُوب، فإنّها، وفي تَرْكها للسيْناريو العَفويّ، تَتَحوّل إلى مَأْزق.

دَعُونا نَقف عنْد مِثالٍ رَئيسٍ في الحَيَاة السّوريّة، وهُو مِثَال التّربية والتّعْليم، وهُما حَقْلان مُؤسّسان في المسْألة الثّقافيّة العَامّة، فَقَدْ كانَت الدّوْلة قَدْ احْتَكرت التّربية والتّعْليم، وهُو مَا يَجْعل الافْتراضَ الأَوّليّ يَقُول بأنّ هَذا الاحْتكَار يَجْعل منَ التّربية والتّعْليم خَارج إطَار الانْقسَامات والخِلَافات المجْتمعيّة، ويُسْهم في بنَاء ثَقَافة لا تَكُون مُرْتهنة للقَسْم البَالي (أيْ مَنْطق مَا قَبْل الدّوْلة)، لكنْ مَا حَصَل فِعْلياً وعَايَشْناه، هُو أنّ احْتكار الدّوْلة لهَذيْن الحَقْلين لَمْ يَمْنع منْ ظُهور الانْقسَامات المجْتمعيّة والثّقافيّة، فَأيْن إذاً يَكْمن الخَلَل؟.

لَيْس هُناك بالطّبْع إجَابةٌ وَافيةٌ وشَافيةٌ عنِ السّؤال السّابق، لكنْ يُمْكن الإشَارةُ بقوّة إلى جَوْهر العَمليتَيْن التّربوية والتّعْليمية، وهُو جَوْهر بَقي عَلى ضفَاف الحَدَاثة، فَلا التّعْليم أسّس لمنْطق السّؤال والبَحْث، ولا التّربية تَمكّنتْ منْ تَجَاوز الفِكْر التّقْليديّ، بَلْ إنّ مَا حَصَل هُو الأَسْوأ، أيْ فَشَلُ المنْظومة التّعْليميّة في مُوَاكبة التّطورات المذْهلة التي حَدَثت خِلال العُقُود الثّلاثة الأَخيْرة، وفَشَل المنْظومة التّربوية منْ خَلْق مَنْظومة قيْميّة تنْتصر لقِيَم الدّوْلة (وهُنا الدّوْلة بوَصْفها مُطْلقاً، ولا تَقْصد السّلْطة أوْ النّظَام).

لَقَدْ عَرَفنا خِلَال السّنَوات الثّلاثَة المَاضيّة، ويَجبُ أنْ نَعْترف، الكَثيْر منَ الثّنائيّات، مثْلَ، نِظَام / مُعَارضة، ومَدينَة / ريْف، و»مُنزّهون» / لُصُوص، وسنّة /شيْعة، وأَكْثرية/ أَقليّة، وغَيْرها منَ الثّنائيّات التي كَشَفت مَدَى هَشَاشة المجْتمع السّوريّ، وهيَ هَشَاشة تَفْضح مُشْكلةً ثَقافيّةً عَميْقةً، مثْلَما فَضَحت مُشْكلات أُخْرى لا تَقلّ أَهميّة.

إنّ ثُنائية نِظام/ مُعارضة كانَ يُمْكن أنْ تَكُون مُفيْدة لَوْ أنّها أُديرَت منْ خِلال مَنْطق الحَقْل الذي تَنْتمي إلَيْه، أيْ حَقْلُ السّياسَة، وكانَ يُمْكن لَها أنْ تُنْتج حُلولاً أَقَلّ تَكْلفة ممّا دَفَعْناه، لكنْ حتّى هَذه الثّنائيّة السّياسيّة تَفرّعت إلى مَا دُون مَنْطق السّياسة، ومَا دُون مَنْطق الثّقافة السّياسيّة التي يُمْكن لَها أنْ تُعَالج الأَزمات.

وَجَدنا أَنْفسنا أَمَام مُجْتمع منْ طَبَقات مُجْتمعية، ومنَ السُّهولة بمَكَان لأَفْراد وجَمَاعات هَذه الطّبَقات أنْ يَنْزلقوا إلى هُويّات قَاتلة ومُدمّرة للذّات والآخَر على حَدّ سَوَاء، حتّى نَكَاد نَقُول ونَتَسَاءل، والحَال كَذلك، ما الذي يَجْمع على مُسْتوى الأَهْداف بَيْن هَذه الفئَة المجْتمعيّة وتلْك، فإذا كانَ تَعْريف جَمَاعة ما لنَفْسها قَابلاً للاخْتصار والاخْتزال في بُعْد وَاحد، فَكَيْف لَها أنْ تَتَفاعل مَع الآخر المخْتلف؟.

في هَذا السّياق، فإنّ مَفْهوم التّعَايش المشْترك يَفْترض بشَكْل منَ الأَشْكال عَدَم الرّغْبة في التّفَاعل مَع الآخر، وإبْقَاء شَكْل منْ أَشْكال الخُصوصيّة التي تُشكّل حَدّاً يُعرّف الذّات ويُعرّف الآخر في الوَقْت نَفْسه، وربّما كَان لَنا في المثَال اللّبْنانيّ صُورةً لما نَتحدّث عَنْه، فَقَدْ أَنْتج اتّفَاقُ الطّائف عَام ١٩٨٩ صيْغَة للتّعايُش المشْترك، لكنّها صيْغَة مُتوتّرة وقَابلةٌ للانْفجَار، وهُو مَا يَبْرز اليوْم بحدّة في لُبْنان، والأَسْوأ أنّ هَذه الصّيْغة قَابلةٌ للاسْتثْمار سيَاسيّاً، بَلْ ربّمَا تمّ إيْجادُها منْ أَجْل الحِفَاظ عَلى مُكْتسبات مُمَثّلي الطّوَائف- المجْتمعات.

ستحتاج المسألة الثقافية منّا كسوريين نقاشاً متواصلاً، إذ يصعب تخيل انتهاء منطق العنف الذي يحتل كل منطق آخر من دون أن تكون المسألة الثقافية أحد المداخل المؤسسة لنهاية العنف، ويبدو من الطبيعي بمكان أنه يتوجب على السياسيين أن يقاربوا المشكلات الثقافية المطروحة إذا أرادوا فعلاً لا قولاً أن يسهموا في بناء جسور بين السوريين، والتبشير بولادة منطق يقوم على أساس الحوار لا على أساس الغلبة، فالأول يستند إلى مشروعية ثقافية وإنسانية ووطنية وحضارية، والثاني يستند، وكلما استدام، إلى علاقات القوة وما تفرضه من عبث، وما تؤسس له من قطيعة تهدم كل مشترك، حتى لو كان مشتركاً في الحد الأدنى، أي صيغة العيش المشترك.

حُسَام ميْرو، إعْلاميّ سُوريّ، بَاحثٌ في مَرْكز الشّرْق للبُحوث في دُبي، مُؤسّس ورَئيسُ تَحْرير جَريدة «البَديْل»، باحثٌ مُشارك في إعْداد تَقارير التّنْمية الثّقافيّة العَربيّة، رَئيسُ تَحْرير مَوْسوعة المسْرح العَربيّ.

الحَرب أَنْتجت توزيعاً ديموغرافياً جديداً في سورية

سعيد محمد

طَرَح رُوبرت مَالْتوس (١٧٦٦-١٨٣٤م) أَبْرز المفكّرين الذين اهْتمّوا بالمسْألة السّكَانيّة، جُمْلة منَ الأَفْكار حَوْل الزيَادَات السّكانيّة والنّموّ الاقْتصاديّ الذي يَجبُ أَنْ يُواكبَ النموّ السّكانيّ، واعْتبَر أنّ مُجْتمعاً يتَزايد سكّانياً بنِسْبة ٣٪ يَحْتاج إلى نسْبَة نُموّ اقْتصاديّ يُقدّر بـ٩٪ ، لتَحْقيق حَالة منَ الاسْتقْرار في هَذا المجْتمع، فالتّزايُد السّكانيّ غَيْر المنّظم ، كَثيْراً ما يثْقل الاقْتصَاد ويُشكّل عَائِقاً في عَمليّة التّنْميّة لأيّ بلَد، و يعْتبر مَالْتوس أنّ لكُلّ مَسَاحة منَ الأَرْض الزّراعيّة طَاقَة قُصْوى لا يُمْكن تَجَاوزها مَهْما بَذَل فيْها منْ رَأْس مَال وقوّة عَمَل، فبَعْد بُلُوغها حَدّها الأَعْظميّ سيَبْدأ التّدنيّ في إنْتاجيتَها، حَيْث تَتمّ هَذه الزّيادَة وُفْق مُتَتالية هَنْدسيّة (٢-٤-٨-١٦..الخ) في حيْن تَنْميّة المَوارد الغذَائيّة تَتمّ وفْقَ مُتَتالية حسَابيّة (١-٢-٣-٤..) وبمَا أنّ التّزايُد هُو سِمَة لجَميْع المخْلوقات الحيّة ومنْهَا الإنْسَان الذي يَمْيل للتّزايُد السّريْع، لذَلك لا يُوجَد تَنَاسب مَا بيْن التّزايُد السّكَانيّ والتّزايُد التّنْمويّ في حَال كَانتْ المَوارِدُ الغذَائيّة وعَدد السّكّان مُتَناسبَة مَع بَعْضها (١مقابل١)، ومَا حَدَث في سُورية منْ تَزايد سُكّانيّ في سَنَوات مَا قبْل الأَزْمة، سَبّب عَجْزاً في تَأْمين المَوارد المنَاسبة للسّكّان، وهَذَا طَبْعاً كَانَ نَاتجاً عَن السّياسَات الفَاشلَة للحُكُومات المتعَاقبَة والتي لَمْ تَسْتند لأيّ مَنْطق عنْدَ وَضْعها لخُطَطها الدّوْريّة، فَكَان أَبْرز المظْلومَيْن في هَذه المعَادلة هُم سُكّان الرّيْف الذين عَانُوا لأَكْثر منْ أَرْبعة عُقُود منْ إهْمالٍ حُكوميّ، حَيْث نَالَت المدُن الكَبيْرة، حِصّة الأَسَد منَ الاهْتمَام عَلى حسَاب تَنْمية المنَاطق الرّيفيّة، فَنَشطتْ الهِجْرة الدّاخليّة الكَبيْرة منَ المنَاطق الزّراعيّة إلى المدُن وخَاصّة مَدينَتَيْ دِمشْق وحَلَب، وانْتشر السّكَن العَشْوائيّ الذي لَمْ يَتوفّر فيْها أَدْنى شُرُوط السّلامَة، لذَلك فَهَذا الغيَاب للسّيَاسَات التّوْعوية لقَاطنيْ العَشْوائيّات والرّيْف السّوريّ، سَاهَم في زيَادَة عَدَد الوِلَادَات بنِسَب مُرْتفعة جدّاً، حَيْث احْتلّت سُورية في عَام ٢٠١٠ المرْتبة الأُولى في الوِلَادات مُقَارنة مَعَ دُوَل العَالم، حَيْث بَلَغتْ النّسْبة ٢٤ بالألف، ووَصَل عَدَد السّكّان إلى حَوالَي ٢١ مَلْيونَ نَسَمة.

مخيم اطمة – إدلب

وإذا مَا قسْنا النّظريّة المالْتوسيّة التي بَدَأْنا الحَديْث بهَا عَلى التّجْربة السّوريّة، فحُكْماً سَتُعْطينا نَتَائجَ كَارثيّة وهَذَا ما نَعيْشه مُنْذ أَكْثر منْ عَقْديْن، ولكنّ الأَزْمة التي بَدَأت في سُورية عَام ٢٠١١، واسْتمْرارها حتّى اللّحْظة، غَيّرت التّركيبة الدّيمُوغْرافيّة للسّكّان، بشَكْل كَبيْر، حَيْث أَشَار «المرْكز السّوريّ لبُحُوث السّيَاسَات» إلى أنّ الأَزْمة «أدّت إلى تَغيّر ديمُوغْرافيّ سَريْع نَتَج عَنْه إعَادَة تَشكّل الخَارطَة السّكّانيّة لسُورية منْ حَيْث تَوزّعهُم دَاخلَ البِلَاد وخَارجَها. وفي نِهَايَة سبْتمبر/ أيْلول ٢٠١٣، كَانتْ التّقْديرات تُشيْر إلى أنّ عَدد السّكّان دَاخلَ سُورية قَدْ تَراجع بنسْبة ١٠,٧٪ مُقَارنة مَع مَا كَانَ عَليْه عَدُد السّكّان في بِدايَة عام ٢٠١٠، إذْ تَراجَع العَدُد الإجْماليّ للسّكّان منْ ٢٠,٧٨ مَليُون نَسَمة إلى ١٨,٦٣ مَلْيون نَسَمة خِلَال هَذه الفَتْرة. وحتّى نِهَايَة عَام ٢٠١٣ قُدّر عَدَد السّكّان بنَحْو ١٨,٣٥ مَلْيون نَسَمة مُتَراجعاً بنسْبة ١٢,١٪ مُقَارنة بعَام ٢٠١٠». وكَانَ وَرَاء ذَلك مَجْموعة منَ العَوامِل، أَبْرزها ارْتفاع مُعدّل الوَفيّات بفِعْل مُجْريات الحَرْب وتَداعيَاتها عَلى قطّاعَات الحَيَاة المخْتلفة؛ فإلى جَانب خَسَارة الأَرْواح البَشريّة جرّاء المعَارك، والمقدّرة دَوْليّاً اليَوْم بنَحْو ٢٠٠ ألْف إنْسَان، فإنّ الحَرْب كَانتْ كَذلك سَبَباً غَيْر مُبَاشر في كَثيْر منَ الوفيّات التي حَدَثتْ ولا تَزَال في سُورية.

لذَلك يَعْتبر عَددٌ منَ الاقْتصاديّين أنّ التّغْيير الدّيمُوغْرافيّ الجَديْد في التّطورّات السّكّانيّة أَفْرز أنّ الشّبَاب شَكّل النّسْبة الأَكْبر في تَرْكيبة الوَفيّات الوَاقعَة مُنْذ بدَايَة الأَزْمة، وفي مَوْجات الهِجْرة التي نَشَطتْ خِلَال العَامَيْن السّابقَيْن، الأَمْر الذي يَعْني أنّ ثَمّة خَلَلاً جَوْهرياً قَدْ حَدَث في التّرْكيبَة العُمْرية للسّكّان، وفي عَدَد الذينَ هُم خَارج دَائرَة قوّة العَمَل، وفي مُعدّل الإعَالَة الاقْتصاديّة... وغَيْرها، وهَذا حُكْما لَهُ نَتَائجَ كَارثيّة عَلى مُسْتقْبل البَلَد ،كَمَا أنّ الأَزْمة أَفْرزت خَلَلاً كَبيْراً في التّوَازُن مَا بيْن نسْبَة عَدَد الذّكُور إلى عَدَد النّسَاء، ونَتَائجَه السّلْبيّة لَنْ تَكُون في المدَى القَريْب، بَلْ سَيكُون عَلَى المدَى البَعيْد، لأنّ بُنْية المجْتمع أَصْبح لَديْها مُفَارقة كَبيْرة مَا بيْن فُقْدان القُدْرة عَلى توْفير الفئَة الأَكْثر إنْتَاجاً في المجْتمع وهيَ فِئَة الشّبَاب، والعَوْدة إلى مَا كَانَ عَليْه المجْتمع، يَتطلّبُ عُقُوداً لرَدْم الهُوّة في تَوَازنات البُنْية السّكّانيّة للبَلَد، و لَنْ يَحْدث هَذا إذا لَمْ يَكُن هُنَاك اسْتنْفار منْ جَميْع المنظّمات الدّوْليّة والهَيْئات المحلّية تَقُوم عَلى وَضْع اسْتراتيجيّة وَاضحَة لإصْلَاح مَا خَرّبتْه الحَرْب.

سعيد محمد: كاتب اقتصادي سوري

إدارة التنوع ضمن إطار الوحدة

جديع نوفل

الزملاء الأعزاء في مجلة حنطة. انطلاقاً من السؤال المطروح: كيف يمكن إدارة التنوع ضمن إطار الوحد؟ قبل محاولة مقاربة الإجابة على إدارة التنوع، لنتفق ما المقصود بإطار الوحدة؟ وهل الوحدة بالضرورة حالة إنسانية وتحقق مصالح الإنسان؟ولنا في الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨_١٩٦١مثالا واضحا.... ولنا فيما كان يسمي وحدة السودان شعبا وأرضا أيضا مثال ساطع والنتائج واضحة. وكذلك وحدة العراق والنتائج التي حصدها العراقيون حتى وصول الأكراد للحكم الذاتي وما يحصدونه الآن. وأمثلة أوروبا الشرقية أو ما كان يسمى بالمنظومة الإشتركية في إدارتها للتنوع أيضا نتائجها ما زالت طازجة.ولو انتقلنا للجانب الآخر لنا في الأنظمة الديموقراطية الأوربيةالغربية وفي نظام الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجة لإدارة التنوع. والسؤال برأيي كان يمكن أن يكون: ما هو الشكل الأفضل لإدارة التنوع المتنوع في بلادنا/ديني_ مذهبي_ قومي_ أثني سياسي –اجتماعي..... الخ/ ولمحاولة مقاربة الجواب أبدأ من أن: هناك رؤيتان متناقضتان لحركة التاريخ:

١_ رؤية تقوم على أن صراع المصالح بين المختلفين هو المحرك للتاريخ، هذه الرؤية تقوم على مبدأ التناقض.وهذه الحالة منتجة للتوتر . وجاهزة للانفجار في حال وقع الخلاف بين الأطراف التي تؤمن بهذه الرؤوية لحركة التاريخ.

٢_ رؤية تقوم على أن انسجام المصالح وتكاملها بين المختلفين هو المحرك للتاريخ،هذه الرؤية تقوم على مبدأ التكامل. والتعيش السلمي واحترام خصوصية كل طرف من الأطراف المختلفة ولمتابينة، والاعتراف لكل طرف بدوره في انتاج الحضارة الإنسانية كي يعترف بدورنا. إذن نحن أما شكلان لإدارة التنوع والاختلاف:

١_ الشكل الأول يعتمد سياسة العنف والقهر وبالتالي مؤكدا سينفجر الوضع في لحظة ما.وهذا سيقودإلى انتاج تشوهات وعصبيات أكثر عنفا كما تشهده سوريا الآن.

٢_ الشكل الثاني يعتمد سياسة الحوار والأعتراف المتساوي بين المكونات المختلفة وهذا مؤكدا سيقود إلى التطور والغنى للمكون الواحد ولجميع المكونات بنفس الوقت. وعلي ضوء ذلك فإن تناولنا لمفهوم الاختلاف كإشكالية، هو بمثابة تناول حالة مجتمعية من التوتر والقلق بين المكونات المختلفة والتي سرعان ما تنفجر ولأتفه الأسباب بعض الأحيان، وبالتالي فنحن أمام تحد كبير يتمثل في خلق نموذج فكري للتحديث ومواكبة التغيرات في كافة المناحي وخاصة في المفاهيم الثقافية والفكرية وطرق التعامل معها ويمثل أيضا ضرورة من ضرورات التطلع إلي المساهمة الحضارية في هذا العالم، والتي لن تتم إلا بخروج هذه الثقافات من عزلتها وجمودها وهذا يتطلب التوقف مليا عند أشكال التفاعل مع الثقافات العالمية ومتغيراتها الفاعلة خصوصا في المجالات الفكرية ولاسيما الديمقراطية والعلمانية وحقوق الإنسان. أما إذا تناولنا مفهوم الاختلاف والتباين كتنوع وغنى، فهذا يستدعي بالضرورة والسيرورة تطوير واغناء هذا التابين والتكامل فيما بين الاختلافات والتبيانات وإنتاج أشكالا أكثر تطورا في الشكل والجوهر، وهذا لن يكون ولن يتم إلا في المجتمعات المستقرة ذات الأنظمة الديموقراطية والتي تعترف بثقافة وفكر الآخر وتتفاعل معها من منظور إنساني حضاري. لقد أثبتت الحياة أن لمفهوم الاختلاف دور جوهري وأكده سير الأحداث التاريخية في تحريك سواكن المجتمع وثوابت الأفكار والقيم، كما أكد علي دوره في مواكبة التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية العالمية أو التبشير بها مما أنتج مزيدا من التطور والتقدم وهذا الدور يعمل وفي الصميم على تأطير الوعي والدفع به نحو إدراك التحولات الفكرية الحافزة على التغيير ومقاومتها لأشكال العطالة الذهنية والسكون وأساليب اجترار الماضي. إذن نحن محتاجون لإدارة رشيدة (حكم رشيد) لإدارة التنوع.

من مهام هذه الإدارة العمل على تهيئة مناخ صحي للتفاعل بين علاقات التنوع المختلفة، انطلاقاً من أن التنوع بوصفه حقيقة إنسانية، مهمة وأساسية ينبغي الاعترف بها، والنظر إلي التعددية علي أنها وقائع قائمة بفعل عوامل مختلفة، ينبغي تطوير هذه التعددية نحو الآفاق الأرحب إن احترام التنوع يمثل أحد أبرز مصادر

لوحة فيسفسائية أثرية سورية

شرعية النظام الديمقراطي، الذي يقوم علي الاستيعاب، وتمثيل المصالح المتنوعة، وليس علي أساس الاستبعاد علي أسس ثقافية وسياسية واجتماعية ودينية وقومية وغيرها.

مفهوم الحكم الرشيد:

١_ سيادة الدستور وفعالية تطبيق القونين المنسجمة مع روح الدستور، من خلال إدارة قوية محايدة، منحازة للدولة، وليس لإيديولوجية أيا كانت سماوية أو وضعية، إدارة لهاشرعية، ذات كفاءة مهنية عالية..مرنة.

٢_ يتبنى برامج التنمية البشريةالمستدامة في كافة مناحي الحياة، من خلال المشاركة الفاعلة للمواطنيين لمؤسسات المجتمع المدني جميعها على قدم المساواة.

٣_ حكم من صفاته الشفافية والاستجابة للتطورات انطلاقا من أن المجتمعات قابلة للتطور والتغير.

٤_ حكم يقوم على احترام راي الأقلية واشراكها بالحكم، حكم يعترف ويطبق المحاسبة عليه وعلى غيره بذات الآلية القانونية.

وبناء عليه فالحكم الرشيد هو: ممارسة السلطة السياسية وإدارتها لشؤون المجتمع وموارده، وتحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي، ويشمل ذلك مؤسسات الدولة الدستورية من سلطات تشريعية وتنفيذية بالإضافة إلى مؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص.

جديع نوفل: المدير التنفيذي للمركز السوري للديمقراطية والحقوق المدنية.

الانتفاضة وأسئلة الهوية

د.زيدون الزعبي

ما إن بدأت انتفاضة الشعب السوري في آذار ٢٠١١، حتى انطلقت معها أسئلة لم نكن نعي أنها تُعشش في لا وعينا الفردي والجمعي. يَعلو جميع هذه الأسئلة سؤال ملح لا يفارقنا: من نحن؟ ما الذي يجمعنا وما الذي يفرقنا؟ هل لدينا ما يكفي لصناعة الدولة الأمة؟ هل نحن عرب يجمعنا بالصومال وجزر القمر أكثر مما يجمعنا بأكراد ركن الدين؟ هل نحن مسلمون يجمعنا بمسلمي أندونيسيا والشيشان أكثر مما يجمعنا بمسيحيي وادي النصارى وباب توما؟ هل نحن سوريون ننتمي إلى رقعة جغرافية حددها لنا بريطاني وفرنسي فصارت الرمثا صدفة لا تهمنا بقدر ما تهمنا دير الزور، وتهمنا القنيطرة صدفة أكثر مما تهمنا الموصل؟ هل نحن شاميون (بلاد الشام)؟ وما علاقتنا عندها بقبرص؟ وكيف يكون الكويتي أقرب لنا من المصري؟

لم ينبرِ أحد ليجيب على هذه الأسئلة، أو ليحاول أن يطرح هذه الأسئلة بما يخدم قضية المواطنة. انكفأنا إلى أديان، ومذاهب، وطوائف، وعشائر، وأبناء مدن وريف. وبدأنا بالتفتّت، والتحقنا بركب الحرب الأهلية القائمة بدلاً من انتفاضة كانت تسعى إلى إقامة دولة المواطنة والعدالة والقانون.

النتيجة الأهم لجهلنا بمن نحن هو كل هذا الدمار القائم في بلدنا. عنف النظام، عنف المعارضة، التطرف، كراهية الآخر سواء كان سورياً أم شامياً أم عربياً، وسواها من مظاهر العنف، ليست إلاّ نتيجة لعدم معرفتنا بمن نحن. زعم النظام أنه يدافع عن الأقليات (مشكلة هوية)، وزعمت المعارضة بأنها تدافع عن العرب السنة (مشكلة هوية)، وزعمت قوات الحماية الكردية حمايتها الأكراد (مشكلة هوية)، وزعمت الجماعات «المتطرفة» أنها تحمي المسلمين في العالم (مشكلة هوية).

كان محاولات القوى المدنية العلمانية منذ البداية التركيز على مفهوم المواطنة كركيزة أساسية للدولة المنشودة، وعلى المساواة بين أفراد الوطن بمختلف انتماءاتهم، غير أن مفهوم المواطنة مرتبط عضوياً بحدود الوطن النهائي الذي نسعى للمساواة بين مواطنيه. فعن أي وطن نتحدث؟ وأي حدود جغرافية تلك التي تحدد هذا الوطن؟ تحدثت وثائق هيئة التنسيق، والمجلس الوطني، والائتلاف، والمنبر، والأحزاب الناشئة جميعها عن المواطنة دون أن تحاول الإجابة عن هذا السؤال أولاً. كيف لنا أن نتحدث عن المواطنة دون الحديث عن حقوق الجماعات؟ على سبيل المثال كانت القضية الكردية حاضرة دوماً في كل نقاش سياسيّ، وورقة أو وثيقة أطلقتها المعارضة بكل أطيافها، مع شكّ شبهِ دائمٍ بنوايا الأكراد، وبهيمنة واضحة لفكرة العروبة على نفس «المتنازلين» للأكراد. تحدثت الوثائق عن حقوق الأكراد، ومرّت مروراً إرضائياً على حقوق باقي الجماعات. أكاد أجزم أن جميع الموقعين على هذه الوثائق لا يتحدثون عن نفس الوطن، بل لكل منهم وطن تختلف حدوده ومواصفات مواطنيه!

تعاطينا مع مشكلة العيش المشترك، أو التعايش المشترك تعاطٍ مع نتائج المشكلة لا جوهرها وأُسّها. لن تحل قضية الطائفية والقومية في سورية، ولن ننتهِ من دوامة العنف الدائرة قبل أن ندرك جميعنا من نحن. في حوار مع الإعلامي المعتقل أسامة الهبالي في بداية الحراك، سألته عن انتماءه السياسي. قال لي أنا لست يسارياً، ولا قومجياً، ولا إسلامياً: أنا عادي. ضحكت وقد شعرت أن مشكلتنا تكمن في عدم القدرة على تحديد ما هو هذا العادي. من هو المواطن السوري العادي؟.

زيدون الزعبي: ناشط مدني وأستاذ جامعي

[مظاهرة – مدينة حمص ٢٠١١]

أسطورة المصارعة الرومانية في سورية خالد الفرج

حلب – عروة قنواتي

خالدُ الفَرَج نَجْمٌ من نُجوم الرّياضَة السّوريّة، ويَسْتحقّ لَقَب أُسْطورة رياضَة المصَارعة الرّومانيّة في سورية، صَدْره مُرّصع بأَكْثر من ثَلاثيْن ميداليّة ذَهبيّة في مُخْتلَف البُطُولات العَربيّة والقَاريّة والعَالميّة.

من دَوْرة ألْعاب البَحْر الأَبْيض المتوسّط في اللّاذقيّة عَام ١٩٨٧ كَانتْ الميْداليّة البرّاقَة الأُول،ى واليوْم مَع قَافلة الرّياضيّيْن السّوريّين الأَحْرار في ثوْرتهم وانْتفَاضتهم عَلى إجْرام وفَسَاد النّظَام السّوريّ.

لَمْحَة ..

خَالدُ الفَرَج، البَطَل السّوريّ الأَلْمع في المصَارعة الرّومانيّة، منْ مَواليْد ريْف إدْلب ١٩٧٠، مُتزوّج ولَديْه خَمْسة أَوْلاد، كَانَ مُوظّفاً في فَوْج إطْفَاء إدْلب، بَدَأ حَيَاته الرّياضيّة في لُعْبة الجمْبَاز عَام ١٩٧٦، ثمّ انْتَقل إلى رياضَة المصَارعة ١٩٧٧.

تمّ اسْتدعَاؤه لمعَسكر المنْتخب الوَطنيّ عَام ١٩٨٦ اسْتعْداداً لدَوْرةالمتوسّط العَاشرة، وكَان عُمْره ١٦ عاماً، وأَثْبت كَفَاءة كَبيْرةجدّاً، وحَجَز مَكَاناً لَه في المنْتخب الوَطنيّ آنَذاك، وانْطَلق بمُشْواره الرّياضيّ الحَافل باسْم سُورية.

أَحْرزتْ ذَهبيّات في بُطولة العَالم العَسْكريّة، وبَطَلاً لآسْيا لثَلاث مرّاتٍ أَعْوام ١٩٩٢ و١٩٩٥ و١٩٩٦، وبَطَلاً للْعَرب أَعْوام ١٩٩٢ و١٩٩٧ و١٩٩٩، وأَحْرزالبرونْزيّة في بُطولة العَالَم في «السويْد» عَام ١٩٩٨، وخَامسَ العَالَم في «فنْلندا» عَام ١٩٩٤، وسَابعاً في «التّشيْك» عَام ١٩٩٥، وحَصيْلته منَ الميْداليّات ٣١ ميداليّة ذَهبيّة، ٤ فضيّات، ٥ برونزيات.

تَعرّض للإصَابَةفي الرّكْبة،وخَضع لعَمليّةربَاط مُتَصالبٍ أَمَاميّ فتوَقّف عَن اللّعب، وسَافَر إلى «قَطَر» للتّدْريب حَيْث درّب مُنْتخب «قَطر» للنّاشئيْن عَامَ ٢٠٠٢.

الابْتعاد عن المؤسّسة الرّياضيّة لنظَام الأَسَد ..

خَرَج خَالد الفَرَج منْ سُورية بتاريخ ٢٠١١/١٢/٣١، وبَعْد أنْ اسْتَطاع أنْ يُخْرج أَهْله وعَائلَته أَعْلن انْشقَاقه في كَانون الثّاني/ يَنَاير ٢٠١٣ وانْضمَامه إلى رَابطَة الرّياضيّين السّوريّين الأَحْرار. وأَرْجع الفَرَج سَبَب انْشقَاقه إلى أَعْمال القَتْل والمجَازر التي يرْتكبها النّظَام السّوريّ بحَقّ شَعْبه، وتَبرّأ الفَرَج منَ النّظَام السّوريّ وأَفْعاله، وأَكّد أنّه يَدْعم الثّوْرة السّوريّة مُنْذ يَوْمها الأَوّل وأَنّه يَقفُ مَع الشّعْب السّوريّ، ونَتيْجة لمَوَاقفه هَذه تمّت مُلَاحقته مَعَ أَفْراد أُسْرته، كَمَا تمّ اعْتقَال اثْنَين منْ أَشقّائه، إضَافَة إلى مُدَاهمة مَنْزله وسَرقَة مُحْتوياته منْ قِبل عَنَاصر أَمْن النّظَام وشَبّيحته.

خَالد يَفْتح قَلْبه لـ «حنطة»، ويَتحدّث عَنْ وَضْعه وَوضْع الرّياضيّين الأَحْرار في سُورية: «رَحمَ الله شُهَداء سُورية وفكّ أَسْر المعْتقلين وأُسَر زُملائنا الرّياضيّين دَاخلَ أَقْبية النّظَام. شُكراً لَكُم ولمجَلّتكم عَلى هَذه الفُسْحة، وأَتمنّى لَكُم دَوَام النّجَاح والتّوْفيق والخَيْر.

نَحْن الرّياضيّين الأَحْرار مَوْجودون وحَاضرُون منَ البدَايَة وحتّى النّهايَة في ثَوْرة الشّعْب السّوريّ الذي خَرَج ضدّ الظُّلْم والاسْتبْداد والدّكْتاتورية منْ أَجْل الحُرّية والكَرَامة ليُعْلم الجَميْع بوُجُوده وأَنّه حَاضرٌ. فليُمجّد منْ يُسَانده ويُنَاصره عَلى الظّلْم.

قَدّم شَبابُنا تَضْحيات كَبيْرة منْ شُهَداء وجَرْحى ومُعْتقلين ومَخْطوفين، وصَارتْ مَلاعبُنا مَرَاكز للاعْتقَال، وثَكنات عَسْكريّة لجَيْش النّظَام المجْرم وميْليشيّاته الطّائفيّة، ولكنْ للأَسَف لَمْ نَتلقّى ممّن يَدّعون حرْصَهم على الرّياضَة السّورية الحُرّة ومنَ الإعْلَامِ الرّياضيّ أَوْ أيّ وَسيْلة إعْلَاميّة صَادقَة مَعَ الشّعْب السّوريّ أيّ دَعْوة أَوْ أيّ اهْتمامْ، وهَذا أَحَد الأَسْباب الهامّة للتّشتّت والضّيَاع وكُثْرة الوُعُود الفَارغَة التي لاَ طَائل منْها.

سَأَلْناه عَن الدّوْر الحَاليّ الذي يَقُوم به، ولمِاذَا غَادر رَابطَة الرّياضيّين السّوريّين الأَحْرار، فَأَجَاب: حَاليّاً لا يُوجَد أيّ دَوْر أَقُوم به لأَسْباب عَديْدة يَطُول شَرْحها، ولعَدَم تَوْفير المقوّمات للعَمَل الرّياضيّ الذي يَتطلّب الكَثيْر من الإمْكَانات والطّاقَات لبدْء العَمَل. وكُلّ مَا يَلْزم الرّياضَة والرّياضيّين لهَذه المرْحلة العَصيْبة للنّجَاح والتّقدّم. ولَكنّني حَاوَلت أَنْ أَقُوم بتَأْسيس تَجمّع عبَارةً عنْ تَجمّع للأَبْطال الرّياضيّين المنْشقّين عن النّظام لكَيْ تبْقى عَلى تَوَاصل مَع الرّياضيّين الأَحْرار أَصْحاب الإنْجَازات والسّمْعة،والمخْلصين الشّرفَاء. وأَهْل الرّياضَة الصّادقيْن الذين انْضمّوا للثّوْرة بلا مُقَابل وبلا مَصَالح شَخْصيّة أَوْ أَنانيّة وبَعيْداً عن المحْسوبيّات وأَطْماعٍ مَكَاسب رخيْصة.

– أمّا بمَا يَخصّ رَابطَة الرّياضيّين الأَحْرار التي تَأَسّست في القَاهرَة عَام ٢٠١٢ فَالجميْع خُدع منْ قِبَل مَنْ كَانوا يَشْغلون صفّ المسْؤوليّة في الرّابطَة، وذَلك ولأَسْباب عَديْدة أَهمّها عَدَم المصْداقيّة.

وعَن الكَيَانات الرّياضيّة ومُتَابعته لعَمَلها قَال خَالد الفَرج: أَنا أُتَابع نَشَاطات الهَيْئة العَامّة للرّياضة والشّبَاب في سُورية، ومَشْكورين عَلى جُهُودهم ضمْن الإمْكَانات المتوفّرة دَاخلَ سُورية وخَارجَها،

فالجُهودُ مُبَاركة، ولَكنْ يَلْزم لاسْتمْرارهم في العَمل الكَثيْر منَ الاهْتمام والدّعْم حتّى تثْبت الهيْئة أوْ أيّ كَيَان آخر أَحقّيتها بالاعْتراف العَربيّ والدّوليّ والأولمبيّ ممّا يُسهّل تَمْثيل سُورية في المحَافل العَالميّة، وحتّى تَسْتطيع أيضاً خدْمَة مَلفّ وقَضيّة المعْتقلين الرّياضيّين في سُجُون الأَسَد، وهَذا أَيْضاً مَسْؤوليّة على عَاتق المديريّة الجَديْدة التّابعَة للحُكُومة المؤقّتة في المرْحلة القَادمَة وأَقْصد العَمل على إطْلاق سَرَاح كُلّ الرّياضيّين المعْتقلين.

رسَالة الفَرَج إلى الكَيَانات الرّياضيّة ..

التّوحّد والإخْلاص والمحبّة والجدّية.. نَحْتاج هَذه المواصَفات للوُقُوف على أَبْواب التّقدّم للأَمَام وحتّى نَصل إلى مَا خرجْنا منْ أَجْله ولتَحْقيق أَحْلام وآمَال الرّياضيّين الأَحْرار في هَذه المرْحلة.

النّصْر لثوْرتنا، والله وليّ التّوْفيق.

فصْل جَديد ..

هُنَاك الكَثيْر منَ الحَكَايا والقِصَص والخَبَايا في جعْبَة الرّياضيّين السّوريّين منْ قيْمة ووَزْن خَالد الفَرَج حَوْل العَمَل الرّياضيّ سَابقاً وحَاليّاً، نُحَاول أَنْ نُسلّط عَليْها الضّوْء دَائماً، إلاّ أنّها لا تَخْرج إلَيْنا لنَشْرها وتعْريف المتَابعيْن بها.

والزّمَن القَادم كَفيْل بخُرُوجها إلى العَلَن .. مَع أُمْنياتنا ألاّ يَكون القطَار قَدْ فَات.

حوار مع النيفي

راهيم حساوي

وُلدَ الشّاعر السّوريّ حَسن النّيفيّ عام ١٩٦٣، يَحْمل إجازةً في اللّغة العَربيّة وآدَابها، أَمْضى قُرابَة خَمْس عَشْرة سَنة في سُجُون الأَسَد، وهُو شَاعرٌ وجْدانيٌّ فيّاض، لَه ثَلاثة دَواوينَ مَطْبوعة: هَواجسٌ وأَشْواق ١٩٨٦، رَمَاد السّنيْن ٢٠٠٤، مَرَافئُ الرّوح ٢٠٠٩.

يَقُول الدّكْتور عَبْد السّلام الرّاغب عنْ ديوَان «مَرافئُ الرّوح»: منَ الشّعر الأَصيْل الذي يُمثّل امْتدَاداً للشّعْر العَربيّ العَريْق الذي يَجْمع بَيْن المتْعة الفَنيّة والفَائدَة، بَيْن الأَصَالة والمعَاصرة، وبَيْن الفِكْر والشّعُور. إذْ جَعَل الشّاعر فنّه الشّعْريّ جزْءاً منْ فِكْره، وفِكْره جزْءاً منْ شِعْره، فَكَان هَذا النّسيْج الشّعْريّ في إيقَاعه المتجَانس، ولَحْنه المتَناغم بَيْن الفِكْر والشّعُور إضَافةً جَديْدَة إلى قِيْثارة الشّعْر العَربيّ الحَديْث.

١ــ يَبْقى الشّاعرُ يَكْتب الشّعْر، ويَبْقى الشّعْر الذي لَمْ يُكْتب يَدُور في مُخيّلة الشّاعِر، وفي لَحْظة مَا، قَدْ يَتْرك الشّاعِر شِعْره الذي لَمْ يُكْتب بَعْد، ويَعْتزل الشّعْر. مَنْ الذي يَنْتهي قَبْل الآخَر، الشّاعرُ أَمْ شِعْره؟

ـ لَديّ قَناعةٌ مُطْلقة بأنّ الطُموحَ الفَنّي للشّاعِر لا حُدُود لَه، لأنّه طَمُوح مُرْتبط بالمطْلق، بَيْنما قُدُرات الكَائن البَشَريّ نِسْبيّة، وباعْتقادي مَا منْ فنّان عَلَى وَجْه الأَرْض اسْتَطاع أَنْ يَقْبض عَلى مَكْنون الجَمَال المطْلق أَوْ يُبَاطنه منَ الدّاخل، بَل كُلّ الفَنّانين، وفي أَوْج نَشْوتهم الإبْداعيّة، يَتوَهّمون بأنّهم يُمْسكون بلَحَظات الغِبْطة والحُبُور المخْبوءة في كُنْه الجَمَال. ولكنّ حَال فَراغهم منْ عَمليّة الخَلْق الفَنّيّن يُدْركون تَماماً أَنّهم بَعيْدون جدّاً عنْ مُبْتغاهم. أمّا أنْ يَعْتزل الشّاعِر الشّعْر، فأظنّ أنّ هَذا الأَمْر غَيْر وَارد، رُبّما يَتلَكّأ في الكِتَابة، أَوْ يَمُرّ بظَرْف طَارئ يُبْعده عنِ الكِتَابة لفَتْرة زَمنيّة مَحْددة، ولَكنّه لا يَسْتطيع التّبرؤ منَ الشّعْر نَهَائيّاً إنْ كَانَ شَاعراً حَقّاً، لأنّ الشّعْر هُويّته الوُجُوديّة، بَلْ بوسْعنا تَحْوير المقُولة الدّيكَارتيّة (أنَا أُفكّر إذاً أَنا مَوْجود) لتُصْبح لَدَى الشّاعِر (أنَا أَشْعر إذاً أَنا مَوْجود) ولَعلّ الكَثيْر منَ الشّعَراء قَدْ يَتبرّؤون منْ قِسْم منْ نتَاجهُم الشّعْري حيْن لا يُوَازي مُسْتواه الفَنّي طُمُوحهم فَهَذا أَمْر طَبيْعيّ جدّاً. وأيّاً كَان الشّأْن فَما منْ كَائنٍ إنْسَانيّ كُتب لشَخْصه الخُلُود، بَيْنما العَديْد منَ الأَعْمال الفَنّية خَالدةٌ إلى الأَبَد.

٢ ــ هَلْ ثَمّة شَبَه ما بَيْن القَصيْدة الحَديْثة والقَصيْدة الجَاهليّة؟

ـ ما يَجْمع بَيْن القَصيْدة الحَديْثة والقَصيْدة الجاهليّة قَاسمٌ جَوْهريّ وهُو المشْترك الإنْسانيّ، أَوْ المحْتوى القيَميّ للمَواقِف الإنْسانيّة. فَتأَمّل مَثَلاً قَوْل طَرَفة بن العَبْد: «وظُلْم ذَوي القُرْبى أَشَدّ مَضَاضةً على النّفْس منْ وَقْع الحُسَام المهنّد» فَهَذا المؤقف الشّعْريّ يَتقَاطعُ جدّاً مَعْ قَوْل مَحْمود دَرْويش:» وأَعدّ أَضْلاعي فَيَهْرب منْ دَمي بَردى وتتْركني ضِفافُ النّيْل مُبْتعدا، وأَبْحث عنْ حُدود أَصَابعي فَأَرى العَواصمَ كُلّها زَبَدا» ولكنّ المخْتلف بَيْن القَصيْدتيْن هُو الحَامل الفَنّي للمَوْقف الشّعْريّ لأنّه خَاضعٌ للتطوّر والتّغْيير ولَا يَرْكن للثّبَات.

٣ ــ أَيْن يَلْتقي كلٌّ من السّيّاب ودَرْويش في شِعْرهما؟ وأَيْن يَلْتقي النّيْفي وامْرؤ القَيْس في حَيَاتهما؟

ـ مَا يَجْمع بَيْن السّيّاب وَدَرْويش في تَجْربتيْهما الشّعْريتيْن هُو التّشَابه في آليّات التّفْكير، وَلَيْس في الأَفْكار أَوْ المَواقف، أَعْني أنّ كلَيْهما فَهمَ الحَدَاثة الشّعْريّة عَلى أنّها جزْءٌ منْ مَشْروع ثَقَافيّ مُتَكامل، وقَدْ أَدْرك كلَاهُما أنّ هَذا المشْروع هُو مَخاضٌ تَاريخيّ لا بُدّ منَ المرور به، كَمَا أَدْركا ــ كُلٌّ عَلى طَريقَته ــ أنّ أيّ مُنْجز ثَقَافيّ يَجب أنْ يَكُون غَيْر مُفَارق للسّياق الاجْتماعيّ للمُجْتمع العَربيّ الإسْلاميّ، وبهَذَا الفَهْم المتطوّر والصّحيْح اسْتطَاع كلٌّ منْهما أنْ يَكُون عَلَامة مُميّزةً في تَاريْخ الشّعْر الحَديْث. قَدْ نَخْتلف مَع أَحدِهما أَوْ كلَيْهما في الأَفْكار والمَواقف، ولكنْ بالتّأْكيد نَحْترمُ الاثْنيْن مَعاً. أمّا مَا يَجْمع بَيْن امْرىء القَيْس وحَسَن النّيْفي حَيَاتياً فَلا شَيء عَلى الإطْلاق، ذَلك أنّ مَأْساة امْرؤ القَيْس تَكْمن في شُعُوره بالقَهْر بسَبَب إحْسَاسه بالفَقْد، لَقَد كَان يَمْتلك كُلّ شَيْء (المُلْك ــ الجَاه ــ القُوّة) ثُمّ فَقَد كُلّ شَيْء، إلّا شَاعريّته التي وَفّرت لَه تَوازناً نَفْسيّاً يَحُول بَيْنه وبَيْن المَوْت، وحَقاً كَانَت صُورةُ الفَنّيّة المتسرّبة منْ لا شُعُوره (الصُّورة الأُسْطورية للفرس ــ كَثْرة المغَامرات العَاطفيّة) تُؤَكّد بوُضُوح مَدَى حَنيْنه وتَمسّكه بالفَرْدوس المفْقود

(الماضي) الذي يَسْعى لاسْتعادَته، لَمْ تَكُن مَأْساة امْرىء القَيْس تَتأسّسُ عَلى بَواعث قيْميّة بقَدْر مَا كَانَت تَتأسّس عَلى رَغبات مُفْتقدة. أمّا حَسَن النيّفي فَلَعلّه مثلَ العَديْد منْ أَبْناء جيْله الذين يَرْبضون بَيْن قوّتيْن مُتصَارعتيْن بلْ مُتَناقضتيْن، قوّة جَارفةً تَدْفع الجِنْس البَشريّ نَحْو التّشيّؤ واليَبَاس وتَضْغط عَلى الرّوح البَشريّ لتُحيْله إلى فَحْمة سَوْداء، ونزْعة مُتجذّرة في النّفْس البَشريّة تَجْنح نَحْو الاخْضلالِ والازْدهارِ ومُعَانقة كُلّ مَا هُو مُبْهج، وبَيْن هَاتيْن القُوّتيْن تَتَنامى كُلّ مُفْردات التّعَاسة، وفي هَذا السّيَاق أَذْكر بَيْتيْن منْ قَصيْدة لي كَتبْتها مُنْذ خَمْس عَشْرة سَنَة:

يَكتَظّ بيَ مَجْد العُصُور وذلّها / ضدّان يَصْطخبَان في تَفْكيْري

يَطأُ النّقيْضَ عَلى النّقيْضِ فَأجْتلي/ في زَحْمة الأَضْداد شَكْلَ مَصيْري

٤ ـ مَا الذي يؤْلم الشّاعرَ الحقّ بَعْد نَشْره لديْوَانه؟ ومَا الذي يُسْعده؟

ـ مَا يؤْلم الشّاعرَ بَعْد نَشْره ديْوَانه هُو أنّ نتَاجه الإبْداعيّ أَصْبح سلْعَة تَخْضع لمبْدأ العَرْض والطّلَب، ذَلك أنّ النّاشرَ لا يَهمّه سِوى الرّبْح المادّيّ، وفي هَذه الحَالَة سَيكُون الشّاعرُ هُو الخَاسرُ بكُلّ المقَاييْس لأنّ بضَاعَته ستكوْن كَاسدَة قيَاساً لمبيْعات الكُتُب التي تَتحدّث عَن صنَاعة الحُلويّات مَثَلاً، المشْكلة تَكْمن في غيَاب دَوْر المؤسّسات الحُكوميّة وغيْر الحُكوميّة التي تُعْنى بشؤُون الإبْداع وتُحَافظ على القيْمَة الاعْتباريّة للمُبْدع. أمّا مَا يُسْعد الشّاعر فَهُو شُعُوره بأنّ رسَالَته الإبْداعيّة أَوْ مَوَاقفَه الشّعْريّة وَصَلت إلى القَارئ.

٥ ـ كَمَا هُو مُلاحَظ،فإنّ الشّعَراء تَرْجموا أَمْراضهم التي دَاهَمتْهم في آخر حَيَاتهم أَكْثر منْ غيْرهم منْ بَقيّة الكُتّاب في الأَجْناس الأُخْرى منَ الأَدَب. هَلْ هَذا الأَمْر يعُود لطَبيْعة حَسَاسيّة الشّعْر وقُدْرته عَلى احْتوَاء هَذه العَذَابات أَمْ حَساسيّة الشّاعر بطَبيْعة الحَال؟

ـ أُوَافقك تَمَاماً عَلى جَوابك المفْترض الذي تَضمّنَه السّؤال، وذَلكَ للأَسْباب التّاليّة:

أَولاً: إنّ الشّعْر – وبحُكْم خَاصّته النّوْعيّة – هُو أَكْثر شَفافيّة من بَقيّة الأَجْناس الأَدبيّة الأُخْرى، وبخَاصّة إذَا كَانَ ذَا نزْعة غنَائيّة سَافرَة.

ثَانيّاً: حُضُور الذّات في الشّعْر مَسْألة طَاغيّة، فَلَيْس بوُسْع الشّاعر تنْحية ذَاته حتّى في الشّعْر المسْرحيّ. ثَالثاً: حُضُور الانْفعَال النّفْسيّ في الشّعْر أَكْثر سُفُوراً منْ أيّ جنْس أَدبيّ آخَر، فالقَصيْدة في الأَصْل هي فِكْرة، تَتحوّل أثْنَاء عَمليّة الخَلْق الفَنّي إلى كُتْلة مُلْتهبة منَ المشَاعر والأَحَاسيْس والأَخْيلة ثُمّ تغْدو بَعْد تَحقّق العَمَل الفَنّي مَوْقفاً شعْرياً، والشّاعر في أَزْمته الانْفعَاليّة لَيْس بمقْدوره إلاّ الإفْصَاح عَمّا يُحسّ بهِ وذَلَك عَلى خِلاَف الرّواية مَثلاً التي تَخْضع صيَاغَتها إلى دَرَجة مُعيّنة منَ النّزُوع العَقْلانيّ.

٦ ـ مَا هيَ الصُّوَر الفَنيّة التي يرَاها حَسن النيّفي في حُبّ زلْيخا ليُوسف، وفي قَتْل هَابيْل لقَابيْل؟

ـ بَعيْداً عَن المؤْقف الدّيْنيّ أَوْ الفقْهيّ، يُمْكنني القَوْل: إنّ زلْيخا في حُبّها ليُوسف لَمْ تَخْرج عَن طَوْرها الإنْسَانيّ، أَعْني أنّها ذَات إنْسَانيّة مَحْكُومة بفطْرَتها البَشريّة، بَلْ إنّ زلْيخا أَبْدت ضَرْباً عَاليّاً منَ النُّبل الإنْسَانيّ وإحْسَاساً عَاليّاً بالمسْؤوليّة حيْن اعْتَرفَت بحُبّها واعْتَرفت بأنّها هيَ التي رَاوَدت يُوسف عَن نفْسه. أمّا قَتْل هَابيْل لقَابيْل فقَد جَسّدت هَذا المؤْقف شعْرياً في قَصيْدة سَابقَة: أَخي أَتذكّر إذْ نَاديتُ مُلْتمساً منْك الوِدَاد لنَطْوي دَرْبنا الخَشنَا، وانْسَاب كَفّك في كَفّي تُعَاهدني أنْ نَسْقي الأَرْض –إنْ شحّ النَدَى– دَمُنا فَمَا لسَيْفك في ظَهْري يُبَاغتَني ومَا لخَطْوك دُوْن الدّرْب قَدْ حُرْنا فَعشْ –فَديتُكَ– مَا كَفّي بمُنْبسطٍ إلاّ ليَدْرأ عَنْك الحَيْف والغُبْنا

٧ـ مَتى يُصْبح الشّاعرُ دَرْويشاً أَوْ مَجْنوناً في حَيَاته ولَيْس فقَط في شِعْره؟

ـ الشّاعرُ في الأَصْل هُو دَرْويش بالمعْنى الصّوفيّ للدّرْوشة (المعْنى ذُو المنْحى الفَلْسفيّ ولَيْس المعْنى المسْتلهم منَ الفُلْكلور الشّعبيّ) وذَلكَ باعْتبار الشّاعر أَسيْراً لحَالَة (الوَجْد – المكَابدة) التي لا يُعَانيْها النّاسُ الأَسْوياء، فَهيَ حَالَة مَرَضيّة يُطْلق عَليْها عِلْم النّفْس (العُصَاب) الذي يَنْتهي بالمرْء إلى انْفصَام الشّخْصيّة، ولَكنّ الذي يَحُول بَيْن الشّاعر والانْفصَام هُو القَصيْدة بَعْد تَحقّقها عَلى الوَرَق، فالقَصيْدة هيَ المنْقذ للمُبْدع أَوْ هي التي تُحقّق لَهُ التّصَالُح مَع الوَاقع، وأَميْل إلى الاعْتقَاد بأنّ الشّاعر قَدْ يَتحوّل إلى الجُنُون في حَيَاته كَافّة عنْدَما تَخْذله مَلَكاته النّفْسيّة والإبْدَاعيّة في تَحْويل مُكَابَداته وأَوْجاعه إلى عَمَل شعْريّ.

٨ـ بَعْد ثَلاثَة دَوَاوين شِعْريّة، وعَشَرات أَوْ ربّما مئَات القَصَائد، مَا الذي يُرِيْده حَسَن النيّفي منْ حَيَاته، سَواء أَكَانت قَصيْرة أَمْ طَويلَة؟

لَعَلّه منَ المؤْسف أنّنا نَكْتشف ذَوَاتنا بَعْد سِنيْن طَويْلة منَ الشّقَاء أنّنا نُحَارب تَحْت شِعَارات وقنَاعات زَائفَة لَمْ تَكُن مُتأصّلة في نُفُوسنا، وإنّما كُنّا عَلى الدّوام نَرْكن إلى سُلْطة شُعور جَمْعيّ لَيْس بالضّرُورة أَنْ يَكُون صَحيْحاً دَوْماً، وذَلك لعَدَم قُدْرتنا عَلى خَلْخلة أَوْ نبْش مَا هُو مَرْكوم في ذَواتنا منْ أَوْهامٍ، وكَذَلك لانْعدَام الهَاجس المعْرفيّ الشّجَاع الذي لا يَمْتلكه مُعْظمنا أَصْلاً.

مَا أُرِيْده ممّا تَبقّى منَ العُمْر هُو السّعْي إلى تَعْزيز هَذا الهَاجس المعْرفيّ في ذَاتي وذَوات الآخرين، لأنّنا منْ خِلاَل ذَلك نَسْتطيع مُلامَسة الجَوْهر النّبيْل للذّات البَشريّة.

النّيفي في سُطور

هُو منْ شُعَراء مَدينة مَنْبج البَارزين وأُدَبائها ونقّادها البَارعيْن.

وُلدَ في مَدينة مَنْبج عَام ١٩٦٣.

نَشَأ في بيْئَة فَلاّحيّة بَسيْطة انْعكست في أَشْعاره.

دَرَس المَرْحَلة الابْتدائيّة والإعْدَاديّة والثّانويّة في مَدَارس مَنْبج، ثمّ انْتقَل إلى حَلَب وَدَرس في جَامعتها في كُليّة اللّغَة العَربيّة وَآدابها، وتُعدّ المَرْحلة الجَامعيّة هيَ الأَكْثر خُصُوبة في حَيَاته منَ النّاحيتيْن الأَدبيّة والفكْريّة.

في عَامْ ٢٠٠٣ حَصَل عَلى الجَائزَة الثّانية في مُسَابقة الشّاعر عُمَر أبو ريشَة في مُحَافظة إدْلب.

لَه مُسَاهمات في العَديْد منَ النّشَاطات الأَدَبيّة والفكْريّة في سُورية.

قَصيْدة للشّاعر

لحظة

أَطفئْ سراجكَ لن أعيد الطرفَ ملتفتاً ورائي
شَرِقٌ أنا بالنورِ والغصص السخيّة والعناءِ
لاتعبثن بعفة الليل ، وأحلام الصفاءِ
دعني أغالبُ فيكَ أحزاني وأحفِرُ كبريائي
دعني ولا تشفق على جرحي فتوقظ بي إبائي
هي لحظةٌ مامرَّ فيها غير أطياف الشقاءِ
وبها رمقْتُ بمقلتيكَ العمر يزخر بالبهاءِ
فخشعتُ في محرابكَ القدسيّ أضرعُ بالدعاءِ
ويحي ! أتذرف فيه أنفاسي تعاويذَ الشقاءِ
وإخالُ في جدرانه الصّمّاء ينبوع الدواءِ
أم فيه أنبشُ سِفْرَ أيامي فيفجؤني بلائي
وأحسُّ دفقةَ صوتكَ المدمى ترقرقُ في دمائي
حتى إذا انتفضَ الدّجى ، وأفقتُ مخذولَ الرّجاءِ
ونهضتُ أنفضُ من رماد الذل أطرافَ ا لرداءِ
ورجعتُ أحملُ نعشَ آمالي وأشلاءَ غنائي
أمضي وومضُ سراجكَ المفجوع يلهث في سمائي
هي لحظةٌ مرَّتْ ولن ألقى بثانيةٍ عزائي

التّحالف، الشّتاء، وتجّار الدّم

حسن ممّس– خاص حنطة

مازوت سوري ٢٠١٤

بدأت الأخبار تتوارد عَنْ توجيه ضَرَبات عَسْكرية لمواقع تَنْظيم الدّولة الإسْلاميّة في سُورية ومنْ هَذه المواقع آبار النّفْط التي يُسيْطر عَليْها التّنْظيم في شَرْق البلاد، وفي ظلّ هَذه الأَوْضاع قَفَزت أَسْعار النّفْط إلى أَسْعار خَياليّة بالنّسْبة للمُواطن السّوريّ، إذْ جَاء هَذا الارْتفاع بالتّوازي مَع قُدوم فَصْل الشّتاء حَيْث يَزْداد الطّلب على المواد النّفْطية خُصوصاً مادّة المازوت، ممّا أَثار طَمَع التّجار ليَقُوموا بدَوْرهم برَفع الأَسْعار أَيْضاً، إمّا عَن طَريق تَسْكير طُرقات الشّاحنات المحمّلة بالوُقود أَوْ عنَ طريق الاحْتكار.

ضَربات التّحالف كانَ لها الأَثَر الأَكْبر

ما إنْ بَدَأت طائراتُ التّحَالف بتَنْفيذ غَاراتها عَلى مَواقع التّنْظيم مُسْتهدفةً آبار النّفْط حتّى بَدأ الانْخفاض اليوْميّ في الإنْتاج للمَحْروقات. بشَكْل عَام هَذا التّأْثير انْعَكس عَلى سعْره الذي ارْتَفع بشَكْل جُنونيّ. فَفي المنَاطق الشّرْقية للبلَاد ارْتَفع سعْر البرْميل الوَاحد منْ ١٢٠٠٠ ل.س إلى ١٧٠٠٠ ل.س، وبَعْضهم يَبيعه بـ ٢٠٠٠٠ ل.س وقَدْ عَمَد بَعْض التّجار عَنْ بَيْع المحْروقات بقَوْلهم أنّ النّفْط لا يَصلُهم منَ المنَاطق الشّرْقية، وهَذا ما أَكّد عليْه أبو صَالح لمراسل حنْطة حَيْث قَال: «لَمْ تَعُد نَبيع المحْروقات مثْل السّابق وبنَفْس الأَسْعار لأنّ الطُرقات تَوقّفت عنْ العَمَل ولَمْ تَعُد تَصلنا المواد مثْل السّابق».

فصْل الشّتاء زَاد منَ المُعاناة أيْضاً

ارْتفاع أَسْعار المازوت رَافَقه ارْتفاعٌ لأَسْعار الغَاز وهُو الوَسيْلة الثّانية للتّدْفئة عنْد المواطن السُّوريّ، ومَع قُدوم الشّتاء في كلّ عَام تَزْداد أَسْعار النّفْط بشَكْل عَام حتّى وَصَل سعْر أُسْطوانة الغَاز في هَذا العَام في الرّيف الإدْليبيّ مثَلاً إلى ٥٥٠٠ ل.س في المنَاطق الخَارجة عنْ سَيْطرة النّظَام، أمّا في المنَاطق الموالية للنّظام، فقَدْ وَصَل سعْرها إلى ٣٠٠٠ ل.س.

عبْد الكريم أَحَد سكّان ريف إدْلب وهُو منْ سكّان مَدينة جسْر الشُّغور يَعيشُ مَع عائلته المكوّنة منْ سبعة أَشْخاص يَشْرح مُعَاناة العَائلة في هَذا الفَصْل. وفي ظلّ الارْتفاع في أَسْعار المحْروقات: «مَع بداية كلّ شِتَاء تبْدأ أَسْعار المحْروقات بالارْتفاع رُويداً رُويْداً حتّى تَصل لمرْحلة الانْقطاع في آخر الشّهْر ، ويبْدو أنّ هَذا الشّتاء هُو الأَصْعب لسبَبيْن، الأوّل هُو انْقطاع المادّة، والثّاني هُو غَلاؤُها».

منْ جِهتها أَصْدرت الحُكومَة السّورية، تقْلاً عنْ وَكَالة الخَبْر المقرّبة منَ النّظام، تعْليماتها بزيَادة عَدد أُسْطوانات الغَاز الموزّعة للمَدنيين لتعْويض النّقْص الحادّ منْ هَذه المادّة، هَذا الأَمْر الذي تَفَاه (أَحمَد) أَحَد القَاطنين في مَدينة حَماة في أَحَد الأَحْياء الموالية للنّظام،حيْث قَال: «هُناك نقْصٌ كَبيْر في الغَاز والمازوت، حَيْث انْتقلْنا إلى الطّبْخ على الحَطَب بسَبَب الانْعدام شبْه التّام للغَاز».

ماذا عنْ المُوطن السّوريّ؟

يبْقى المواطنُ هُو المتضرّر الأَكْبر منْ هَذا الارْتفاع ففي ظلّ الارْتفاع الكَبيْر في المواد التّمْوينيّة يَأْتي الارْتفاع الأَخير ليُلْقي بظِلاله على هَذه المواد، فَجميْع المواد التّمْوينية تقْريباً مُتعلّقة بمَادة المازوت، فالخَضْراوات مَثلاً تَتطلّب سِقَايةً، والسّقاية تَتطلّب مُولّدات تعْمل عَلى مَادة الدّيزل لسَحْب المياه منَ الآبار أَوْ الأَنْهر.

(وَقْت بيرْتفع سعْر المَازوت بيرْتفع ضَغْطنا مَعو)

هَذا هُو لسَان حَال يحْيى أَحَد بَائعي الشّاورْما في ريفْ إدْلب يَشْرح مُعَاناته في ظلّ ارْتفاع أَسْعار الغَاز حَيْث قَال: «بأنّ مَادة الشّاورْما سَوْف تَنْتظر لرَفْع سعْرها لَيْس حبّاً بالمال، بالعَكْس تَماماً، سَوْف يَخفّ الطّلَب عَليْها ممّا يُؤدّي إلى قلّة في الأَرْباح».

وبالمقَابل، هَذا الارْتفَاع في أَسْعار المحْروقات انْعكَس سَلْباً على أَصْحاب المولّدات الكَبيْرة في المنَاطق الخَارجة عنْ سَيْطرة النّظَام حَيْث تُعْتبر هَذه المولّدات عَصَب الحَيَاة الوَحيْد للأَهَالي كَوْنها تُنيْر بُيوتهم في ظلّ الانْقطاع التّام للتّيار الكَهْربائيّ، فَقَد اضْطرّ أَصْحاب هَذه المولّدات إلى خَفْض سَاعَات العَمل منْ عشر سَاعات إلى سبع أَوْ ست سَاعات يَوْمياً، ومنْهم أَيْضاً رَفْع سعْر الاشْتراك الشّهْري للأَمْبير الواحد إلى ٦٠٠٠ ل.س، بدلاً من ٤٠٠٠ ل.س.

ويقُول أَحَد القَائمين على هَذه المولّدات: «نَجد صُعوبة كَبيْرة في إيجَاد مَادّة الدّيزل، وحتّى إنْ وَجَدْناها فَسوْف تَكون بأَسْعارٍ عالية، فتجّار الدّم، هُم سَبب هَذه الأَزْمة، فَهُم يَسْتحكمون بالمواطن وبنا، خُصوصاً وأنّنا نَحْتاجُ الدّيزل بكميّات كَبيْرة تلبيةً لاحْتياجات المحوّلات».

وكلّ هَذه الأُمُور السّابقَة سَوْف تُؤدّي إلى شَلَلٍ في الأَسْواق أَوّلاً، والمؤسّسات الخَدميّة ثانيَاً، فالسّيارات والمعَامل وَأَدَوات الرّي (الزّراعة)، والمولّدات، وعُمّال الإطْفاء، والأَفْران، كلّها تعْمل عَلى مَادتيْ الدّيزل والغَاز، وفي ظلّ هَذه المشْكلة نَاشَد الأُسْتاذ علي .ح أَحَد العَامليْن في المجَالس المحليّة في ريْف إدْلب، نَاشَد الحُكومة المؤقّتة والائْتلاف الوَطنيّ بزيَادَة مُخصّصاتها للمَجَالس المحليّة، والتي لمْ تُخصّص أَصْلاً، حَيْث تَقدّم هَذه المخصّصات عَلى شَكْل مِنَح تُوزّع عَلى الموظّفين حَيْث اعْتبرها رَوَاتب (زَهيْدة جدّاً) بالمقَابل، فإنّ أَقلّ راتبْ تُخصّصه الحُكومة المؤقّتة لموظفيها في الخَارج يُعادلُ ٧٠٠ $ تقْريباً.

وأَضَاف: «هُنالك الكَثير منَ المجَالس أَعْلنت عَنْ عَجْزها التّام في القيَام بعَملها بسَبَب الشّحّ في الدّعْم الوَاصل إليْها، ومَع هَذا الغَلاء الذي يَحْصل الآن، سَوْف تعْمل كلّ ما بوسْعنا لخَفْض أَسْعار المحْروقات والمواد التّمْوينيّة، وبالمقَابل نُريد منَ الجهَات المعْنيّة في الخَارج ومنَ الجهَات التي هيَ في سُبَات منْذُ بدَايَة الثّوْرة، نُريد منْهم زيَادة في المخصّصات لأنّ مُواطن الدّاخل بَدَأ يَشْعر بأنّ حَياته أَصْبحت لعْبَة في أَيْدي الخَارج».

الحبّ في زَمن الحَربْ

لينا الحكيم

«المحبّة قَويّة كالموْت» هَذا مايقُوله الإنْجيل. بَعْد مُضي أرْبَع سَنوات عَلى الحَرْب في سُورية، وتَأْثيراتها عَلى كافَة مَناحي الحَياة، لمْ يَنْجُ الحُبّ منْ تَأْثيراتها كَذَلك.

«غَيّرت الحَرْب الكَثيْر منْ نَظْرتي للحُب، حَيْث تَحوّل الحُبّ في الحَرْب إلى أَشدّ عُنْفاً وأَكْثر دَفْقاً وأَقْوى تَأْثيراً. عدا عَن أنّ وُجودَ الموْت الدّائم في كُلّ لَحْظة منْ حَيَاتنا قَتَل الغَد الذي أدّى إلى تَحْويل الحُبّ إلى الآن، واليوْم لَمْ أَعُد أُفكّر كَغد أوْ مُسْتقبل. وتَحوّل الحُبّ في ظلّ الحَرْب إلى مُحاولات الحَياة ضدّ الموْت» تقُول رشا ذات الـ ٢٦ عَاماً. تُكْمل رَشا قصّتها، فَفي بدَاية الحَرْب كانَت في عَلاقة عَاطفيّة، مَع الوَقْت تَحوّل شَريكُها إلى مُتطرّف دينيّ، ممّا جَعَل الفُراق أمْراً حتْميّاً في نِهايَة المطَاف. أمّا العَلاقة الثّانيّة فانْتهَت بَعْد اضْطرار الشّريك إلى السّفَر بسَبَب الظّرُوف الأَمْنيّة، أمّا العَلاقة الأَخيْرة التي تعيْشها الآنَ فتقُول عَنْها: «هُناك مَقُولة تقُول أنّ العَلاقات التي تَتكوّن في ظلّ ظُروف غَيْر طَبيعيّة كالحَرْب، فَلا يُمْكن لَها أنْ تَسْتمر في ظُروف طبيعيّة. لكنْ يُمْكنني أنْ أُضيف أنّ الحُبّ في ظلّ الحُرُوب يكُون أَقْوى بمئَات المرّات منْ ذَاك الذي يَنْشأ في ظلّ الظّرُوفِ الطّبيعيّة».

أمّا مَرْوة، ذاتُ الـ ٢٧ عَاماً، فتقُول أنّ الحَرْب كَانَتْ سَبَباً لانْفصَالهما، حَيْث أنّه رَمَى كلّ شَيْء خَلْفه خَوْفاً منَ الموْت وسَافَر، فَقرّرتْ أنْ تَدْخل في عَلاقات مُؤقّتة لأَجْل السّعَادة فَقَط، فَهيَ تتّفق مَع رَشا بأنّ لا ضَمَانة للحَياة غَداً: «منَ المُمْكن أنْ نَمُوت في أيّ لَحْظة، وبالتّالي فالعَلاقَة مُعرّضةٌ للمَوْت أيضاً، واحْتمال الخَسَارة قائمٌ دَائماً، إمّا خَسَارة الشّخْص كوُجود، أوْ خَسَارة العَلاقَة لسَبب مَا، الحُبّ شَيْءٌ غَيْر أَبديّ، وغَيْر دَائم، وليْس ضَرُورياً أنْ تَشْتمل كلّ عَلاقَاتنا على الحُبّ فَمنَ المُفْترض أنْ نَعيشَ، لا أنْ نَنْتظر الحُبّ أنْ يأْتينا».

أمّا نور ذات الـ ٢٤ عاماً، فَكَان لَها رَأْي مُخْتلف، وتَجْربة مُخْتلفة، «أَصْبحتُ أَكْثر قَسْوة في العَلاقات العَاطفيّة الوَاقعيّة، وأَكْثر حَميميّة في العَلاقَات العَاطفيّة الافْتراضيّة، ربّما لأنّها تُتيح مَجالاً للحُلُم خَارج سُورية، والعَيْش بتَفَاصيل أَكْثر هُدوءاً بَعيْداً عَن ظُروف المعيْشة القَاتلة في سُورية، والتي لا تَمُتّ للإنْسانيّة بصِلَة». وتُعلّق سَاخرَة: «غَيّرت الحَرْب نَظْرتي للحُبّ بأنْ أَصْبح عَمليّاً أَكْثر، مُحَاطاً بنَظْرة وَاقعيّة للظُروف المَادّية والاجْتماعيّة، بَعيْداً عَن المشَاهد الرّومانْسيّة والتّوافق الفِكْريّ، عَلى طَريقة أُمّي وجَدّتي».

شاب سوري يعزف لحبيبته

هُدى (٢٨ عاماً) حِكَايةٌ أُخرى، فمُنْذ أَكْثر منْ خَمْس سَنوات كانَتْ هُدى في عَلاقة عَاطفيّة مَع زَميْلها في الجَامعَة، وكَانَ منَ المقرّر أنْ يَتزوّجا بَعْد انْتهائِه منْ خدْمَته العَسْكريّة الإلْزاميّة، ولكنّ الحَرْب وَقَعتْ، فَتمّ الاحْتفاظُ بِه، مَثله كَمثل كلّ العَسْكريّين الإلْزاميّين، إلى أنْ إنْشقّ عن الجَيْش وانضمّ إلى صُفوف الجَيْش الحُرّ واسْتقرّ في مَدينَة الطّبْقة –مَدينَته– بَعْد أنْ أَصْبحت تَحْت سَيْطرة الجَيْش الحُرّ، وحيْن قرّرا الزّواج، دَخَل تَنْظيم الدّولة وفرّ الشّابُ هَرَباً منْهم، إلى أنْ رَحَل إلى تُركيا عنْ طَرِيْق التّهْريب بدُون جَوَاز سَفَر، وبَعْد سَنة منَ التّشرّد في تُركيا قرّر رُكوبَ البَحْر طَلَباً للجُوء: «رمَى بنَفْسه وتَنفّسي لأَقْدار البَحْر والغَرْب البَعيْد عَلى أَمَل أنْ يَلمّ شَمْل هَذا الحُبّ في بُقْعة لاحَرْب فيْها ولا خَوْف ولا قِتَال»، تَقولُ هُدى بغَصّة.

أمّا نَظْرة هُدى للحُبّ فتَقُول «أنّ الحُبّ هُو نَفْسه في كلّ مَكَان وزَمَان، ولكنْ في الحَرْب تتَفاقم المشَاعر ليَغْدو الحُبّ برّاً للأَمَان المفْتقد في ظلّ الحَرْب، أوْ لنَقُل هُو وَسيْلةُ الإنْكار التي نَسْتخدمها لنَتقبّل العَيْش في هَذا الجُنون الدّمويّ، حيْن تَغْمرك المآسي منْ كلّ صَوْب تَحْتاج إلى شَخْص يقُول لكَ أنا مَعَك».

أمّا أَحْمد (٢٣ عاماً) فيَنْظر للأَمْر منْ زَاوية أُخرى مُخْتلفة عَن الفَتيات، «لتَأْسيس الحُبّ يَجبُ أوّلاً أنْ نَكُون مُجهّزين نَفْسياً عَلى أَقلّ تَقْدير لاسْتقْبال الحُبّ، أيْ الاسْتقْرار. بدُخول الحَرْب، لَمْ تَعُدْ تَعْرف مَعْنى الاسْتقْرار، ما أدّى لغيَاب الحُبّ الذي كُنّا نَحْلم أنْ نتَوّجه بالزّواج. ومنْ بابٍ آخر، وفي حَال اسْتَطعْنا أنْ نُغْفل دَوْر الاسْتقْرار في الحُبّ، لا نَسْتطيع أنْ نُغْفل دَوْر الهجْرة والنّزوْح واللّجوء». لا يُنْكر أَحْمد إمْكانيّة الحُبّ في ظلّ الحَرْب، ولكنْ يَضَع لَه شُروطاً مُمْكنة لاسْتمراريته: «الحُبّ في الحَرْب لَه شُروط كَحَتْمية الانْتمَاء لمعْتقد وَاحد، والانْتماء لمدينةٍ وَاحدة، بَلْ وحتّى لمَناطق تُسيْطر عَلْيها جِهَة وَاحِدة منَ الجهَات المتَقَاتلة».

أمّا سَامر (٢٥ عاماً) فَلَه رَأْي مُشَابه لأَحْمد: «لاشكّ أنّ الحَرْب أَثّرتْ على العَلاقة العَاطفيّة، وكَثيْراً مَا برَزت حجّة أنّ هَذا الوَقْت غَيْر مُلَائم للدّخُول –أوْ أحْياناً حتّى الاسْتمرار– في عَلاقَة عاطفيّة، ربّما في مَرَاحل سَابقة منْ هَذه الحَرْب كانَ الأَمَل مَوْجود بتَغيّر الحَال للأَفْضل، و بالتّالي العَوْدة سَريعاً للحَيَاة بكلّ تَفَاصيْلها، لكنّ مَأْساوية الحَال وتَدرّجها سَلْباً أدّى مَع مُرُور الوَقْت للإصَابة بمَا يُشْبه الضّمُور العَاطفيّ، واسْتبْداله بالفَرَاغ الدّائم. ربّما تَأَثّر مَفْهومي للعَلاقة، لكنّ هذَا التّأْثير لَمْ يَكُن بتَأْثير مُبَاشرٍ للحَرْب، فاللّجوء والعَيْش بالدّول المجَاورة، واخْتلاف البيْئة، والوَسَط المحيْط سَاهَم، لحَدّ مَا، بالتّأْثيْر عَلى مَفْهوم العَلاقة أَكْثر منَ التّأْثير المبَاشر للحَرْب».

والجَدْير بالذّكْر، أنّ نِسْبة العُنوسَة في سُورية ارْتَفعت إلى ٧٠٪، ومَازَال قَابلاً للارْتفاع، لتَحْتلّ سُورية المرْتبة الثّانية عَربياً بَعْد لُبْنان الذي وصَلَت النّسبة فيه إلى ٨٥٪، بحَسْب تقْرير أَصْدرته إذاعة مُونت كارْلو في وقتٍ سابقٍ منْ هذا العام، أمّا البَاحثة الاجْتماعيّة إيفا عَطفة، فتَعْترض على كَلمة العُنوسَة، وتَسْتبدلها بارْتفاع سنّ الزّواج منْ ٢٦ إلى ٣٧ عاماً للشّباب، و من ٢٣ إلى ٣٢ سَنة بالنّسْبة للفَتيات.

أربعة أشهر لانتخاب مجلس محافظة في حلب تحت ظل تهديد الحكومة المؤقتة له بعدم تقديم الدعم

عماد حسو

مجلس محافظة حلب الحرة

عَلى خَطّ مُوازٍ لتَراجُع الجَيْش الحُرّ في مُحافظة حَلَب، واقْتراب النّظَام السّوريّ من حصَار المَناطق المحرّرة، دَخَل أَعْضاء الهَيْئة العَامّة دَوّامة انْتخَابَات مَجْلس مُحافظة حَلَب الحُرّة، حَيْث قَام أَعْضاء الهَيْئة العَامّة مَع انْتهَاء دَوْرتهم الانْتخابيّة بالتَجْديد لأَنْفسهم لدَوْرة ثَانيّة، وذَلك نَتيْجة للوَاقع الأَمْنيّ السّيء في المدِيْنة، وبالتّالي وَجَب عَليْهم تَشْكيل مَجْلسيْ المحَافظة والمدِيْنة لحَلَب.

تمّ التّجْديد لمجْلس المدِيْنة مَع تعْويض النّقْص الحَاصل لأَعْضاء المكْتب التّنْفيذيّ وإقْرار إجْرَاء انْتخَابَاتٍ لتَشْكيل مَجْلس مُحافظة حَلَب الحُرّة خلَال شَهْر تَمّوز منَ السّنة الحَاليّة، إلاّ أنّ الكَثيْر منَ الخلَافَات بَيْن أَعْضاء الهَيْئة العَامّة حَالَت دُون تَشْكيل هَذا المجْلس حتّى يَوْم ١٠/٢٠ حَيْث تَمّ انْتخَاب مَجْلس مُحافظة مُهدّد بعَدَم تقْديم الدّعْم منْ قبَل الحُكُومة المؤقّتة.

أدّى غيَابُ النُّظُم وعَدَم وَضْع الآليّات وتَشْكيل اللّجَان المحدّدة لطَريْقة العَمَل والانْتخَاب في مَجْلس المحَافظة لصرَاع مَا زَالَتْ تَنَائجه بَاقيّة حتّى وَقْتنا الحَاليّ، وقَدْ تُهدِّد اسْتمْرار مَجْلس المحَافظة المنْتخب حَديْثاً.

اكْتفتْ الهَيْئة العَامّة ببَعْض التّوْصيَات المحدّدة لعَملها، وبتَشْكيل لجَنَة تَنْظيميّة انْبثَق عَنْها لجَنَة الطّعُون دَارَت حَوْل قَرَارَاتها الكَثيْر منَ التّسَاؤلات. كَذلك أدّى عَدَم تَشْكيل لجَنة انْتخَابيّة لفَرَاغ تَنْظيميّ كَبيْر أجّج الصّرَاع بَيْن أَعْضاء الهَيْئة العَامّة، وفَتَح طَريْقٍ للاجْتهادَات الشّخْصيّة بَعيدٍ عَن الالْتزَام بالقَوانيْن.

يقُول عُمَر بيسْكي عُضْو الهَيْئة العَامّة، وعُضْو اتّحَاد مَجَالس الأَحْياء في حَلَب (قَائمَة كرْمالك يا حَلَب): «إنّ المشْكلة الأَساسيّة في هَذه الانْتخَابات هي قَرَارات لجَنَة الطّعُون التي لا تَعْترف بها، هُنَاك خَلَل في هَذه القَرَارات، حَيْث تَمّ في إحْدَاها قَبُول طَلَب هَيْئة المحَامين الأَحْرار باسْتبْدال أَعْضَائهم في الهَيْئة العَامّة مَع العلْم بأنّ تَوْصيات الهَيْئة العَامّة تقُول بأنّ العُضْوية في الهَيْئة العَامّة لا تَنْتهي إلاّ بمَوْت العُضْو أَوْ تقْديم اسْتقَالَته، وبالتّالي قَامَت لجَنَة الطّعُون بخَرْق وَاضح لهَذه التّوْصيات مَع العِلْم بأَنّنا في اتّحَاد مَجَالس الأَحْياء عَملْنا عَلى اسْتبْدال عَشَرة أَعْضاء غَيْر فعّالين وذَلك بَعْد قَبُول لجَنَة الطّعُون طَلَب هَيْئة المحَامين الأَحْرار، ولكنْ طَلَبنا قُوبلَ بالرّفْض»، ويُكْمل عُمَر قَائلاً: «يُوجَد خَلَل في جَميْع قَرَارات لجَنَة الطّعُون»..

إذاً، مُخَالفة لجَنَة الطّعُون لتَوْصيات الهَيْئة العَامّة، وصُورَة الازْدواجيّة التي ظَهَرت به، جَعَلتْ منْ وُجُودها مُعرْقلاً للانْتخَابَات بَدلاً منْ دَوْرها في النّظَر في تَظلّمَات الأَعْضاء، والعَمَل عَلى تَحْقيق الدّوْر الرّقَابيّ المحَاسب للتّجَاوزات أَوْ التّقْصير الحَاصل لَدَى بَعْض أَعْضاء الهَيْئة.

لجَنَة الطّعُون هَذه لَمْ تَكُن المشْكلة الوَحيْدة، فَعَدم العَمَل عَلى صيَاغَة النُّظُم والقَوانيْن والتّقْصير في أَدَاء الوَاجب هُو مَا كَانَ يُعَانيه مَجْلس المحَافظة السّابق. وفي ذَلك يُحدّثنا أَحْمد ديري عُضْو الهَيْئة العَامّة في مُحَافظة حَلَب عنْ كُتْلة الوَفَاء، ومُدير مَكْتب الإدَارَة المحليّة في مَجْلس مَدينة حَلَب، حَيْث يقُول: «إنّ المشْكلة الكُبْرى تَكْمن في أَدَاء عَمَل مَجْلس المحَافظة السّابق، حَيْث لَمْ يَسْتطع عَبْد الرّحْمن دَدم، رَئيْس مَجْلس مُحَافظة حَلَب، القيَامَ بدَوْره كَمَا يَجب، تقْصير كَبيْر في عَملِ المكَاتب التّنْفيذيّة حَيْث غيَابُ أَعْضاء المكَاتب التّنْفيذيّ عَن مَكَاتبهم، ومَع ذَلك لَمْ تَتمّ مُحَاسبتهم. تَعزّز ذَلك منْ خلَال تقَارير قَدّمتْها اللّجْنة الرّقَابية، واللّجْنة الإدَاريّة. فقَامَت اللّجْنة التّنْظيميّة بالعَمَل عَلى اسْتبْدال كُلّ عُضْو لَمْ يُحقّق نسْبَة ٤٠ ٪ منَ الحُضُور. إلاّ أنّ الأَعْضاء تَظلّموا لَدَى لجَنَة الطّعُون وتَمّ إعَادتَهم. بالإضَافَة لذَلك دَعَوْنا لاجْتمَاع هَيْئة عَامّة وَقّع عَليْه ٢١ عُضْو من أَعْضاء مَجْلس المحَافظة، علْماً أنّ الاجْتمَاع الاسْتثْنائيّ في الهَيْئة العَامّة يَتطلّب مُوَافقة ثُلُثَي الهَيْئة العَامّة، أَوْ نصْف أَعْضاء مَجْلس المحَافظة +١ أَي يَجب أَنْ يَكُون عَدَد المؤَافقين ٢٣، ولَكن إيْمَاناً منّا بضَرُورة حلّ مُشْكلة انْتخَابَات مَجْلس المحَافظة، حَضَرنا الاجْتمَاع نَحْن كُتْلة الوَفَاء وكَانَ مَعَنا المهنْدسون الأَحْرار وبَعْض مُمثّلي مَجَالس الأَحْياء، ولكنّ الدّدَم تَرأّس للجَلْسة، عِلْماً أنّنا قَدْ كُنّا قَدّمنا طَعْناً بسُوء إدَارتَه وتقْصيره في عَمَله، وكَانَ منَ المفْترض أنْ تُنَاقش ذَلك في الجَلْسة، فَكَيْف يَكُون مُديْراً للجَلْسة وفيه قَرارُ تَظلّم».

يُكْمل الديري قائلاً: «قُمْت بطَرْح مُبَادرة في الحَادي عَشر منَ الشّهْر الفَائتِ تَنصّ عَلى الموافَقة عَلى جَميْع قَرَارات اللّجْنة التّنْظيميّة، ورَفْض قَرار لجَنَة الطّعُون الخَاصّ باسْتبْدال مُرشّحي المحَامين

الأحرار، وتشكيل لجنة انتخابيّة، وتشكيل لجنة عامّة لوضع نظام داخليّ للهيئة العامّة. تمّ إقرار المبادرة من قبل أعضاء الهيئة العامّة المجتمعين، وتحديد ٢٠١٤/١٠/٢٠ يوم انتخاب مجلس المحافظة الجديد. إلاّ أنّنا تفاجأنا بقرار من الحكومة المؤقّتة يُلغي كلّ قرارات لجنة الطّعون، وإلاّ فلن يتمّ الاعتراف بمجلس المحافظة الذي سينتخب».

إذاً، اختراق القوانين وعدم احترام توصيات الهيئة العامّة وتغليب الاجتهادات الفرديّة على المصالح العامّة كذلك ضعف النّصوص والنُّظم القانونيّة المحدّدة لعمل الأعضاء ولآليّة انتخابهم وتقصير المجالس المنتخبة سابقاً في صياغة تلك النّصوص والقوانين كان له الأثر الكبير في عرقلة انتخابات مجلس المحافظة لمدّة أربعة أشهر، علماً بأنّ مُدّة الدّورة الانتخابيّة هي ستّة أشهر ، يقول المحامي الأستاذ عبد القادر رحيم في ذلك:

«أدّت قرارات لجنة الطّعون إلى خلل قانونيّ كبير ساهم بدوره بخلق خلل في تركيبة العمليّة الانتخابيّة، الأمر الذي دفع اللّجنة الاستثنافيّة، والتي قامت الحكومة المؤقّتة بتشكيلها، لإلغاء كافّة قرارات لجنة الطّعون. وأعتقد بأنّ ذلك هو الإجراء القانونيّ المناسب، كما أعتقد بأنّ من حقّ أيّ عضو في الهيئة العامّة أنْ يكون ناخباً ومُنتخباً، ويجب احترام قرارات الهيئة العامّة، وأيّ خروج عليها يُعتبر غير قانونيّ وغير شرعيّ. كما أقترح إجراء انتخابات هيئة عامّة جديدة يتمّ بعدها انتخاب مجلسيْ محافظة ومدينة كحلّ لهذه المشكلة».

لم يكن لدخول الحكومة المؤقّتة على الخطّ من خلال إلغاء قرارات لجنة الطّعون والتّهديد بعدم الدّعم أيّ تأثير على الانتخابات، حيث تمّت في موعدها المحدّد مع انسحاب بعض الأعضاء، وامتناع البعض عن التّصويت. وسيعمل الأعضاء المنتخبون لمجلس محافظة حلب الحرّة على إجراء انتخابات يُحدّد من خلالها رؤساء المكاتب التّنفيذيّة والمناصب القياديّة في المجلس. فما هي طبيعة العلاقة التي ستربط المجلس بالحكومة المؤقّتة، وهل ستترك الحكومة المؤقّت مجلس محافظة حلب وحيداً وحلب على أبواب الحصار؟. هذا ما ستُخبرنا به الأيّام القليلة القادمة.

السجل المدني في حلب: ولادات، ووفيات، وعقود زواج وطلاق برسم الاعتراف

مكتب حلب – محمد النجار

بعد خروج معظم المناطق في محافظة حلب عن سيطرة النظام، وفي ظل تعطل أمانات السجل المدني وخروجها عن الخدمة، كان لابد من إعادة تشكيل وهيكلة أمانات جديدة لتحقيق مصلحة المواطن في تسجيل الولادات الحديثة، والوفيات، وتسجيل عقود الزواج والطلاق، وإعطاء بيانات القيد الفردية والعائلية، والبطاقات الشخصية، وغيرها من بيانات القيد المدني. وبعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على التحرير، شهدت المناطق المحررة ولادات جديدة تقدر بحوالي ٨٠٠٠ حالة ولادة سنوية، وبالتالي حوالي ٢٤٠٠٠ حالة ولادة خلال السنوات الثلاث، وحتى الآن لم تسجل هذه الولادات، وهناك بالمقابل وفيات وعقود زواج وطلاق أيضاً لم تسجل، ناهيك عن مشكلة الحصول على بطاقة شخصية للتعريف بالأشخاص الذين بلغوا الخامسة عشر، أو الأشخاص الذين أضاعوا بطاقاتهم الشخصية وأرادوا تعويضها. هذه المشكلة تصدى لها المكتب القانوني في مجلس محافظة حلب الحرة وذلك عبر طرح مشروع إطلاق وإحداث مديرية الأحوال المدنية في محافظة حلب الحرة، حيث تم في الدورة الأولى لمجلس محافظة حلب الحرة إحداث وتفعيل مكتب الشؤون المدنية، وتم استكمال كافة الإجراءات الشكلية والموضوعية. وقام المكتب القانوني بجولات ميدانية على كافة أمانات السجل المدني في ريف حلب من أجل البحث والتحري عن مصير السجلات في الأمانات، والتواصل مع العاملين في الأمانات وإجراء حوارات معهم حول وضع الأمانة وعدد كل السجلات، ووضع الأمانة من حيث البناء والأجهزة واستعداد العاملين المشهود لهم بالثورية، للتعاون والعمل مع مجلس محافظة حلب الحرة.

ثم تم التواصل مع شخصيات هامة لا تزال قائمة على رأس العمل للحصول على معلومات هامة وأبدوا تعاوناً على كافة المستويات، وبعدها تم إعداد دراسة قانونية من قبل المكتب القانوني في مجلس المحافظة تضمن آلية العمل، والهيكلية، والتوظيف، وتفعيل مديرية الأحوال المدنية، وإعداد دراسة حول التأهيل والتدريب للعاملين. ثم قام قسم الشؤون المدنية بطباعة سجلات أساس وقيد بكافة أنواعها مع كافة الأوراق المستخدمة لدى الأمانة وذلك منذ تاريخ ٢٠١٣/١/١ ووضعت في المستودعات، كما تم إعداد دراسة حول إصدار بطاقات شخصية وعائلية، وجوازات سفر للمواطنين، وذلك إنطلاقاً من مبدأ أن إطلاق مديرية الأحوال الشخصية يُسهم في إسقاط النظام ونزع الشرعية عنه. بل أن إطلاق مديرية الأحوال الشخصية لا يقل أهمية عن الجناح العسكري، ويلبي متطلبات الشعب ومصالحه وقد تم استكمال كافة الإجراءات القانونية لإطلاق المديرية في نهاية الدورة الأولى وفي الدورة الثانية لمجلس محافظة حلب الحرة.

وكان أن تم متابعة الموضوع، كما تم إجراء دراسة تفصيلية ودقيقة تتضمن مايلي: الميزانية، وإعداد استبيانات عن كل أمانة بدراسة حديثة جداً، وتسجيل احتياجات كل أمانة، وعدد الموظفين العاملين في كل أمانة، وملاك كل أمانة، سجلات كل أمانة. كما تمّ إعداد مشروع قانون للأحوال المدنية، وكذلك إعداد مشروع تدريبي. وقد تم إرسال هذه الدراسة إلى الوزير المختص في الحكومة السورية المؤقتة لكننا تفاجأنا بتعطيل المشروع، والقرصنة العلمية عليه، وسرقة عملنا من قبل الوزارة حيث أصبحت الوزارة تتعامل مع أشخاص وليس مع مرفق عام وهو مجلس محافظة حلب الحرة وتم تعطيل المشروع.

فلمصلحة من تم توقيف هذا المشروع الذي يصب في خدمة المواطن وفي إسقاط مؤسسات النظام وفي إثبات قدرة المعارضة على بناء المؤسسات وقيادة الدولة والمجتمع؟

الكَهْرباء في سورية، حكايةُ نصْبٍ واحتيالٍ وسَمْسرة!

علي عمار

استجرار الكهرباء بطريقة غير شرعية

استجرارٌ غيْر مشْروعٍ للكهْرباء، بدون كهْرباء!

أوْضحت وزارة الكهرباء أنّ عدد الضّبوط التي نُظّمت بخصوصِ مُعالجة وقَمْع حالات الاسْتجرار غيْر المشْروع للكَهْرباء خلال الفَتْرة ١/١٤ حتّى ٢٠١٤/٨/٧، وحسْب التّقْرير الخاصّ الصّادر عنْ مؤسّسة توْزيع الكَهْرباء، تَجاوز الثّلاثين ألْفَ ضبْط (٣١١٧٢ ضبطاً)، حيْث حلّت شَرِكة كهْرباء اللّاذقيّة في المرْتبة الأولى، تَليها مُحافظة دِمشْق ويتوزّع العددُ الْباقي على المحافَظات الأُخْرى، حيْثُ ضَاعَفت المؤسّسة العامّة لتوزيع الكَهْرباء منْ جُهودها لمُكافحة الاسْتجْرار غيْر المشْروع للتيّار الكهْربائيّ. كما أكّدت الوَزارةُ أنّ الحَمْلة ساهَمت بتخْفيض كميّة الاسْتجرار غيْر المشْروع للكَهْرباء والذي يُؤدّي إلى إلحاقِ أضْرارٍ كبيرةٍ بالمحوّلات والشّبَكات نتيجةَ الحُمُولة غيْرِ الزائدة!.

وبيّنت الوزارةُ أنّ واقع البُنى التّحْتيّة لقطّاع الكَهْرباء جيّد، بالرّغْم من الاسْتهْداف المَمَنْهج الذي تتعرّض له، ويبْقى التّحدّي الأكبْر هُو تَأمين الوُقود لمحطّات التّوْليد المتوقّفة!.

أيّ كَهْرباء تتحدّثُ عَنْها الوَزارة، أيُّ واقعٍ جيّدٍ ونَحْن لا نكادُ نَرى الكَهْرباء تُضيءُ مَنازلَنا وشَوارَعنا ساعةً في اليَوْم.

الوَاقع الكَهْربائيّ المَشْبوه

في بدايةِ التّسْعينات من القَرْن الماضي، كانَ التّقْنين يُشكّلُ كابوساً على النّاس كمَا هو حَاله الآن، وكانَ السّببُ في ذلك الوقْت، كمَا تبيّن لاحقاً، أنّ وَزيرَ الكَهْرباء كانَ شريكاً في صفقات استيراد مجموعات التوليد المنْزليّة الصغيرة. وقد تمّ طَرْد الوزيرَ من منْصبه، وانتهى التّقنين «المفْتعل» وقتها.

وزير الكَهْرباء يُدمّر اقتصاد سورية

إنّ مُشْكلة التّقْنين لها آثارها الاقْتصاديّة والاجْتماعيّة، وهي تَضرّ كلّ فَرْد منْ أفْراد المجْتمع، كما أنّ المولّدات الصّغيرة قدْ ملأت الشّوارعَ بضَجيجِها ودُخانِها، إضافةً إلى أنّها تَسْتنزف مَلايينَ اللّيرات يوميّاً، كَمَا أنّ التّقْنين لأكْثر منْ عشْرين سَاعة يَوْميّاً تَسبّب بخَسارةٍ تَزيدُ عنْ الـ٣٠ مليارَ ليْرةٍ سُوريّةٍ شَهْرياً.

لماذا لا يُطالب وزيرُ الكَهْرباء منَ الحُكومة مُطالبة كلّ وَزارة تَشْغيل المولّدات الاحْتياطيّة المَوْجودة لدَيْها في هَذه الظُّروف الصّعْبة، والتي كلّفت الدّولة مِلْيارات اللّيرات السوريّة، وتزيدُ اسْتطاعتها الإجْماليّة عن الـ١٥٠٠ ميغا واط مُنْتشرة في أنْحاء القِطْر، وكانَ بالإمْكان الاسْتفادة على الأقل من ١٠٠٠ ميغاواط، كَما أنّه يُمْكن أنْ يُطالبَ المشَاريعَ المائيّة أنْ تُشغّل مضخّاتها ليْلاً، وأنْ تَسْتخدم مَجْموعات التّوليد لديْها.

إنّ تَضْخيم الأُمور يُشْبه كَلمَة حقّ يُراد بِها باطل ليُضلّل بها الشّعْب. فمَثَلاً عنْدما تمّ تفْجير أبْراج التّوتر العالي، والّذي أدّى إلى انْقطاع الكَهْرباء عنْ عدّة مَناطِق، قامَتْ الوزارةُ بزيادةِ التّقْنين، عِلْماً أنّ هذا العَمَل يَجبُ أنْ يُؤدّي إلى انْخفاض سَاعَات التّقْنين عنْ المحَافظات الأُخْرى، لأنّه في هَذه الحَالة سَيَقْطع الكَهْرباء عنْ تلْك المحَافظات بالكَامل، أوْ أنّه سَيُلْجأ إلى تغْذيتها عنْ طريقِ خُطوط الـ ٦٦ ك.ف، أيْ باستطاعةٍ أقلّ، وفي كلْتا الحَالتيْن سَتكُون التّغْذية أقلّ.

النّساء ضحيّة وَزارة الكَهْرباء

يُثيرُ الانْتباه الحَركة المتزايدة في أَرْوقة القَصْر العَدْليّ في دِمشْق، فَيتَبادرُ إلى ذهْنك أنّ هَذه الحَركة المتزايدة ناتِجة عنْ انْتظار المواطنين الإفْراجَ عن أبنائِهم أوْ أُخْوتهم. لكنْ ما يُفَاجئ أنّ هذِه الحَركة تَقْتصر على نَوْع مُحدّد منَ المحاكم هيَ «مَحاكم الصّلْح المدَنيّ» ما يثير لَديْك الفُضولَ لمعْرفة مَا يَحْدث!.

تقْترب منْ أَحدهم، تَسْأله عن السّبَب، فيُجيبك: أُراجع بِخُصوص الدّعْوى المقَامة ضدّي منْ شَركةِ الكَهْرباء نَتيجة اسْتجْرار غيْر مَشْروع للتيّار الكَهْربائيّ، مَع العِلْم أنّ العدّاد يَعْمل وأَدْفع الفَواتير بانْتظام!.

القصّة تبْدأ منَ التّعْليمات الّتي زَوّدت بها وَزارةُ الكَهْرباء الشّركات في المحَافظات بمُحَاسبة المخَالفين، وتَنْظيم الضّبوط بحقّ مَنْ يَعْتدي على الشّبكة، ويَسْتجرّ الكَهْرباء بِطريقةٍ غيْر مَشْروعة، إلى هُنا يبْدو الأمْر مَنْطقياً وطبيعيّاً، ولكنّ من غيْر الطبيعيّ، أنْ يتمّ إلْزامُ كلّ كشّاف كَهْرباء بِعَددٍ مُحدّدٍ منَ الضّبوطِ شَهْرياً لأنّه سيَتَقاضى نِسْبة مُحدّدة منْ قيمةِ المخَالفات الّتي يَقومُ بضَبْطها.

أحَد الكَشّافة قال: «حينَ نَذْهب إلى مَنْزل ما، ولا نَجدُ رَجُلاً فيه، وتكون الزّوجة أوْ الأُخْت أوْ الابنة، نَطْلب البطاقَة الشّخْصيّة لها بحجّة تثْبيت أنّ البيْت مَأْهول حتّى لا يتمّ قَطْع الكَهْرباء عَنْهم، وتقُوم بتَسْجيل البيّانات كَاملة، وحِين نَصلُ إلى الشّركة، تقُوم بتَنْظيم ضَبْط اسْتجْرار غيْر مَشْروع اعْتماداً عَلى البَيانات التي بحَوْزتنا».

هَذه الخَديعة الّتي اعْتمدتْها الوَزارة، قَدْ تُكلّف بَعْض المواطنين مَبْلغاً يتَجاوز المائة ألْف ليرة، فيَضْطر الرّجل أنْ يُصَالح في المحْكمة حتّى لا تتعرّض «عائلته» للسّجن أوْ التّوْقيف، ولحِرْصه الشّديد عَلى عَدَم إهانَة أَهْل بيْته.

وحَسْب مَصَادر في وَزارة الكَهْرباء، فإنّ قِيمَة المبَالغ الّتي تمّ تَحْصيلها خلالَ شَهْرٍ واحِدٍ تَجاوزَ مِلْيار ليرةٍ سُورية، حَيْث لَفَتت الوَزارةُ أنّ

الاسْتجْرار غيْر المشْروع يُعْتبر سَرقةً للمَال العَام، ويتَسبَب بأَضْرار وخَسائرَ ماديّة جَسيمة في تَجْهيزات المنْظومة الكَهْربائيّة.

فماذا تُسمّي وَزارةُ الكَهْرباء النّصْب والاحْتيال على المواطنين في تَنْظيم ضبوطِ الاسْتجْرار غيْر الشّرعيّ للكَهْرباء؟

التّشْهير بواسطة الصّحف الرّسميّة

(نَظراً لتعذّر تبْليغك في مَوْطن إقامتك بسَبب الأَوْضاع الأَمْنية، ووفْق ما وَرد في الشّروحات الوَاردة عَلى مُذكّرة الدّعْوى، فَقَد تقرّر تبْليغك مُذكّرة إخْطار في إحْدى الصّحُف المحلّية، عَمَلاً بأَحْكام المرْسوم التّشْريعيّ رقم ٢٠١٣/٢٥ علْماً أنّ مَوْعد الجَلْسة القَادمة .... فإذا لَمْ تَحْضر بنَفْسك، أوْ ترْسل مَنْ ينُوب عَنْك، سوْف تَجْري بحقّك المعَاملة القَانونيّة أُصُولاً، وسَيَصْدر القَرار بحقّك بمَثابة الوَجاهيّ، وأنّ رَقَم أَسَاس الدّعْوى هُو الوَارد بجانبِ اسْمك.

المدّعي: وَزيرُ الكَهْرباء إضافةً لمنْصبه.

المدّعى عليهم: .....).

هَكَذا يَقوم القَضاء السّوريّ بتَبْليغ المواطنين، إمّا لجَهَالة العُنْوان، أوْ بسبَب الأَوْضاع الأَمْنية، لكنّ التّساؤلَ الّذي يَطْرحه المواطن: كَيْف تمّ تَنْظيم ضَبْط الاسْتجْرار غيْر المشْروع إذا كانَ العُنْوان مَجْهولاً أوْ الوَضْع الأَمْنيّ لا يَسْمح بوصولِ التّبْليغ؟ ولماذا لا يَقوم الكشّافُ الّذي نَظّم الضّبْط بتَوْصيل التّبْليغ لأنّه يَعْرف العُنْوان جيّداً كَوْنه هُو مَنْ نظّم الضّبْط!.

كَيْفَ يَصل الكشّاف إلى المنازل، ويُنظّم ضبوطه ولا يَصلُ عُنْصر الضّابطة العَدْلية أوْ «الشّرطيّ» أو كشّاف الكَهْرباء نَفْسه لتَبْليغ المدّعى عَلَيْهم؟.

هَلْ هُو خَوْف منْ ردّة فِعْل المواطن الّذي لا يَعْلم أنّه قَدْ تمّ تَنْظيم ضَبْط بحقّه أوْ بحقّ أحدِ أَفْراد عَائلتِه؟. أمْ أنّ الشّركة تَعْلم جَيّداً أنّ ضُبوطَها غَيْر صَحيحة، وغَيْر دقيقة وتَخْشى على كَشّافتها، أمْ أنّ هنَاك أسْبابٌ أُخْرى؟.

وبمُراجعةٍ بَسيطةٍ لعَدَد الضّبوط المنظّمة، والتي تمّ الإعْلانُ عَنْها في الصُّحُف الرّسْمية وَجَدنا أنّ أَكْثر من ٧٠٪ منَ الضّبوط مُسجّلة بأَسْماء سَيّدات، ممّا يُثير العَديدَ منَ التّساؤلات؟.

تَقول رَنا فاضل: «فُوجئْت حين طَلَب الكَشّاف بطاقَتي الشّخْصية، وحينَ سَألْته عَن السَّبَب، قالَ نُريد تَسْجيل البيّانات لنُثْبت أنّ هَذا المنْزل مَأْهول حتّى لا يتمّ فَصْل التّيّار الكَهْربائيّ، فأَعْطيته «الهويّة» وَسجّل البيّانات، وسَجّل أَيْضاً رَقَم العَدّاد ومُؤشّره، عِلْماً أنّ عَدّاد الكَهْرباء لَدينا هو عدّادٌ الكترونيّ لا يُمْكن التّلاعُب فيه، وفَواتيرنا نظاميّة. وبعْدَ فتْرة، فُوجِئ زَوْجي بتَبْليغي لحُضُور جَلْسة مَحْكمة بتاريخ ٢٠١٤/١٠/٢٨، والتّهمة اسْتجْرار غيْر مَشْروع للتّيّار الكَهْربائيّ، وأنّني الشّخْص المدّعى عَلَيه. وأنّ الدّعْوى المقامة ضدّي تَحْمل أساسُ رَقَم ٥٦٢٧ مَحْكمة صلْح الخَامسِ بدمشقَ».

هَذا مثالٌ واحدٌ منْ مئات الأَمْثلة التي تتكرّر أَمَام مَحاكم الصُّلْح المدَنيّ التي يتَجاوز عَدَدها العَشْر مَحاكم في دمشقَ وحْدَها، حيْث باتَتْ جَميعها لا تَنْظر إلاّ في هَذا النّوْع منَ الدّعَاوى.

الخُلاصة

يَرى العَديدُ منَ المواطنين أنّهم غيْر مُجْبرين عَلى دَفْع قيمَة فَواتيرَ واسْتجْرار (البعض!)، حَيْث تُحاول الوَزارةُ تغْطية العَجْز في الفَاقدِ الكَهْربائيّ عنْ طريقِ رَفْع فَواتير البَعْض، وتَنْظيم ضُبوط اسْتجْرارٍ غَيْر مَشْروع للتيّار الكَهْربائيّ غيْر واقعيّة، وغيْر صَحيحةٍ بهَدَف اسْتغْلالِ المواطِن وسَرقَة مَاله حتّى تتمكّن منْ دَفْع رَواتب مُوظّفيها، وزيادَة دَخْل خَزينةِ الوَزارة.

مَع العِلْم أنّ مُتوسّط سَاعات التّقْنين في مُعْظم مَنَاطق سورية تتَجاوز العِشْرين سَاعة يَوْميّاً، وَهُو مَا يُثيرُ تَساؤلاتٍ كبيرةٍ لَدَى المواطنين: كيْفَ يَكون الاسْتهلاك مُرْتفعاً والكَهْرباء مَقْطوعة أَغْلب الوَقْت؟.

إنّ تقْنين الكَهْرباء غيْر المبرّر يُسْهم في تَدْمير البَلَد لعدّة أَسْبابٍ، أهمّها:

-لَوْ أعْطت الوَزارةُ الكَهْرباء للمُواطنين، لكانَ ذَلك سَبَباً للرّبْح بقيمةِ ١٥ ملْيار ليرةً سوريةً شَهْرياً.

-إنّ الدّوْلة تَخْسر قيمَة الوُقود وكُلْفة التّوليد، وهيَ بحدود ثلاثةَ ملْيار ليرةٍ سوريةٍ شَهْرياً.

-بسَبَب زيادَة كَميّة وزَمَن الطّاقَة الكَهْربائيّة المقنّنة، اضْطرّ العَديدُ منَ النّاسِ لشراءِ مُولّدات، أوْ مَجْموعاتِ تَوْليد صَغيرةٍ، وهي اسْتنْزافٌ لاقْتصاد البَلَد.

-مَن المسْتفيد من استيرادِ المولّدات، وكيْف تَدْخل إلى سُوريّة؟

طيارة ورق – درعا – عدسة كلمن أبو حوى

الغزوالثقافي والاحتلال البغيض

عارف حمزة

بكلّ المقاييس يُعتبر الاحتلال شَيْئاً بَغيضاً. ولمْ يَمرّ، أيّ احْتلال، على حَياة بَلَد مُحْتلّ تمّ مَدْحه بأيّ طريقةٍ كانتْ. حتّى عنْدَما تمّ تَخْفيف دَمويّة المصْطلح إلى «انْتداب» ظلّ ذَلك القَبَح عالقاً في كلّ مَسَامات تلْك الكَلمة، وتلْك السّنوات التي لا نَعْرف شَيْئاً منْ تاريخِها سِوى في المسلْسلات الشّاميّة المرْتجلة.

ورُغْم أنّ المِنْطقة العَربيّة تَعرّضت للاسْتخْفاف والإهَانة مَرّتيْن، في بِدايات القَرْن الماضيّ، باسْتعْمال مُصْطلح انْتداب بَدلاً منْ احْتلال، ومرّة أُخْرى بوَصْفها أمّة مُتخلّفة بحَاجة لمنْ يقُودها إلى الحَضارة، إلاّ أنّ ذَلك الأجْنبيّ سَيظلّ مَكْروهاً إلى أبد الآبدين. ورُغْم دَوام كرْه النّاس لتلْك المرْحلة، وذَلك المصْطلح، إلاّ أنّ الأنْظمة الاسْتبداديّة كانَت تَظلّ تُذكّرنا بذَلك المحْتلّ الأجْنبيّ لَيْس كيْ نَكْرهها، فَوقْت التّفْكير بذَلك كانَ قدْ فَات مُنْذ زَمنٍ بَعيد، بلْ كيْ نَفْهم بأنّ أنْظمتنا أسْوأ بكَثير منْ ذَلك المحْتلّ الذي قاد دَوْلته نَحْو أكْثر المِناطق حَضَارة وجَمَالاً ورَاحة وتَقدّماً وأخْلاقاً. بيْنما أصْبحت دُولنا أكْثر ضَحالة وتَخلّفاً وبُوليسيّة.

لَيْس هَذا الكَلام دَعْوة لذَلك الاحْتلال كيْ يُعود، بقَدْر مَا هُو تفْكير بمَدى الظّلْم الذي تَعيشه شُعوب هَذه المِنْطقة التي لمْ تعْرف الحُرّيّة والحَياة مُنْذُ اسْتقْلالها وخضُوعها لاحْتلال جَديد منْ أنْظمتها الوَطنيّة.

الغزو الثقافي

كانَ يأْتي إلَيْنا «مُحاضرون» كَثيرون كيْ يقُولوا لَنا انْتبهوا منَ الغَزْو الثّقافيّ. كانتْ مُوضة الغَزْو الثّقافيّ مُسْتعرة في ذَلك الوَقْت. وكانوا يطْلبون منّا، نَحْن الرّعاع والمتخلّفين، أنْ تغْلق كلّ شَبابيكنا وبُيوتنا في وَجْه ذَلك الغَرْب «القَذر» الذي يُريد أنْ يَأْخذ منّا كلّ شَيْء. رغْم أنّنا، منْذُ اسْتقلال بلْدانا ووقُوعها في أيْدي عِصَابات العَسْكر، ما عُدْنا نَمْلك أيّ شيْء.

عنْدما ذَكرتُ للسّيد حُسين جُمْعة، رئيسُ اتحاد الكتّاب العَرب في سورية، في إحْدى غَزَواته ومُحاضراته السّامّة في مَدينة الحَسَكة، دِراسة تقُول في نَتيجتها بأنّ المواطن الجزائريّ كانَ يُعامل كمُواطن فَرنسيّ منَ الدّرجة الثّانية أيّام الاحْتلال الفَرنْسيّ للجَزائر، بيْنما صَار المواطن الجَزائريّ مُواطناً جزائريّاً منَ الدّرجة الثّالثة بعْد الاسْتقلال عنْ المحْتلّ الفرنْسيّ. ثَار السّيد جُمْعة وصَرخ قائلاً: «لا مُشْكلة عنْدي أنْ أكونَ مُواطناً منَ الدّرجة الخَمْسين ما دامَ النّظام الذي يَحْكمني نظَامٌ وَطنيّ ولَيْس مُحْتلاً». وعنْدما سَألْته لمَاذا عَلى أحَدنا أنْ يَرْضى بنظامٍ، حتّى لوْ كَان وَطنيّاً عَلى حَدّ تعْبيرك، يَجْعل مُواطنيه منَ الدّرجة الخَمْسين؟. أجَاب، وهُو يَنْظر إلى الرُّتب العَسْكريّة اللاّمعة والمحْتلّة للصّفُوف الأُولى في المرْكز الثّقافيّ، «لأنّ النّظَام الوَطنيّ أفْضل آلافَ المرّات منَ المحْتلّ الذي يَقْتل ويَنْهب كلّ مُقدّرات البَلد. إلاّ بالنّسْبة لعُمَلاء أُولَئك المحْتلّ»!!. مُلْقياً، بالنّسْبة للقِسْم الأخير منَ الجُمْلة، نَظْرةً توْضيحيّةً باتجَاهي.

الجسْر الحَرْبيّ

في نهَاية عَام ٢٠٠٥ كنْتُ في مُراجعة لمبْنى بَلديّة الحَسَكة. فعَرَض عَليّ صَديقي الذي يَعْمل كمُهنْدس إنْشَاءات في البَلديّة رسَالة تمّ ترْجمتها عَن اللّغة الفَرنْسيّة. وكَانتْ الرّسالة الأَصْلية مُرْسلة منْ وَزارة الخَارجيّة الفَرنْسيّة ومَعها مُخطّطات ورُسُومات وصُوَر تتحدّث عنْ «الجسْر الحَرْبيّ» في مَدينَتنا.

الجسْر الحَرْبيّ الممْتدّ على نهْر «الجَغْجغ» لمسَافة ٦٠ مترْاً كيْ نَصلَ لحيّ المفْتي، وكيْ نَذْهب إلى المقْبرة القَديمَة للمَدينة، كانتْ أرْضيّتُه مَفْروشة بالألْواح الخَشبيّة الثّقيلة والكَبيرة، والتي كانَتْ تفْرش أرْضيّات سكَك القِطَار. وكانَتْ تلْك الألْواح قَدْ تَكسّرت في مَسَاحات كَثيرة في مُغَامرتنا لزيَارة مَوْتانا المنْتظرين هُناك.

كانَ المحْتلّ الفَرنْسيّ قدْ بَنى تلْك الجُسور الحَرْبيّة، في مَنَاطق كَثيرة منْ سُورية، وبالتّأْكيد في البُلْدان الأُخْرى التي احْتلّها، تَسْهيلاً لتحرّكات جُيوشِه ورَبْط المناطق بَعْضها ببَعْض، بالإضَافة إلى بنَاء صوَامع الحُبوبِ والمسْتودعات وسُكك القِطَار، في عِشْرينات وثَلاثينات القَرْن المَاضيّ. ومَازَال الكَثيْر منْها في الخدْمة بَعْد مُرور ما يُقَارب الثّمَانين عَاماً عَلى بنَائها.

كانَتْ الرّسَالة مُرْسلة إلى مَجْلس مَدينة «الجَزيرة» منْ مَرْكز دراسَات الإنْشَاءات في وَزَارة الدّفَاع الفَرنْسيّة. وتُوضّح في مَتْنها كيْفيّة بنَاء الجسْر الحَرْبيّ في الحَسَكة، والنّقاط التي اسْتند عَليْها المهنْدسون، وفْق المخطّطات المرْسلة مَع الرّسَالة. تلْك النُّقاط التي صَارت أبْنية سَكنيّة ومَحَطّة مَحْروقات وبُيوتاً اعْتَدت على حَرَم النّهْر الذي صَار عَجُوزاً مُقَارنة بمَسالته وعنْفه قبْل سَنَوات طَويلة.

وبَعْد الشّرْح المسْتفيض، وانْتقَاء الكَلمَات والأَوْصاف الدّقيقة للأَمَاكن والمواد التي سَاهمَتْ في بنَاء الجسْر. وبَعْد انْتحال صفَة المحبّ منَ المحْتلّ البَغيض، الذي لا بُدّ يَشْعر بذَلك الشّوْق العَارم لتَدْنيس أَرْضنا البَتُول منْ جَديد، تقُول الرّسالة: وحَيْث أنّ ذّلك الجسْر قَدْ انْتهى عُمْره الزّمنيّ فنّياً بتَاريخ وُصول هَذا الخطَاب لحَضْرتكم. فإنّنا نَطْلب منْكم إزالَة الجسْر نِهائيّاً، حَيْث أنّ أيّ عَمليّة ترْميم مَا عَادَت تنْفع، «خاصّةً أنّنا لمْ نَطّلع وفْق خبْراتنا عَلى مَا قُمْتم به منْ أَعْمال ترْميم ومَدى جَوْدتها».

ثُمّ يَنْتهي الخِطاب بأنْ تقُول الرّسَالة: «إنّ الحُكومَة الفَرنْسيّة تنْفي المسْؤوليّة عنْ نَفْسها إذا تَعرّض مُواطنُون أوْ مبَانٍ أوْ حَيَوانات أوْ سَيّارات للأَذى بَعْد تَاريخ وُصُول هَذا الخطَاب الذي

أرْسناه إليْكم وُفْق الأعْراف الدّيبْلوماسيّة».
انْظروا كَيْف يُحاول المسْتعمر البَغيض أنْ يَكُون إنْسانيّاً ونَاصحاً، وأخاً كَبيْراً كما كَانتْ تقُول وجْدانيّات الانْتداب، لحُكوماتِنا التي، في الحَقيقة، ما كَان يَهمّها لا الجسْر ولا المواطنون ولا الأبْنية، فمَا بَالكم بحَيواناتِنا الدّاجنَة والمتشرّدة. فَهذا لَيْس وَقْت هَذه الأشْياء التّافهة في الوَقْت الذي كَانتْ تَعيش حُكوماتنا صراعَها الأبديّ مَع الصّهيونيّة والإمْبرياليّة العَالميّة. وصَارت الآن في صراعٍ دائمٍ مَع شَعْبها الإرْهابيّ الخَائن والعَميل.
ولَكنْ عَليْنا التّفكير بتلْك الرّسَالة بالفعْل. وأنْ نَعْرف إلى أيْن وَصلَت دَرجة الأخْلاق بالنّسْبة لأُولئك الأعْداء الذين يَسْتقبلون الهَاربين من صَواريخ وبَراميل قَائدنا المفدّى في حَرْبه ضدّ الصّهْيونيّة. الحُكومَة الفَرنْسيّة تَنْفي عنْ نَفْسها المسْؤوليّة إذا سَقَط الجسْر!. تَصوّروا أنّ الحُكومة الفَرنْسيّة تَخاف عَلى مُواطني دَوْلة احْتلّوها وغَادَروها «صَاغرين» منْذُ عَشَرات السّنيْن؟. وتَخاف منَ المسْؤوليّة الأخْلاقيّة فتُنبّه حُكومَتنا الوَطنيّة الأبيّة والمتنبّهة أصْلاً لمخطّطات الأعْداء دَاخلَها وخَارجَها!.
بَعْد هَذه الرّسَالة بخَمْس سَنوات سيتمّ هَدْم الجسْر الحَرْبيّ الذي مَشَت عَليْه مَلايينُ الأقْدام الفَقيْرة والمقْهورة طوالَ كلّ تلْك السّنوات الفَارعة منْ مَعْناها. وسَيبْنون جسْراً جَديداً بطُول ٦٠ متْراً وعَرْض ٣٥ متْراً، وبتَكْلفة إجْمالية وَصَلت إلى ٦٠ مَلْيون ليْرة سُوريّة. وهَذه السّتين مَلْيون ليْرة لا بُدّ أنّ نصْفها قَدْ سَرقه المسْؤولون وفْق التّراتبيّة المتعارفِ عَليْها أمْنيّاً في البلاد.
ظلّ الفَرنْسيّون قَلقُون إذاً طوالَ خَمْس سَنوات منْ تَاريخ إرْسالهم لتلْك الرّسَالة التي تَنْفي عَنْهم المسْؤولية إذا ماتَ مُواطنون أبْرياء. رُغْم إرْسالهم لتلْك الرّسَالة، مَع أحْشائها التّوْضيحيّة، إلاّ أنّهم ظلّوا قَلقين منْ إهْمَال الحُكومة لهَذا الأمْر الجَلَل طوالَ خمْس سَنوات. وربّما كانَتْ الحُكومة تَنْتظر أنْ يَسْقط الجسْر بالفعْل كيْ يُظْهروا للعَلَن الأفْعال الدّنيْئة والمشيْنة والمسْتمرّة للمُحْتلّ الأجْنبيّ ولوْ بَعْد جَلائه عَنْ أراضينا مُنْذ ٦٠ عَاماً في ذَلك الوَقْت. ولكيْ يبْنوا المزيدَ منَ المدارس، كيْ يَنْهبوا نصْف أثْمَان بنَائها، لتَسْميتها بأسْماء أُولئكَ الشّهَداء الأبْرار الذين اسْتشْهدوا في مَعْركة الجسْر الحَرْبيّ المجيدة.

العنْف الأسريّ

مصطفى عبدي

العُنْف الأُسريّ هُو ظَاهرة سُلوكيّة شَائعة الانْتشار، لا تَقْتصر عَلى مُجْتمع دونَ آخرَ ، ولا عَلى شَريحةٍ دونَ أُخْرى، فَأغْلبية المجْتمعات، وحتّى المَوْصوفة بالحَضارة والتّطوّر نَراها تُعانيها، ونَرى مَظاهره مُترسّخة في صُلْب العَلاقات الحَاكمة.
بالدّرجة الأُولى، فإنّ قَضيّة العُنْف الأُسريّ تكونُ عَادةً مُرتَبطةً بدَرجة الوَعْي في المجْتمع، ومَعرفَةِ حقوقِ الأفْراد، وَمنْ ثمّ واجباتِهم، والتّعْريف بأهميّة الحفَاظ على كيَان الأُسْرة، ومَفْهومها باعْتبارِها الحَاضن لأفْرادها، وأنّ سُلوكهم اللاّحق سَيكونُ بشكْلٍ أوْ بآخرَ متأثّراً بكلّ تفْصيلة تَحْدث في بُنْيان هَذه العَائلة، فالأُسْرة هي المكوّن الأوّلُ لطباعِ الفَرْد، ونَمَط التّربية المعْتمد هو الفَيْصل في المراحِل الأُولى منَ التّكْوين الاجْتماعيّ والنّفْسيّ. وهُنالك عدّة تعَاريف للعُنْف، نَذْكر منْها التّعْريف الشّامل (كلّ سُلوك يَسْتخدمه شَخْص بَالغ رَاشد في الأُسْرة بقصْد السّيْطرة على شَخْصٍ آخَر في الأُسْرة. أيْ هُو نَوْع منْ أنْواع الإساءَة المقْصودة التي يَتَعرّضُ لها فردٌ ما داخلَ الأُسْرة نتيجةَ عَدم تَكافُؤٍ بالسّلْطة مَع شَخْص آخَر مُعنّف).
وفي قصّة بَحْثنا عنْ أنْواع العُنْف الأُسريّ، بقَصْد التّعرّف إليْه، لتَعْريفه. وَجدْنا عدّة أفْكار وَحَالات، كانَ لا بُدّ منْ ذكْرها:
(هُناكَ عدّة أشْكال، ومُسْتويات للعُنْف الأُسريّ أبْرزها العُنْف الجَسديّ الذي يَتمثّلُ بالدّفْع والرّكْل والضّرْب والصّفْع والعَضّ وشَدّ الشّعْر والعُنْف الجنْسيّ الذي يَشْمل الاسْتهزاء والسّخْرية والحَطّ منَ القَدْر سواءٌ كانَ لأمْر جَسديّ، أوْ كانَ لمسْألة نفْسيّة. هَذا عَدا عنْ الإهْمال الجَسديّ والعَاطفيّ والانْفعاليّ والحِرْمان والمنْع منْ لقاءاتٍ أُسَريّة واجْتماعيّة دونَ سَببٍ أوْ تعْليل).
أشْكال أُخرى يُمْكن مُلاحظتها وإدْراجها تَحْت بنْد العُنْف الأُسريّ:
(التّهْديد بالانْتحار أو ترْك المنْزل لإرْغام الشّخْص على عَمَل شَيْء مَا، والتّهْديد بسِلاحٍ أوْ أداةٍ حادّة، وبكَشْف أسْرارٍ أوْ إعْطاء مَعْلوماتٍ، واسْتخْدام الكَلام النّابيّ والبَذيء والنّعْت بصِفاتِ الحَيوانات وأَلْقابهم).
ويُمْكننا كَذلك التّعرّف عَلى العُنْف الأُسريّ المتَمثّل بالعُنْف الجنْسيّ والعُنْف الاقْتصاديّ الذي يَتَجلّى بالاسْتغْلال المادّيّ والحِرْمان منَ الميراثِ والاسْتيلاءِ عَلى المالِ والمهْر وكَذلك هُناك العُنْف الدّينيّ الذي يتمّ عبْر إرْغَام الشّخْص على اعْتناقِ دينٍ أوْ مَذْهب مُعيّن، أوْ مَنْع فَرْد منَ القِيامِ بطُقوسٍ دينيّةٍ مُعيّنة.
كَما وأنّ هُناك العُنْف المذْهبيّ، والفِكْريّ.....
فالوَسَائل مُتعدّدة وعَديدةٌ، وكُلّها تنْدرج بشكْل أوْ بآخرَ في خانَة التّعْريف الذي بَدأْنا بهِ المقَالة وهُو الاسْتغلال، وفَرْض السّيْطرة المطْلقة.
وَلكنْ، لماذا يَحْدث العُنْف المنْزليّ؟ هَذا السّؤال الهامّ، الذي نَراهُ يَتمثّل أمَامنا، كانَ لِزاماً عَليْنا البحْثُ عَنْ إجابةٍ شافيةٍ لهُ.
الأسْتاذ عَبْد الرّحْمن كانَ مَعَنا، وأوْرد للْجواب كثَيراً منَ الحيّز: (الأشْخاصُ المعنّفون، تتَشابهُ طِباعُهم، ويُمْكنُ وَضْعهم في خانَة تَمْثيليةٍ وَاحدة، منْ حيْثُ أنّهم يبْدون للغيْر لُطَفاء هَادئين، أمّا مُمارَساتهم المعنّفة فتَظْهر خَارج ذَلك التّصرّف، بَعيداً عَن الأعْين. وَهُم عَلى الأغْلب سَريعو الاسْتثارة والغَضَب، ويَفْقدون السّيْطرة عَلى أعْصابهم فتُصْبح تَصرّفاتهم خَارج الحُدود، وهَذا بِرأْيي مَردّه أسْبابٌ كَثيرة مُتعلّقة بالأسَاس بالوَضْع الفيزيولوجيّ، والتّكْوينيّ للفَرْد، وبالتّربية والبيئَة التي هيَ أسَاس كلّ تصرّف مُنْتج).
وفي مَسْألة بَحْثنا عَنْ دَائرة العُنْف، وَجَدْناها تَتألّفُ منْ ثَلاثِ مَراحِل تتَحَدّدُ في كلّ مَرْحلة طبيعةُ العَلاقة بيْن المسيء والمسَاء إليْه: أولى هَذه المراحلُ هي مَرْحلة القَلق، حَيْث تَكونُ الأُمورُ مُضْطربة نَوْعاً ما، والضّحيةُ غَيْر قَادرة على تَوقّع السّلوك الذي سَيَصْدُر عنِ المسيء، ومتى يَصْدر. فَهي في حَالة ترقّب وخَوْف منْ لَحْظة ظُهور عنْفه، وتَسْعى جَاهدةً لكيْ لا يَحْدثَ العُنْف وتعْملُ على التّهْدئةِ وتَوْفيرِ الشّروطِ المخْتلفة حتّى لا يَثُور، باحثَة لَه عنْ أعْذار للتّفْسير والهُدوء.
المرْحلة الثّانيّة هي مَرْحلة الانْفجَار، إذْ يَتَزايد هُنا الاحْتقان والتّوتر ويَصل إلى نُقْطة الغَلَيان، يَحْصل الانْفجار. فيَقومُ الشّخْص العَنيف بالهُجُوم، واسْتخْدام أَساليب العُنْف الأُسريّ التي اعْتادها مُبرّراً سُلوكهُ بأنّه لمْ يَكُن ليَصل لهذا العُنْف ما لَمْ يَسْتفزهُ الطّرفُ الآخَر.
المرْحلة الثّالثة هيَ مَرْحلة النّدم والشّعور بالأسى، حَيْث أنّه وبَعْد انْتهاء مَرْحلة العُنْف، يَكُون الشّخْص العَنيف قَدْ انْتهى منْ تَفْريغ شحْنته

النّفسية، نَراه يَشْعر بالنّدَم والأَسَف والحُبّ ويقُوم بإهْداء الوَرْد والهَدايا الرّومانْسيّة في مُحاولة لخَلْق الأُلْفة والمودّة والشّعُور بالأَمَان نَاكراً أنّه عَنيف، بَل ويَلوم الطَّرَف الآخَر على أنّه هُو السَّبب في اللّجوء للعُنْف، وأنّه كَان خَارج السّيْطرة. ويتّفقُ الطّرفان عَلى إنْكار ورَفْض لَحَظات العُنْف التي حَصَلت وأنّها لنْ تَحْصل مُجدّداً، ويَتخلّل هَذه المرْحلة الأَمَل والتّقَارب والاهْتمام.

ولكنْ، هَل العُنْف هُو مُشْكلة بالنّسْبة للمُسِيء أمْ للضّحيّة؟ هذا السُّؤال أَجَابت عَنْه الآنسة نسْرين أَحْمد المتَخَصّصَةُ في الإرْشاد النّفْسيّ: (الضّحيةُ عادةً ما تتّصفُ ببعْضِ من الصّفات التي تَجْعلها مُسْتهدفة للعُنْف، كاعْتقادها المطْلق بتفوّق المسيْء في كلّ الجوانِب فتَبْرزُ الطّاعة والانْقياد التّام لما يقُوم به المسيْء، ويَنْعدمُ عنْدها الشّعورُ بالحقّ، وتَقبّل الوَاقع وتَتزعْزع الرّغْبة بالتّغْيير والمِيْل للتّقْليل منْ أهميّة العُنْف وخُطورَتِهِ والمِيْل للّعبِ وأنّها تَأْخذ دَوْر كَبْش الفِداء لحِمايةِ باقي أفْرادِ الأُسْرة، والشُّعورِ بِمُسْتوياتٍ مُرْتفعَةٍ منَ القَلق والشّعُور بالعَجْز وعَدَم القُدْرة على التّغْيير).

آثارٌ عدّة يُمْكن اشْتمالَها سَواءٌ أكانَ ذلكَ على صَعيد الضّحية أوْ أفْراد أُسْرتها، وغَالباً ما تَخْتلف باخْتلافِ سُلوك العُنْف ذاتَه، وباخْتلافِ خَصائص الضّحية ذاتَها منْ حيْث العُمْر أوْ الحَجْم. فالعُنْف بالنّتيجة هُو مُشْكلة وَاقعة بالنّسبةِ للمُسيْء، وآثَاره عَليْه تَكون أَفْظع.

ولكنْ، كَيْف يُمْكن كَسْر دَائرة العُنْف، أوْ مُحَاولة تَخْفيف تَفشّيه، بقَوانين رَادعة ومُلْزمة؟

(بالإمْكان كَسْر دَائرة العُنْف منْ خِلال مُساعَدة الضّحية على التّعرُف على نُقاط قُوّتها المتمثّلة بالخَيَارات المتاحة أمَامَها، وإيجاد البَدائل لاسْتخْدام أَنْواع السّلْطة المخْتلفة بشَكْل صَحيح وعَادل دونَ أنْ يُؤدّي إلى هَدْم بناء الأُسْرة الرّئيسيّ. إنّ كَسْر دَائرة العُنْف يَمرّ بعدّة مَراحل، أهمّها مَرْحلة ما قبْل الوَعْي بالمشْكلة حَيْث لا يَكون لَدى الضّحية أيّ وَعيّ بُوجودِ مُشْكلة عُنْف بَل غَالباً ما تُنْكر وُجودها أصْلاً. فكلّ سُلوكٍ عَنيفٍ بالنّسْبة لَها هُو عبَارة عنْ مُشْكلة يُمْكن حلّها، وإنّ سُلوك العُنْف غيْر مَقْصود، وهُو لا يَتعدّى أنْ يَكونَ الشّخْص المسيء هُو شَخْص عَصبيّ. ولا بُدّ منَ القَوْل هُنا أنّ الضّحيّة قَدْ تَعي وُجودَ مُشْكلة ما ولكنّها تَشْعر بالخَوْف أوْ العَجْز، فإنْ تَحدّثتْ عَمّا تَتعرّض له فَقَدتْ تَأييدَ مُشْكلتها أوْ المخَاطر التي تَتعرّض لها، بالتّفكير ان هُناك مُشْكلة واها تحتاج لتغيير الوَضْع. ولكنَها في الوَقْت ذاته تُدْرك الصُّعُوبات التي تَقفُ دونَ اتخاذِ قَرار التّغْيير، والتي غَالباً مَا تتحدّد بعَدد الخَيَارات التي تَمْتلكها، وتبْقى هُنا في دَائرة التّفْكير بهذِه الخَيَارات والنّتائج المحْتملة فيْما لوْ اتخذَتْ القَرَار بالتّغْيير، وهُنا أَيْضاً مَرْحلة الإعْداد والتّخْطيط، ومَرْحلة اتخاذ القَرَار والتّنْفيذ ومَرْحلة الدّعْم والمتابعة، وأَخيراً مَرْحلة الانْتهاء حيْث يُصْبح التّغْيير هُو الحَالة الطّبيعيّة للضّحية بسَبَب رَفْضها العَوْدة لحَالة العُنْف السّابقة.

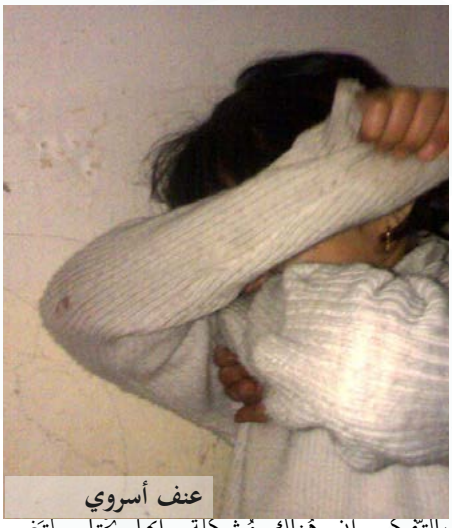
عنف أسروي

استراحة محارب عدسة بصمة سورية

عن الجدار والبخّاخ و(أدب الغرباء)

عمر يوسف سليماني

ثمّة عناصرَ منَ الأمْن يَعْملون «دهّانين» في السّاعة العَاشرة لَيْلاً، نَراهُم واقفين يوْمياً أمام إحْدى جدْران مَدْرسة «خَالد بن الوليد»، أوْ مَحلّات حَي «الوَعْر»، ولنْ يَكُون الأمْر شَديد العَناء بالنّسْبة إليْهم، فَشهْر نيْسان منْ هَذا العَام ٢٠١١ مُناسبٌ للنزْه اللّيليّة، أَحْياناً يَكْفي مَحْوُ بَعْض الكَلمَات، وأَحْياناً أُخْرى لا بُدّ منْ طَمْسها جَميعاً، لكنّنا إذا اسْتمرّينا في المشَاهدة حتّى السّاعَة الأُولى منَ الفَجْر سَنجدُ أنّ مَجْموعة منَ الملثّمين تُعيد الكتَابة في ذَات المكَان، فَطلاءُ الأَمْن يَمْحوه الثّوار، كَمَا أنّ كَلام اللّيْل يَمْحوه النّهار.

هَذه الجُدْران الوَاقعيّة كانَ لها رَديفٌ في جُدْران الفيْس بوك التي امْتلأَتْ مَعَ بدايَات الثّوْرة بمَعَارك الـ(بوسْتات) والاخْتراق بَيْن النّشَطاء والجيْش السّوريّ الإلكْترونيّ، فالحِرَاك قَدْ بَدَأ منْ إحْدى جُدْران مَدَارس دَرْعا التي خَطّ عَليْها الأَطْفال عبَارَة (الشّعْب يُريدُ إسْقَاط النّظَام) لتُنْتزع أَظَافرهم بَعْد ذَلك، أمّا في دمشْقَ فَقَد كُتبتْ ذاتُ العبَارة على جُدْران حَي (ركْن الدّين) قبْل ١٥ آذار ٢٠١١، لتَنْتشر الظّاهرة بسُرْعة هَائلة في المدُن والأَرْياف السّوريّة، هَكَذا تَحوّل الجدَار الذي كَثيْراً ما ظُلم بكَوْنه حَاجزاً حَيَال الحُرّية إلى وَسيْلة لتَعْليق العِبَارات المطَالبة بها، فالثّوْرة السُّوريّة في عُمْقها كانَتْ على الجُدْران.

(أَدَبُ الغُرَباء)، ذَلك الكتَاب الصّغيْر الذي جَمَع فيْه «أَبو بَكْر الأَصْبهانيّ» الأبيْات الشّعْرية التي كانَ يَخطّها العَابرُون على أَبْواب وجُدْران الجَوامع والمقَابر والبَساتين والكَنَائس، يَعْرض نوْعاً خَاصّاً منَ القَصَائد الحِوارية في العَصْر العَباسيّ، فالعَابرُ كَان يَكْتب بَيْتاً شعْريّاً ليَأْتي عَابرٌ آخر ويُعَارضه بعبَارة أو بيْت غالباً ما يَكُون على ذَات الوَزْن والقَافيَة، والمؤلّف أنّ أَكْثر هَذه القَصَائد بَقي مَجْهول القَائل، تَماماً كالعبَارات التي خُطّت على الجُدْران في الثّوْرة، كَمَا أنّ (أَدب الغُرباء) يتّسمُ بالصّراحَة والكَشْف كَوْنه خَارجَ التّصْنيف ويُجسّد تَجَارب شَخْصيّة قَدْ لا تَعْثر عَليْها في الكُتُب الجَادَّة، (كنْتُ أيّام مَقَامي في سُوق الأَهْواز عَاشرْتُ جَمَاعة منْ أَهْلها، فَدَعاني صَديقٌ لي إلى «الشّاذرْوان» يوْماً، فخَرَجْت ومَعَنا شَرابٌ وغنَاء، وفي «الشّاذرْوان» رَأَيْت عَلى حَجرٍ منْ حجَارته مَكْتوباً:

لمْ أنْسَ لَيْلتنا بشَاذرْوانِ

والماءُ ينْسابُ انْسيابَ الجانِ

فكَتبْتُ تَحْته:

والبَدْرُ يزْهرُ في السّماءِ كأنّه

وَجهُ الذي أَهْوى ولا يَهْوانِيْ

هَذه الحَادثةُ الوُجْدانيةُ تَدْفعنا إلى المقَارنة بيْنها وبيْن مَا كَان يُكْتب عَلى جُدْران سُورية قبْل الثّوْرة السّورية منْ تلْك العبَارات السّطْحية عَلى كَراسي وَسائل النّقْل العَامّة أوْ أبْواب دَوْرات المياه وجُدْران المدَارس، والتي غالباً ما تُسْبق بكَلمة «ذكْرى» مَتْبوعة برَسْم صَغير لقَلْب وسَهْم، وتَحْتها تقْرأ كَلمة بَذيئة كَتبها عَابرٌ آخر. تَغيّر الأَمْر في الثّوْرة السّوريّة، إذْ صُرْنا نقْرأ (يَسْقط بشّار الأسد)، وفي اليوْم التّالي نَرى قطْعة بيْضاء تَسْبق (بشّار الأسد)، فعُنْصر الأَمْن كَما يَبْدو لَمْ يَكنْ يَمْلك طلاءً كافيّاً، لكنّ كَلمة (يَسْقط) تَعود في اليوْم التّالي لتُجسّد الصّراعَ الدّائر بيْن البرْبرية والحَضَارة، فبيْنما بَدأ شبّان الثّوْرة بكتَابة كلمَة (حرّية)، كانَ الشّبيحة يَكْتبون فَوْقها بَعْد مَحْوها (ربّكم بشّار)، عَلى أنّ الأَمْر لمْ يَقْتصر عَلى الشّعَارات، بَلْ امْتدّ إلى الغرافيتي المرْفق بعبَاراتٍ لمحْمود دَرْويش لا سيّما في مَدينة سَراقبْ- إدْلب، (مَنْ أنا لأخيّب ظنّ العدَم؟) و(عَلى هَذه الأَرْضِ مَا يَسْتحقّ الحَيَاة)، و(أَجْملُ التّاريخ كانَ غَداً)، هَذه الكتَابَات لَيْست سِوى مرْآة للسّلوك الجَمْعي الذي تحوّل في الثّورة منْ سُلوكٍ ضائعٍ وسَطْحيّ إلى مُطالبٍ بالخَلاصِ والحرّية، ومُتذوّق للفنّ.

في فَرنْسا، نَشط خلال القَرْن الماضيّ تيّار شعْريّ سُمّي بـ (شعْر المتْرو)، أسّسه كلٌّ منَ الشّاعرَين الفَرنسيّيْن (جيرار كارتييه) و(فرانسيس كومب)، وعَلى مَدَار خَمْسة عَشَر عَاماً اهْتمّ هَذا التّيار بكتَابَة العبَارات الشّعْرية دَاخل المتْرو، نَجدُ هَذا النّشاط قَائماً حتّى اليوْم في «متْرو باريس» خلالَ ربيع الشّعراء، حَيْث تتمّ كتَابة مَقَاطع لروّاد الشّعْر الفَرنْسيّ أوْ للشّعرَاء الجُدد، لكنّ المنْفيّ السّوريّ حيْن يَرى هَذه المقَاطع يَشْرد في رَبيعٍ آخَر كانَ قَدْ بَدأ هُناك، وتتَراءى لَه تلْك العبَارة التي

جدار سوري

خَطّها بَخّاخ إدْلب (قبْل الثّوْرة لمْ تكنْ جدْراننا لنا، كانَتْ لحزْب البَعْث، اليوْم حَرّرنا الجُدْران وبَقيَ عَليْنا أنْ نُحرّر بلَدنا)، وبيْنما يَقْطع المتْرو المحطّات، تتَناهى إلى أُذن المنْفيّ أَصْوات تهْدم الجُدْران في القَصْف.

السيناريسْت «عدْنان الزراعيّ» كانَ يَعيش في دمشْقَ عنْدَما اشْتَعلت المظَاهرات الأُولى، وبَعْد أَشْهر أَنْجز مُسلْسَله (فَوْق السّقْف) الذي مُنع منَ العَرْض، عَدْنان لَمْ يُشَارك في أيّ منَ الأَعْمال المنَاهضة للنّظَام، لكنّه كانَ قدْ كتَب عَام ٢٠٠٨ لَوْحة مُسَلْسل «بقْعة ضَوْء» الشّهيْرة (الرّجُل البَخّاخ)، والتي تتحدّثُ عنْ رَجُل لا يُجْدي كَلامُه معَ النّاس عنْ مُشْكلات البَلد فيَسْتخدم الـ «بخّ» على الجُدْران ليُدوّخ أجْهزة الحُكومة عَلى الرّغْم منْ بَقَائه مَجْهولاً، هَذا العَمَل الدّراميّ كانَ بمَثَابة الأُسْطورة القَادمة منَ المسْتقبل وليْس منَ الماضيّ، فقَدْ تحوّل الرّجُل البَخّاخ إلى رَمْز وَاقعيّ في الثّوْرة السّوريّة، أمّا عَدْنان فَقَدْ تمّ اعْتقاله عَام ٢٠١٢ منْ قبَل أَمْن الدّوْلة، ومَا زَال مُعْتقلاً حتّى اللّحْظة.

الغُرباء الذين كَتبوا عَلى الجُدْران في العَصْر العَبّاسيّ هُمْ نَفْسهم مَنْ كتَب عَلى جُدْران سُورية، ومنَ المؤلّف أنّه بَعْد اشْتداد الصّراع المسلّح ودَمَار أَحْياء حمْص القَديمَة، ثمّ خُروج المسّلحين منْها، عَاد هَذا الفنّ إلى الظّهور في بَعْض الأَحْياء التي لَمْ تزَل تَحْت سَيْطرة النّظَام، ومنْها حيُّ (الغُوطة)، كَما أنّه اسْتمرّ في المدُن التي سَيْطر عَليْها تنْظيم «الدولة الإسْلاميّة»، فَهو فَنّ المهمّشين والمظْلومين والغُرَبَاء يُمَارسونه في كلّ زَمَان.

أصنص شبيح ١

مضر عدس

_ يا إلهي! كم السّاعة..
اسْتيْقظت عَلى عَجل، إنّها التّاسعةُ صباحاً، ولم يتبقَّ على الحَفْلة إلاّ ساعة، عليّ أنْ ألْبسَ بُسرْعة.
ارتديْتُ بَدلة الرّياضة وحذاءَ الرّين، فاليوْمَ عنَدي ماراثون.
(الرّين هو حذاءٌ رياضيّ، وهو الرّابط العَجيب بَيْن المواطن السّوريّ البَسيط والشّبيح.. وهو بالمناسبة، الرّابط الوَحيد).
خَرَجْت منَ المنْزل مِنْ دونِ أنْ أتَناول إفْطاري، أوْ حتّى أنْ أحْتسي كَأساً وَاحداً من المتّة.
وَقَفتُ بانْتظار (الميكرو):
_ صَباح الخيرْ أبو ضِرْغام.
_أهْلاً وَ سَهْلاً يا حَسّون.. اصْعد اصْعد.
_تَفضّل
_لا.. لا أتَقاضى الأجْرة منْكَ، فَأنت منْ أشْبال الوَطَن ... غالي.
_شُكْراً يا حَبيب.
وَصَلتُ في السّاعة العّاشِرة إلاّ رُبْع إلى الفرْع، والجّميعُ كانَ بانْتظاري.
_حَسنْ أينَ كُنْت؟ (قَالها صَارخاً في وَجْهي، صَراحةً لَمْ أنْزعج فَهَذا منْ خَوْفه عليّ).
_أعْتَذر يا مُعلّم، فلَم تكُن المواصلاتُ مُتوفّرة كالعَادة.
_خُذْ سيّارة منَ الكَراج مَساء اليوْم، سَأكونُ في مَكْتبي السّاعةُ العَاشرةُ مساءً سَأنْتظرك لأوقّع الطَلب.
_ أمْرك معلّم.
_ هيّا إلى الدّاخل جميعاً.. بقيَ خَمْس دَقائق.
جَلَست في إحْدى غُرف الطّابق الأوّل وأنا أنْظر إلى السّاعة وأترقّبُ مَوْعد الحَفْل..
دَقيقتيْن.. دَقيقةً.. خَمسَ عَشرة ثانية..
بوووووووووووووفففففففففففففف
لَمْ أشْعر يوْماً بهذا الشُّعور.. يا إلهيْ، طُرْت منْ مِقْعدي مِتْرين..!، تكسّر الزّجاج.. وَلكنْ لِحُسْن الحَظّ، فَقَد كانَ مُجهّزاً بشَكْلٍ جيّد.
شَعَرت بتَرافُصِ دماغي مَع تَغَمات الانْفجار، كانَ يرْقص مُتفاخِراً بأنّه عَلى عِلْم بهذا الاحْتفال، رَقَص وتَراقصتْ مَعَه كلّ أحْشائي، ولكنْ، وبصراحةً، فقَدْ رَقَص قَلْبي أيْضاً، فالحَدث كانَ غيْر الحَديث عنْه.
نظَرتُ إلى السّاعَة..
_ مَضَت دَقيقتان يا شباب..
السّاعة الآن العَاشرة وثلاثَ دقائقْ
دَقيقتيْن.. دقيقَة.. نِصْف دَقيقة..
هَذه المرّة كُنْت قَدْ تَعلّمْت جيّداً..
بوووووووووووفففففففففففففف
للأسَف لمْ أسْتفد منْ إمْساكي بالعَضاضة...
لقَدْ طُرْت منْ جديد.. لَعلّ الدّرْس الذي سَأتعلّمه هُو كَيْفية الطّيَران
المهمّ.. حانّ الوَقْت
خَرجْت منَ البابِ الرّئيسيّ، ونَظَرْت إلى زُملائيّ، وانْطلقْت كالبَرْق، لَحقني جَميع الزّملاء جَميعُهم.. حتّى المعلّم.
منَ البَعيد، رأيْتُ غباراً ودخاناً وسواداً، وكانَتْ رَائحةُ البارودِ هيَ منْ جَعَلت أُسْبوعي القَادم مُعكّراً...
_ كَمْ أكْرهُ هذهِ الرّائحة!.
و كلّما اقْتربتُ كنْتُ أرى بَقايا زجاجِ السّيّارات، دَمٌ وأشْلاء، وقَدْ كانَ الصّوْتُ والصّخبُ عالياً .. واللّافت أنّ الإنسانَ كانَ يقلُّ حَجْم بَقَاياه كلَما اقْتربتُ أكْثر..
كانَ هُناك إصاباتٌ، وأُناسٌ تبْكي وتَحْتضن بَعْضها، وكلَما اقْتربْت أرى جثثاً، ومنْ ثمّ أنْصاف جُثث. حتّى وَصلتُ ...
نَظَرت عَن يَميني وعَن شَمالي، وَجَدتُ كتلةً منَ اللّحْم تبْلغ الكيلو ، أمْسكتُ بها، ولكن وَقَعت عينيّ على مَنْظرٍ أجْمل، مَنْظر سَيُشْربني المتّة أُسبوعاً مع الخطيبة منْ دونِ أنْ أُفكّر في الخدْمة، بقايا لكتفٍ وجَذْعٍ وعَمُود فقريّ ظاهرٍ للعَيان... أمْسكتُ به بكلّ فَخْر، ونَظَرْت باسْتعْلاء إلى الزّملاء، وعلى الفَوْر، تَوجّهت إلى صَديقيْ وحبيبيْ (أبو علي كاميرا):
_ هي هية الحرية يلي بدكن ياها... هي هية الحرية يلي بدكن ياها
هي هية الحرية يلي بدكن ياااهاااااا

ريف إدلب – عدسة ماجد الحموي

سورية مصنع للسلفية الجهادية

جلال زين الدين

لافتة لحزب التحرير الإسلامي ٢٠١٣

رُبّما يَكُون منَ المُفارقَات الكَبيْرة والعَجَائب الفَريْدة أنْ تَتحوّل سُورية إلى مَصْنعٍ للسّلفيّة الجهَاديّة ولا سيّمَا المتشدّد، فَسُورية التي تَميّزتْ باعْتدالهَا عَلى مَدَى التّاريْخ الإسْلاميّ، والتي تَعرّض فيْها حتّى هَذا التّيار المعْتدل لحَرْب ومُلاحَقةٍ شَعْواء منْ نظَام البَعْث عَلى مَدَى عُقُود حَيْث لَمْ يَكُن أحدٌ يَجْرؤ عَلى الظّهُور بالهيْئة الإسْلاميّة فمَنْ يُطيْل لُحْيته ويُقصّر ثوْبه يَخْضع للمُراقبَة الأمْنية ثُمّ يَكُون عُرْضة للاعْتقَال في أوّل حَمْلة أمْنيّة، ومَا أكْثر هَذه الحَمَلات في سُورية. فَزجّ بالآلاف لمجرّد الهيْئة فَمَا بَالُك بمَنْ يَتبنّى الفِكْر السّلفيّ، والوَيْل لمَنْ يَقْتني كُتُب ابْن تيْميّة وابْن القَيّم الجَوْزيّة فتلْك جَريْمة لا تُغْتفر، ولَيْست حَادثةُ صَرْف مئَات المنقّبات منَ التّدْريس ببَعيْدة حَيْث لَمْ يَجْرؤ أحدٌ منَ العُلَماء التّفوّه بكَلمَة وَاحدَة، كُلّ هَذه المَمارسات أسْهمت بزيَادَة النّار تَحْت الرّمَاد.

جَاءَتْ الثّوْرة السّوريّة لتُخْرج هَذه النّار منْ تَحْت الرّمَاد، لكنّها كَانتْ نَاراً هَادئَة مُفيْدة تُعبّر عَن التّنوّع في المجْتمع السّوريّ، لكنّ ارْتفَاع وَتيْرة البَطْش والقَمْع الدّمويّ والحَشْد الطّائفيّ الذي قَامَ به نظَام الأسَد أدّى لجَذْب تيّارات سَلفيّة مُتشدّدة غَريبَة عنِ المجْتمع السّوريّ الذي لَمْ يَعْرف سِوى السّلفيّة المعْتدلة (مُحبّ الدّين الخَطيْب نَمُوذجاً) وللأسَف بَدَأ الخَارجُ بدَعْم السّلفيّين الوَافدين المتشدّدين، وترَك السّلفيّين السّوريّين المعْتدلين يَتوسّعُون دُون دَعْم يُذْكر، فَخفّ بَريْقهم مَع الزّمَن وفقَدوا جَاذبيّتهم، فالحُرُوب لا تَسْمح إلاّ للمُتشدّدين وللمَدْعومين بالبَقَاء حَيْث تلْعب مَوازينُ القُوّة دَوْرها عنْدَما يَغيْب مِيْزان العَقْل والمنْطق.

وبخُطْوة خَاطئَة للأسَد أفْرج عَنْ أصْحاب التّيار السّلفيّ دُون تَمْيِيز بَيْن مُتشدّد ومُعْتدل ليَسْتخدمهم وَرَقة إعْلاميّة، ولنَجَاحه بتَجْنيد بَعْضهم. أدّى ذَلك لرَفْد التّيار السّلفيّ برجَال أصْبحوا قَادَة، وبمُرور الوَقْت مَالَ الكَثيْر منْهُم نَحْو التّشدّد، وقَدْ يُعدّ ذَلك طَبيعيّاً إذا نَاقَشْنا الظّرُوف المَوْضوعيّة للثّوْرة السّوريّة، وتَشَابك العَلاقَات الدّوْليّة بهَا.

وهُنا كَانَ الأسَد يُدْرك حَجْم قُوّة السّلفيّة الجهَاديّة، ويَظنّ أنّ بإمْكَانه ضَبْط إيقَاعهَا، فَكَان لَهُ شَبَكات اسْتخْباراتيّة في أوْسَاطهم، وكَانَتْ اسْتخْباراته تعْرف تقْريباً كُلّ المجَاهدين الأجَانب والعَرَب الذين كَانُوا يَتوجّهُون للعرَاق، فالمهرّبُون كَانُوا مُخْبرين سريّين يَعْملون لصَالح النّظَام يُزوّدونَه بأسْمَاء وجنْسيات الجَميْع، وظَنّ أنّ لعْبه بهَذه الوَرَقة في سُورية سَيَنْجح كمَا نَجَح في اسْتعْمَالها في العرَاق، وسَيَبْتزّ بهَا المجْتمع الدّوْليّ.

لكنّ اسْتمْرار الثّوْرة دُون نَصيْر أوْ مُعين هَيّأ الفُرْصة لجَذْب مَنْ يَحْملون فكْراً جهَاديّاً منْ كُلّ دُوَل العَالَم، وانْخَرط هَؤُلاء في المجْتمع السّوريّ، وعَاشَروا السّوريّين، وانْخَرطوا مَعَهم يُقَاتلون الأسَد ومَعَ مُرُور الأيّام وَجَدْنا هَؤُلاء المجَاهدين الأجَانب يتْركون تنْظيماتهم الصّغيْرة وفَصَائل الثّوار لينْخرطوا في تنْظيم الدّوْلة الإسْلاميّة لكَوْنه كَان أكْثر التّنْظيمات تنْظيماً وتَبنّياً للفِكْر الجهَاديّ العَالمي الذي كَانُوا يؤْمنون به قَبْل مَجيْئهم.

وقَدْ أصْبح هَؤُلاء المجَاهدون العَرب والأجَانب نُواةً ومَصْنعاً للسّلفيّة الجهَاديّة المتشدّدة التي لَمْ تَسْتطع السّلفيّة الجهَاديّة المعْتدلة الوُقوفَ في وَجْهها، وانْخَرط الآلاف منَ السّوريّين في صُفُوف تنْظيم الدّوْلة الإسْلاميّة، ومَاتَزال أعْدَاد المنْتسبين في ازْديَاد، ومَنْ يُنْكر ذَلك كأنّه يُنْكر وُجودَ الشّمْس في ظَهيْرة آب.

تَحوّل هَؤُلاء المجَاهدون، لا سيّمَا الأجَانب، لمصَانع ووَسَائل دعَايَة للسّلفيّة الجهَاديّة المتشدّدة في كُلّ أنْحَاء العَالَم، فالبريطَانيّ الذي جَاءَ منْ بريطانيا لَهُ أصْدقاء وأقَارب وأحْباب بريطانيّين يَحْملون فكْراً يُشَابه فكْرَه، ولا شَكّ أنّه يُحدّثهم عَنْ حَلاوة الجهَاد ومُتْعته، فيُرغّبهم بالقُدُوم لسُورية والعرَاق وهَكَذا تَسْتمرّ السِلْسلة بالتّوسّع، ولا تَنْسى أنّ النّاسَ تَسْتمع للتّجْربة الشّخْصيّة وتُصدّقها، ولا سيّمَا إذا كَانَ لصَاحب التّجْربة (كاريزما) ومصْدَاقيّة فَعنْدَها سَيكُون تَأْثيره مُضَاعفاً، وسَيَجْذب العَشَرات، هَذا بالنّسْبة لغَيْر السّوريّين والذين تَجَاوز عَدَدهم الآلاف، نَاهيْك عَن السّوريّين الذين كَانُوا بالأمْس طُلاّب جَامعَات وعُمّال ويَافعيْن يَعيشُون الحيَاة كَمَا هي يَدْرسون ويَعْملون ويَسْهرون ويَلْعبون الكُرَة ويُشجّعون فرُقهم الرّياضيّة، انْخَرط قسْمٌ كَبيْرٌ منْهُم بالجَيْش الحُرّ نَتيْجة ظُلْم وبَطْش الأسَد وانْبهر بَعْضهم بالهَالَة الإعْلاميّة التي تَتخذّ الدّين شعَاراً لَها لينْضموا لتنْظيم الدّوْلة، أمّا اليَافعيْن فَمَا زالُوا ينْضمّون للتّنْظيم بأعْداد كَبيْرة تَحْت تَأْثير سِحْر القُوّة التي يُظْهرها التّنْظيم وقُدْرته عَلى العَزْف عَلى وَتَر العَاطفَة، فانْضمّ في أيْلول المَاضي أكْثر من ٦٠٠٠ عُنْصر جَديداً وفي شَهْر تشْرين الأوّل/أكتوبر عَددٌ قَريْبٌ منْ هَذا العَدَد أصْبحوا في نَظَر العَالَم إرْهَابيين جُدُد.

لَقَد أصْبحتْ سُورية مَصْنعاً خَصباً للسّلفيّة الجهَاديّة، وتُسْهم كُلّ دُوَل العَالَم ولا سيّمَا الكُبْرى بتَوْفير المَوَاد اللاّزمَة، والظّرُوف المَوْضوعيّة للإنْتَاج، وسَيأْتي اليَوْم الذي تُصدّر فيْه بضَاعَة هَذا المصْنع للدّول التي دَعمَتْه ومَا زَالت، واسْتشْعَارها الآنَ للخَطَر لَنْ يَنْفعها شَيْئاً إذا لَمْ تقُم بإزَالَة الظّرُوف المَوْضوعيّة التي أدّتْ لإنْشَاء هَذا المصْنع، فَيجبُ إزَالَة نظَام الأسَد الذي وَفّر الأرْض والظّرُوفَ الملائمَة ومَنْح شَهَادات التّرْخيص، كَمَا يَجبُ إنْهَاء المظَالم التي تَعرّض لَها الشّعْب السّوريّ ودَفَعتْ وتَدْفع الكَثيْرين لسُلُوك التّشدّد ومُحَاسبة المسْؤولين عَنْها، ولا تَنْسى وُجُوب دَعْم مَصَانع الاعْتدَال، وغَيْر ذَلك عبَارةٌ عنْ كِتَابَة ذِكْرى عَلى رِمَال الشّاطِئ.

الدّور التّركيّ في الثّورة: مصلحة أم احتضان؟

محمد الحاج

تركيا ونصائحها للأسد

العَلاقة الرّسميّة بيْن «أردوغان والأسد»وُصفت بالجيّدة قبْل انْدلاع الثّورة السّورية، حيْث كانَ يتمّ تبادلُ الزيارات بشكل مكثف بيْن الطرفين، وبُدِء بالتّعاون الاقْتصاديّ بشَكْل فعّال، كما فُتِحت الحدودُ أمام الشّعبيْن دونَ «فيزا» في الأعْياد.

وبِسبَب تلْك العَلاقات الجيّدة، وقُبيْل انْطلاق الثّوْرة السّورية، ومَعَ بدايةِ الرّبيع العربي، توجّهت الحُكومة التّركية مُتمثّلة بـ «أحمَد داوود أُوغلو» إلى «الأسد» طالبةً منْه إجراءَ إصْلاحاتٍ فِعْلية، وحَسْب تَصْريحات «أُوغلو» فإنّ الأسد تَقبّل تِلْك النّصائح بصَدْرٍ رَحبْ، ولكنْ ما إنْ بَدَأت المظاهَرات ضدّ النّظام الحاكِم،حتّى سَارَع كلاً من «أُوغلو وأردوغان» بدَعْوة «الأسد» إلى تلْبية مَطالب المتظاهرين وتجنّب العنْف مَعَهم ، إلاّ أنّ «الأسد» رَفض ذَلك مؤكّداً أنّه سيُلاحِق فُلولَ الإرْهابيين في جَميع أنْحاءِ سورية.

دور تركيا في الثورة السورية

مَع رَفْض «الأسد» للنّصائح التّركية، وتَزايد أعْداد الضّحايا على يَد نِظامه، بَدأتْ لهْجةُ تركيا تتغيّر، وانْحازَت لجانبِ الشّعْب السّوريّ مُؤكّدةً أنّ الذي يَجْري بسوريا هي مُظاهَرات شَعْبية عَفوية تُطالب بالحُرّية والكَرامة، وليْست مؤامرةً دوليّة على النّظام السّوريّ، ولذَلك بَدأتْ تُركيا بإطْلاق بَعْض التّصْريحات النّارية ضدّ «الأسَد»، لتَبْدأ باسْتقْبال المنْشقين عَن الجيْش التّابع للنّظام الحاكم، وبَعْض المعارضين المطْلوبين منَ الأفْرع الأمْنية إلى أنْ اسْتطاع الجَيْش الحُرّ السّيْطرة على الشّريط الحُدوديّ السّوريّ–التّركيّ بمُساعدة «غيْر واضحَة الملامِح» منْ قِبَل تركيا، لتَفْتح تركيا حُدودَها بشَكْلٍ كاملٍ ونهائيّ أمامَ اللاّجئين السّوريين وغيْرهم منَ الصّحفيين الأجانب وتَسْتقبل ما يَزيد عَنْ مَليون لاجئٍ سوريّ على أراضيها.

حَاوَلتْ تُركيا أيْضاً أنْ تَكون المرْكز السّياسيّ للمُعارضَة السّوريّة حيْث تَشكّل المجْلس الوَطنيّ على أراضيها، واسْتقْبلت بعْد ذَلك الائْتلاف الوَطنيّ السُّوريّ، إضافةً إلى الحُكومة السّورية المؤقّتة مَع السّماح لَهُم بالاجْتماعات على الأراضي التّركية، وإقَامَة مَقرّاتهم هُناك، وتَأْمين الحِمَاية اللاّزمة لبَعْض الشّخْصيات السّياسيّة السّوريّة. وَلمْ تَكْتفِ تركيا بذَلك، بلْ أيْضاً سَمحت بإقَامة دَوْرات إعْلاميّة وإغاثيّة وطبيّة ... الخ للنّاشطين السّوريين محاولةً تَقْديم جَميع أنْواع الدّعْم للشّعب السّوريّ وكَسْب تَأْييدهم.

مَعَ جَميع تلْك المحاسن التي ذُكِرت سابقاً، نَرى سَلْبيات أعْمانا عَنْها الصّدْر الرّحب التّركيّ، فَفتْح الحُدود التّركية–السّورية أدّى إلى قَتلان أمْنيّ هُناك دون ضَبْط منَ الجِهة التّركيّة، ممّا سمحَ بحَسْب كثيرٍ منَ السّياسيين والنّاشطين بمُرور «الجهاديين» كعَناصر «جبهة النّصْرة وتنْظيم دوْلة الإسْلام» اللّتيْن أضرّتا بالثّورة السّورية كثيراً. ولكنْ هلْ تقومُ تركيا بكلّ تلْك الأعْمال لوَجْه السّوريين، أمْ لأنّ مَصالحها دَفعَتْها لتَقف إلى جانب الثّوْرة كمَا دَفعَت المصالح روسيا وإيران للوُقوف بجَانب الأسد.

مَصالح تركيا

التّدخّل التّركيّ في الثّوْرة المسلّحة كانَ واضِحاً، فالجميعُ باتَ يَعْرف كَيْف اسْتطاع الجَيْش الحُرّ السّيْطرة على مَدينة كَسَب المحاذية للحُدود التّركيّة بيْن لَيْلة وضُحاها، فلَوْلا فَتْح المعْبر الواقع في الشّمَال الغَرْبيّ السّوريّ أمَامَ الثّوار وتَقْديم الدّعْم المدْفعيّ لَهُم، لما اسْتَطاع الجَيْش الحُرّ آنَذاك السّيْطرة عَلى المدينة، وأيْضاً بيْن لَيْلة وضُحاها انْسَحب الجَيْش الحُرّ منْ هنَاك بَعْد إيقافِ الدّعْم التّركيّ والأَوامر التّركيّة التي أذْعن لها الجَيْش الحُرّ آنَذاك.

التّدخّل التّركيّ في السّياسة المعَارضة باتَ واضِحاً جدّاً، في الانْتخابات الأخيرة لرئاسة الحُكومة المؤقّتة فبَعْد إقَالة رئيس الحُكومة السّابق أحْمَد طعْمة المحْسوب على الدّوْحة وأنْقرة، أُعيدَ انْتخابُه منْ قِبَل الائْتلاف بأغْلبية سَاحقة تَجاوزت ٩٦٪ من الأعْضاء المصوّتين بأمْر مُبَاشر من الأخيرتيْن وتَهْديدات قَطَرية بقَطْع المسَاعدات عنْ الائْتلاف في حَال عَدَم فَوْزه.

تركيالها مَصالحها وطُموحاتها، وهَذابالسّياسة أمْرٌ مُباح وطَبيعيّ، لذَلك يَجب عَلَيْنا أنْ نُدْرك أنّ تُركيا «العلْمانيّة»تعْمل كَدوْلة وقَراراتها المصيرية تُتخذ بإجْماع رجال الدّوْلة، وليْس بقرارٍ مُنْفردٍ منْ رئيسِ الدّوْلة أوْ رئيسِ الحُكومة.

كلّ الضّغوط التي تَتعرّض لها تُركيا منْ دُوَل غَرْبية ووسَائل إعْلام عربيّة وأجْنبية، وضَغْط داخليّ منْ قِبَل الأكْراد للتدخّل في عيْن العَرب، لَمْ يَنْفع معْ تركيا والتي باتَتْ دَوْلةً قويّة لها وَزْنها، فشُروطها واضِحة: إقَامة مَنْطقة عازلةٍ لأَهْداف –ربّما– إنْسانيّة «مَعْ تَحفّظي الشّديد عَلى وُجود أَهْداف إنْسانيّة في السّياسة» ولربّما لأَهْداف جيو–سياسيّة واقْتصادية، كضَمَانات بِعَدم قيامِ أيّ كَيانٍ كرديّ في الشّمَال السّوريّ، وزيادَة نُفوذها اقْتصادياً بَعْد سُقوط النّظام، ولربّما لأَهْدافٍ لمْ يُعْلن عَنْها وما تَزال مَخْتومة بخَتْم «سرّي للغاية».

«مُحْي الدّين مَحْروس» يَرى أنّ مُطالبة «أرْدوغان»بمَنْطقة عازلة لَيْست إلاّ لكَسْب التّأييد الشّعبيّ فـ «أردوغان» يعْلم جيّداً أنّ مَنْطقة الحَظْر الجَويّ، أوْ المنْطقة العَازلة تَحْتاج لقرارٍ منْ مَجْلس الأمْن وبوجودِ الصّين وروسيا في مَجْلس الأمْن يَسْتحيل هَكذا قرار، ويَفْترض «مَحْروس» أنّ الموافقة تَمّت على إنْشاء المنْطقة العَازلة، فَما هي إلاّ لتَوْسعة حُكْم تركيا أكْثر وامْتداد حزْب الإخْوان إلى المنْطقة العَازلة لإدَارتها، وبالتّالي وبشَكْل «أوتوماتيكيّ» يَنْتقل الإخْوان إلى السّلْطة في دمشقَ بَعْد سُقوط الأسد.

إلى الآن لَمْ تُحقّق تركيا أيّة مَكاسب قَوية تُعَادل ضَريبة عَدَم الاسْتقْرار السّياسيّ التي تَسبّب بِها مَوْقفها الوَاضِح منَ الوَضْع السّوريّ، ولذلك تركيا حتّى هَذه اللّحْظة تُقاوم وتُحاول أنْ تَحْفظ بَعْض المكَاسب لها منْ خِلال التّدخّل في تعْيين رئيس الحُكومة أو الائْتلاف، وتفْرض شُروطاً تُؤمّن لَها المكَاسب، هَذا عَدا ضَيْرورة أمْر إسْقاط الأسد إلى أمرٍ شَخْصيّ يتعلّق بـ «أردوغان».

أخيراً، هلْ تركيا كانتْ إيجابيّة للثّورة السّوريّة أمْ سَلْبية؟ الجَواب نسبيّ لهذَا السّؤال،فإلى الآن الأجْوبة ستَكون عَاطفيّة وتَحْليليّة أكْثر ممّا تَسْتند إلى الوَقائع وغيْر مُحايدة، أعْتقد أنّه سَتنْكشف مَآرب تركيا بشَكْلٍ واضحٍ بَعْد سُقوط النّظام الحَاكم في دمشق.

الحدود التركية السورية

عن إشكالية الوطن مُعتقلاً أو نازحاً

عباس علي موسى

إنّ مراجعة سريعة لتاريخ سوريا البعث ترسم خطاً واضحاً لمنجز البعث الأساس؛ ألا وهو صناعة الإنسان السوري على شاكلته ومقاسه، ورؤاه التي يعتقد بها، بعد أن ينفخ فيه من رسالته في الوحدة والحرية والاشتراكية، أما عن رسالته في الوحدة فلم يقدّم سوى مشاريع فاشلة؛ بعد أن دمر نفسية الإنسان السوري، ومحق كلّ القوميات والمكونات الأخرى، في سبيل فكرة الوحدة العربية التي فشل فيها أيّما فشل، ويتذكر السوريون الذين عاصروا تلك الفترة خيبتهم إبان الوحدة مع مصر، والمحاولات الفاشلة الأخرى مع العراق وليبيا...

وذلك لسبب بسيط وهو أن الحزب لم يسع إلى توحيد سوريا، بل إنّه دمّر كل ما كان من شأنه توحيد الخارطة السورية، فكان أن ربط العلم السوري بعلم البعث، وكان من ذلك أيضاً أن أقحم كلمة (العربية) بين الجمهورية والسورية، ضارباً بعرض الحائط التنوع السوري، واستلب الوطن من أصحابه، وسعى إلى بناء جمهورية البعث، وكرّس جمهورية البعث لتكون جمهورية الأسد، فهي دولة الأسد والحصن المنيع في وجه كلّ آفات العدوان الصهيو-أمريكي!

لقد نجح الأسد الأب في تدمير الهوية الوطنية، فالبرلمان السوري الذي كان يضمّ تحت قبّته أصوات السوريين الحقيقية، الذين قاوموا الفرنسيين في خندق واحد، صار بعد استلاب الأسد للوطن مجرّداً من معناه، فالبرلمان في عهد الأسد لم يأوِ غير دمى تصفّق لكل شاردة وواردة، على لسان ملهم الإنسان السوري وقائدها إلى المستقبل، المفدّى حافظ الأسد!

لقد كرّس البعث أيضاً فكرة المركزية المطلقة، فربط كلّ الحياة السياسية والثقافية...بالعاصمة دمشق، لكنّها ليست دمشق الجمهورية السورية بل دمشق الحديثة قلعة الصمود والتصدي، دمشق الأسدية التي تمشي فيها السيارات على أشلاء المعتقلين؛ حيث يقبع تحت شوارعها وأسواقها أشهر المعتقلات صيتاً كالذي في ساحة العباسيين.

كانت دمشق أيضاً معتقلاً كبيراً، فيها قضى الحالمون بالغد السوري الجميل جلّ شبابهم، فسترى ببساطة كيف أنّ أي معتقل سياسي قد قضى ٢٠ عاماً في المعتقل أو ٢٥ عاماً بكل بساطة فقط لأنه عمل في الجهة المقابلة، أو أنّه طرح فكرة ما، كما في حال المعارضين لمشروع البعث، أو كما في حال المعتقلين الكرد الذين كانت تُهَمُهم جاهزة؛ في النيل من هيبة الدولة والحاقها بدولة أجنبية!

وكم منهم قد قبع في السجون المعتمة، فقط لأنّه كان يعلّم اللغة الكردية التي جبله الله عليها!

لقد نجح الأسد الأب في تدمير الإنسان السوري وتشويهه، وخلقه على شاكلته، وأطفأ نوره أو كاد، وأورث كلّ هذه البلاد بما فيها وما عليها للأسد الابن الذي تبنى التطوير والتحديث كأسلوب لإدارة البلاد، وسرعان ما اكتشف أنّ ما ورثه من الأب لم يكن إلا وطناً معتقلاً معتماً، لا ينبغي أن تعيد إليه نوره، لذا فقد أمعن في أساليب الحكم السابقة، وجاء الامتحان الصعب ليَخبر بنفسه أدوات القمع التي خلّفها والده، فكانت الثورة السورية خير مثال يظهر بالضبط معنى دولة الأسد، التي عمل عليها الأب لعقود.

الوطن معتقلاً من جديد، الوطن كحلم

في الثورة السورية وقف، ويقف، السوريون أمام احتمالات ثلاث، إمّا الاعتقال أو الاستشهاد، أو الاستمرار كمعادل للانتصار، فديمومة الثورة هي انتصار لها، بعد أن وقف العالم متفرجاً أمام المشهد المتا- تراجيدي للقتل الجماعي الذي يمارسه الأسد وأمام مشاهد النزوح الجماعية للسوريين، حتى أنّ السوريين نصبوا أوطاناً عديدة في الجوار، لكنّها أوطان لا تحمل معها ثيمة المكان/ الوطن، وهل ترك الأسدان للوطن معنى يستشعروه.

وما الذي تركه الأسد من مفهوم الوطن، لقد وهبت الثورة للسوريين صدمة المعنى من الوطن، فالنازحون والمعتقلون والشهداء والمستمرّون وحدهم من وعوا فكرة الوطن، لكنْ شهيداً ومعتقلاً.

إنّ الوطن بالنسبة للسوريين أتى لاحقاً على الثورة، وتكوّن كفكرة في وعيهم عبر الأسئلة التي طرحوها على أنفسهم، ولم يكن آخرها الوطن، حول ماهيته وكينونته وعلمه الوطني، لذا ربما قبل السوريين علم الاستقلال كمعبّر عن ثورتهم دون أن يقيموا لذلك اجتماعاً، ولذا تداولت النقاشات حول الجمهورية السورية كعودة بالوطن إلى فترة الاستقلال حيث الجمهورية السورية كمعبّر عن هذه الجغرافية المترامية ما بين درعا وديريك في أقصى الشمال الشرقي من البلاد.

إن الحرية والكرامة كمطلبين رئيسين للثورة ضمت بين جوانحها كل مفاهيم الوطن والمواطنة، حتى وإن افتقدت في بعض جوانبها إلى التنظير، عودة بها إلى بساطتها، فربما لن يستطيعُ رجلٌ استشهد أبناؤه ودمّر منزله، وتشردت أسرته أن يجلس ويقدّم لكَ تنظيراً عن مفاهيم الثورات وكيف ينبغي أن تكون، لكنه يستطيع أن يطلب حقّه في الحرية والكرامة والعيش بأمان ببساطة، ومن يتتبّع الفيديوهات والشهادات ويافطات التظاهرات وغيرها الكثير مما خلّفته وتخلّفه الثورة بإمكانه أن يبني عليها ما نظّر به فولتير عن الثورة الفرنسية، لأنه ثمة أشياءُ تأتي لاحقاً.

حين توثّق الكاميرا حركة النزوح

تحملُ الكاميرا في عقلية السوري ألماً مضاعفاً فهي توثّق مشاهد الفظاعة ومشاهد النزوح على حدود دول الجوار، وهل ما حدث في كوباني مؤخراً على الحدود التركية إلاّ إعادة لمشاهد النزوح السورية، صور كثيرة التقطها الصحفيون والنشطاء تحملُ معها غبار قرى وأرياف كوباني وهم يفرّون بما تيسّر لهم من وطن مكسّرٍ لم يستطيعوا أن يعيشوا فيه بكرامة.

صورة تبدو فيه امرأة وهي تطلق استغاثاتها إلى السماء، صور عديدة، معظمها تبرز الوجوه وهي تنظر صوب السماء وكأنّها تعيد النداء الذي رفعه السوريون مراراً «يا الله، مالنا غيرك يا الله»، صور أخرى تحمل من الغبار بقيّة الوطن، الكلّ يجري بغير هدى، لا يبدو أن الكثيرين من العالم باتوا يلتفتون إلى مآسينا، وعلى الشريط الحدودي الذين دخلوه عنوةً لكثرة ما تضخّم الألم على وجوههم تنبثق المأساة ملونة، وهل ينبغي التردد في استقبال هؤلاء الذين نزحوا من بلادهم؟!

لم يعد السوريُّ مرحّباً به في دول الجوار، لأنّه يحملُ لعنته السورية معه أينما حلّ! كذا يقولها الآخر في استقباله الجاف.

وهل يقوَ السوريُّ بعدُ على حمل اللعنة، إن كان بالكاد يحملُ على كتفيه حلمه بالعودة، واسمه، وثيابه التي تثقل كتفيه التي أصابها الجفاف.

أيْن النّخب العربيّة؟

عبْد القادر العبيْد

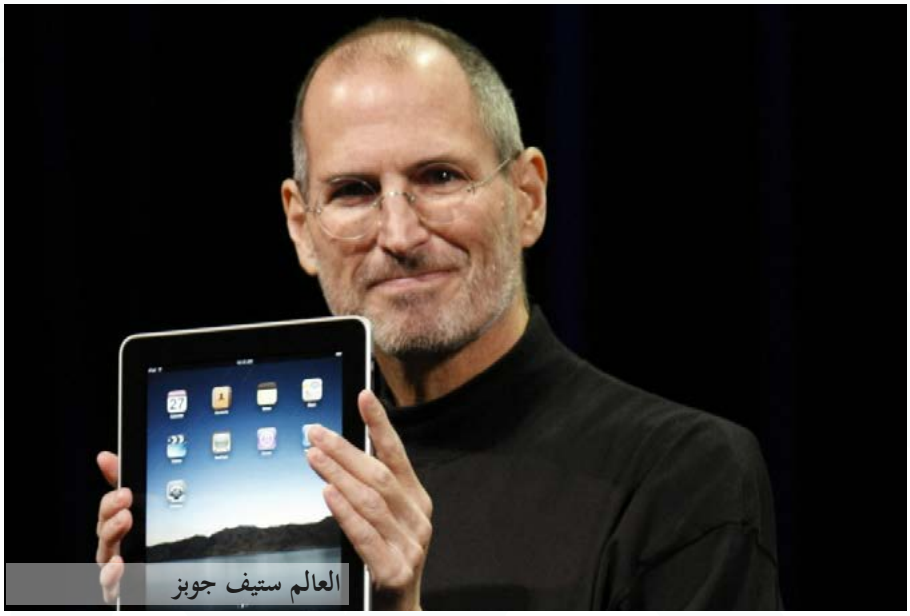
العالم ستيف جوبز

كُلّ المجْتمعات في العَالَم تنْقسم إلى طَبَقات، فنَجد طَبَقة الفُقَراء، وطَبَقة الكَادحيْن، وطَبَقة صغَارُ الكَسَبة، وطَبَقة المتعلّميْن، وطَبَقة التّجار، وطَبَقة الأَثْرياء أوْ مَا يُسمّى بالطَبَقة المخْمليّة، ويُضَاف إلى تلْك الطَبَقات في دُوَل العَالَم المتقدّم طَبَقةٌ تُسمّى «طَبَقة النّخْبة»، فالبَعْض يَظنّ أنّ النّخْبة هُم الأَثْرياء، أوْ السّياسيّيْن أوْ المثقّفيْن، وفي وَاقع الأَمْر، فإنّ هَذا التّوْصيْف غَيْر دَقيْق بالمعْنى الفعْليّ للكَلمَة، فالنّخْبة هيَ الطَبَقة المبْدعة التي تُقدّم شَيْئاً مُميّزاً لا يُمْكن لإنْسَان آخَر تقْديمه، وكُلّ شَخْص يُقدّم عَلى حَسْب اخْتصَاصه، فقَد يُقدّم لَنا شَخْص مَا اخْتراعاً في عُلوم الذّرة فيَكون منَ الطَبَقة المخْمليّة، وشَخْص آخَر يُقدّم لَنا اخْتراعاً في عُلُوم التكْنولوجية فيُصْبح من النّخْبة، وثالثٌ يُحرزُ انْتصَاراً سيَاسيّاً أوْ عَسْكرياً مُميّزاً، فيُصْبح من النّخبة. وهَذا يَعْني أنّ النّخْبة لا تَقفُ عنْدَ اخْتصَاصٍ أوْ عنْدَ فَقيْر أوْ غَنيّ، ولا عنْدَ قَائدٍ أوْ مَرْؤوس، فَأَصْحاب الأَدْمغَة مَوْجودين في كُلّ مَكَان، وفي كُلّ الاخْتصَاصات، وهُمُ السّبَب في تَقدّم البَشَريّة، ولَوْ أنّ النّخْبة تُخْتصَر في شَخْصيات الأَثْرياء والقَادَة لمَا وَصَلنا إلى هَذا التّطوّر والتّقدّم، ولَكن مَا سَبَق ذكْره مَا كَان إلاّ مُقدّمة لطَرْح عدّة أسْئلة تَخْطر عَلى بَالنا جَميْعاً: أَيْن هي النّخبُ العَربيّة؟، وهَلْ توجَد طَبَقة نُخْبة في البُلْدان العَربيّة؟، واذا لَمْ تَكُن هَذه النّخْبة مَوْجودة، فَمَا السّبَب في انْقرَاضها؟، وهَلْ يُعْقل أنّ ثَلاثة مائة مَلْيون عَربيّ كُلّهم رَعَاع ولا يُوجَد فيْهم شَخْصٌ وَاحدٌ يُدْرج اسْمُه في لَوائح النّخْبة في العَالَم؟، وهَلْ الطَبَقات المخْمليّة في العَالَم العَربيّ تُسمّى نُخْبة المجْتمع، أمْ هي مجُرّد طَبَقة منَ الطّبَقات المتَواجدة في أيّ مُجْتمع آخَر؟.

لكَيْ نُجيْب عَلى هَذه الأَسْئلة لابدّ لَنَا أنْ نُوضّح شَيْئاً مُهمّاً نَسْتنْتج منْ خِلاله الإجَابَة بأَنْفسنا، ألاَ وهُو مَاذا تعْني كَلمة «رُعَاع».

قَدْ يَرى البَعْض أنّ كَلمَة رُعَاع هيَ كَلمَة ثَقيْلة عَلى المسَامع، وقَدْ يَظنّها البَعْض الآخَر كَلمَة تَحْمل الإسَاءة لقِسْم كَبيْر منَ النّاس، وفي الحَقيْقة أنّ كَلمَة رُعَاع تعْني «عَامّة النّاس»، ولا يُوجَد فيْها مَا يُسيء عَلى الإطْلاق، فالله خَلَق النّاسَ جَميْعاً منَ الطّيْن ومَيّز البَشَر عَنْ سَائر خَلْقه بالعَقْل، ومَيّز النّاسَ عنْ بَعْضهم بالتّفَاوت، فَنَحْن نُلاحظُ أنّ التّفَاوت مَوْجودٌ في سَائر خَلْقه، فنَجدُ الطّويلَ والقَصيرَ والأَقْصر، ونَجدُ الأَسْمَر والأَبْيض والأَسْود، ونَجدَهم جميْعاً لا يُشْبهون بَعْضهم في الخِلْقة حتّى ولَوْ تَشَابهوا بالطّوْل أوْ في الوَزْن، وكَذَلك هي العُقُول، فَقَدْ خَلَق الله العُقُول مُتفَاوتة، ومَنَح لكُلّ إنْسَان حُدوداً يُفكّر بها، ومَيّز بَعْضهم بالعُقُول الرّاجحَة، كَما مَيّز غَيْرهم بجَمَال الخِلْقة أوْ بالثّراء، وهُنا نَصلُ إلى مَعْنى كَلمَتيْ نُخْبة ورُعاع، فكُلّ مَنْ مَيّزهم الله بالعُقُول المبْدعة نُخْبة، وكُلّ سِواهُم رُعاع، حتّى ولَوْ كَانَ ثرياً أوْ جَميْلاً أوْ طَويْلاً أوْ قَصيْراً.

إذاً، كَلمَة نُخْبة تَخْتصّ بأَصْحاب العُقُول المبْدعة فَقَط، والذينَ انْقرضوا منَ المجْتمعات العَربيّة، ليَحلّ مَحلّهم الممثّل والملحّن والشّويْعر، وقَدْ أصْبَحنا نُلقّبَهم بالنّخْبة، والنّخْبة أبْعد مَا تَكُون عَنْهم، ومَا يُميّز الدُّول المتقدّمة عَنْ دُوَل العَالَم الثّالث هُو أنّه في دُوَل العَالَم الأوّل نَجدُ أنّ النّخْبة هيَ التي تَقُود المجْتمع، وهَذا هُو سرّ تفَوقهم وتَقدّمهم عَلَيْنا، بَيْنما في المجْتمعات العَربيّة، نَجدُ أنّ الرّعَاع هُمْ مَنْ يَقُودون المجْتمعات، وإذا ما اصْطدَمتْ سيَاسَاتهم بأَفْكار النّخْبة نَجدُ هَذه النّخْبة إمّا في غَيَاهب السّجُون والمعْتقلات، أوْ يُرحّلون إلى تَحْت القُبُور، أوْ نَجدَهُم مُوزّعيْن في دُوَل الشّتات. والدّليْل عَلى هَذا الكَلام هيَ الأَسْئلة التي تَتَوارد في ذهْن أيّ مُوَاطن عَربيّ، كَمْ منَ العُلَماء اخْتَضنَتْهم أمْريكا وأوربا؟ وكَمْ منَ المفكّرين خَرجوا منْ بلَادهم العَربيّة دُون عَوْدة، وحَازُوا عَلى مَنَاصب رَفيْعة في بِلَاد لَيْست بِلاَدَهم؟ وكَمْ منَ المخْترعيْن تَمّ إعْدَامهم في البلَاد العَربيّة ولَمْ يَكُن لَهُم أيّ ذَنْب سِوى أنّهُم أرَادوا النّهْضة لبلَادهم، وقَدْ يُبرّر البَعْض بالقَوْل: «إنّ هَؤُلاء يَحْتاجون إلى إمْكَانيات أَكْبر منْ إمْكَانيات الدّوَل العَربيّة». و في الوَاقع هَذا الكَلَام عبَارة عَن هَراء لا يَخْرج إلاّ منْ أَفْواه الرُّعاع الذين يَخْتكرون المقَاعد القياديّة، ويَقُولون هَذه العِبَارات كَيْ لا يَسْمحوا للنّخْبة بالظّهُور، فجَميْع الوَقَائع تُشيْر إلى أنّ العُقُول العَربيّة يَتمّ اسْتثْمارها في الدّول الغَرْبيّة ويَتمّ تَبنّي أفْكَارها بأَمْوال عَربيّة لكَيْ تعُود بالنّفْع عَلى الغَرْبيّيْن وَحْدهم دُون غَيْرهم.

ولنُعْطِ مثَالاً بَسيْطاً عَلى شَخْصية نَالَت شهْرَة عَالميّة وَاسعةً، ولَكنْ بَعْد وَفَاتها، ألا وهُو:

العَالِم السّوريّ «آبل ستيْف جوبز» مُؤسّس شَركة «آيْفون» الذي لَمْ يَكُن أحدٌ يَتخيّل أنّه سوريّ الأَصْل ومنْ مُحَافظة حمْص تَحْديداً، لكنّه عَاشَ حَيَاته في أمْريكا، وآثَر عَدَم العَوْدة إلى بلادِه، لأنّه يَعْلم أنّه سَوْف يَكُون تَحْت تَسلّط الجَلَادين الذين لَنْ يُقدّروا عِلْمه وإبْدَاعه، ولَنْ يَجدَ في بَلدِه مَنْ يَتبنّى أفْكاره ويُنَمّي عَلاقَته مَع الالكتْرونيات، فأَسّس شَركَته في أمْريكا التي مَنَحته الرّعَاية والاهْتمَام حتّى نَمتْ وَكَبرتْ وصَار لَها اسْم عَريْق عَلى مُسْتوى العَالَم، وهَا نَحْن اليَوْم نُدْخل شَيْئاً من إنْجَازاته إلى بُيوتنا كَيْ نَسْتثمر شَيْئاً من فَتَات أفْكاره، ولَوْ فكّر «آبل ستيف جوبز» العَوْدة إلى سُورية لكَانتْ نَهَايته لا تَقلّ بَشَاعة عَنْ نَهَاية البرْفيسور وعَالمُ الذّرة العراقيّ حَميْد خَلف العُكَيْلي الذي أَمْسى هَائماً عَلى وَجْهه في شَوارع بَغداد ولَمْ يَجدْ حتّى مَنْ يُقدّر عِلْمه وإبْدَاعه.

مَنْ يُسْقط نظامَ الْأسد؟

هيثم فرحان حدّو

بَدأَ السّوريونَ غَضبِهمْ ضِدّ نِظامَ الأسد، بِثورةٍ تفَجّرتْ في آذار مِن العام ٢٠١١ مُطالبينَ بالحُرّيةِ والكرامة وإسقاطِ النّظام، تيَمناً بالثّورات التي تفَجّرتْ في دُولٍ عربيةٍ أُخرى.

اليومْ، وَبَعدَ مضِيّ أَكثرَ مِن ثلاثِ سنواتٍ على تفجّرِ هذا الغَضب، وهذهِ الثّورة، نَجِد الشّعبَ السّوري في ثورةٍ بِلا ثوّار، ثورةٌ لا يُديرُ رحاها سوريونْ، ولا يَنشُط فيها إلاّ القليلَ القليل من الشّباب السّوريّ. لأنّنا لوْ أَردْنا أنْ نفرِشَ البِساطَ أحمدياً في شوارعِ دِمَشقَ وشوارعِ سورية مُجملاً سَنجِد أنَّ ما يقومُ بِهِ نظامَ الأسد مِنْ إجرامٍ بحقِ شعبِهِ، ودمارٍ شامِلٍ للمدنْ السّورية، واستيرادِ الكثيرِ مِن مُرتَزِقةِ حزب الله، ومُرتَزِقةِ إيران للانْغماس في سَفْكِ الدّمِ السّوري، ليسَتْ أقلُّ شأناً مِن أروقةِ المعارضة التيْ باتتْ عَجلةً مُعَطِلةً لآمالِ السّوريين فيْ نيلِ الحريةِ والكرامة.

بدأ فَشَلُ المعارضة السّورية من خِلالِ أوّل مُؤتَمَرٍ موسّعٍ عَقدتهُ في تركيا بتاريخ ١-٦-٢٠١١ ، وذلِكَ أولاً لِعَدَم قُدْرتِها على وضعْ اسْتراتيجيةٍ مدْروسةٍ ومُحكمة لإنجاحِ الثورة السورية، وَإيصالِها إلى برِّ الأمانْ بإسقاط النّظامْ القائمْ، وثانياًعَدمْ قُدرتِها على الإتفاق على رؤْيةٍ سياسيّةٍ تَليقُ بالشّعب السّوري في مرحلةِ ما بعدَ الأسد، وهكذا توالتْ المؤتمرات حتى تَمَخّضَ عَنْها المجلس الوطنيْ السوري في ٢-١٠-٢٠١١.

لمْ يَستَطِعْ المجْلس الوطنيّ السّوريّ، وَمِنْذ تأسيسِهِ تحقيقَ أوّل أهدافِهِ التيْ كانَ يسعى إلى ترسيخِهِ بِكُلّ الوسائل، وهو أنْ يَكونَ مُمثّلاً شَرْعيّاً ووحيداً للثّورةِ السورية، بَلْ على العَكس، فقَد فَشِلَ في ذلكَ فشلاً ذريعاً رُغمَ الإعترافُ شبْهُ الدّولي بِهِ. نَتجَ عنْ ذلكَ انْقطاعُ المجلس سياسيّاً وإدارياً عنْ الثّورةِ في الدّاخلِ السّوري، مِمّا أدّى إلى نشوءِ مجموعاتٍ ثوريةٍ متعدّدةٍ، سياسيّةٍ وعسْكريةٍ، بإداراتٍ و ارتباطاتٍ مختلِفة، وَالتي أَفْضَتْ إلى نُشوبِ الكثيرِ من الخلافاتِ فيْما بيْنها، والتي أَدّتْ في بعْضِ الأحيانِ إلى التّقاتل فيما بيْنها، نَاهيكَ عَنْ الفساد المادّي والإداريّ، والانقِسامُ المناطقيّ الذيْ أَصَابَ أعضاءَ المجلس.

رويْداً رويْداً، أَصْبحَ المجلسُ الوطنيّ السّوريّ لا يُشكّلُ إلاّ صورةً هَشّةً فيْ المعادلة السّورية، إلى أنْ وَصَلَ المطافُ بالسّوريين إلى ما يُسمّى اليوْم بالإئتلاف الوطنيّ السّوريّ، الواجهةُ السّياسيّةُ للثّورةِ السّورية، حيثُ أَصْبَحَ المجلس الوطنيّ السّوري عضواً فيهِ، لا أكْثر .

الائتلافُ الوطنيُّ السّوريُّ شَكلَهُ شَكلُ المجلسُ الوطنيّ السّوريّ، حيثُ لمْ يَستَطِعْ منْذ تأسيسه في ١١-١١-٢٠١٢، وحتّى تاريخِهِ، تحْقيقَ أيّ تغييرٍ في مسارِ الثّورةِ السّورية، الثّورة التي باتتْ كُتلة خُرْدةٍ مليئةً بالأخطاءِ والنّكَساتِ، والتي أصبحتْ بِأمَسّ الحاجة إلى تغييرٍ جَذْريّ مِنْ خِلالِ وضعِ خُططٍ إسعافيّة على الأرض لتلافي نِسَبِ الفَشل، وتحقيق ما يبْغيه الشّعْب السّوريّ، سِيّما وأنّ ما تبَقّى مِنَ الثّوار السّوريين، يواجهونَ أخطرَ تَكَتُّلٍ في سورية، وهو ما يُسمّى بتنظيم الدّولة الإسلاميّة، العدوّ اللّدودَ للثّورةِ السّورية.

أَضِفْ إلى ذَلِكَ، عَدَمْ قُدرَة العقوْل في الائتلاف إقناعَ الغرب في مُساعدةِ السّوريين بِتحقيقِ آمالِهم في الحرّية، والكَرامةِ، والعيشِ الكَريم.

اليورو، والدولار، والرّيال، والدّينار، والجنيه.

كُلُّ هَذِهِ التّسْميات يَجْمَعُها قاسِمٌ واحِد، وهو ما كانَ يُسمّى بالثائرِ السّوريّ، والذي يُمثِلُ —يوْم وسابقاً— تِلكَ المعادلة التي لمْ تُفْضِ إلى أيّ نجاحاتٍ على الأرض، إذْ لمْ يَرْتَقِ النّاشِطُ السّوري —رُغمَ خُضوعِهِ لِورشاتِ عملٍ تدريبيةٍ كثيرة في مَجالْ المجتمع المدنيّ، والإعلام، والقيادةُ السّياسيّة، والاتصالاتْ، والإغاثة— إلى مَرحلةِ تَطوير العَمَلِ الثّوريّ، وتَطْوير أساليب العمَلِ، والتي كانَ لا بُدَ مِنها خِلالَ الثّورة لمواجهةِ أَشْرسِ نظامٍ مُخابراتيّ، ومواجهةِ مَكرِهِ والإطاحة بِهِ، هذا نَاهيكَ عَنْ أنَّ غالبية هَؤلاءِ تَركوا العَمَلَ الثوريُ في الدّاخلِ وَجَلسوا قابِعينَ على أَقْبيةِ الفنادقِ التُركية والخليجية والأوربية التي باتتْ تفوحُ مِنها رائِحُة الدّمِ السّوريّ.

الحقيقةُ السّوريةُ بِعينِها حقيقةٌ علقميةٌ، فَجَميعُ الأدّلة والوقائعِ التيْ أَصبَحَتْ وَاضِحة للعَيانْ تُشير وتؤكِد فَشَلَ الثّورةُ السّورية نَتيجَة غيابِ قيادةٍ حقيقيةٍ تقومُ بإدارتِها، هَذا فَضْلاً عَنْ أنّ الكثيرَ مِنْ الشّبابِ السّوريّ لمْ يَستَمِرّ فيْ عَمَلِهِ الثّوريّ، وَمِنَ المعلوم أنَّ أيَّ ناشطٍ ثوريٍ في أيّ بُقعَةٍ ما مِنَ الأرضِ هوَ عِمَادُ تِلكَ الثّورة، إلاّ أنَّهُ في سورية عَلى العَكسِ تماماً، نَجِدُ غالبية نُشطاءِ الثّورةِ السّورية، مَدَنيينَ وَمُسلّحينَ وَحَتى سياسيينْ غَلَبَ عَليهِمْ الإرتدادُ عَنِ الثورةِ بَعْدَ حصولِهِمْ على أموالٍ طائلة وَالإستقرار فيْ دُولِ اليورو.

كيفَ سَيَسْقُط نظامُ الأسد؟ ومَتى؟ .. لا أحدَ يَعلمْ ، طَالما أنّ كُلّ مَنْ حَمَلَ رايةُ الثورة ليسَ على أرضِهِ السورية، وليسَ موجوداً في قلبِ الثّورة، فَكيفَ بِالدّمِ السّوريّ مَنْ يُوقِفَ نَزيفَهُ؟ وَكيفَ بالمعتقلين الذينَ أَحْرقهُمْ ظُلْمُ الأجْهزةِ الأَمنيّة؟ مَنْ يُحرِرَهُمْ؟ وكيفَ ستَنْتصر الثّورة ؟.

مَنْ يُسْقِطْ الأسد ... لا أَحَدْ يَدريْ

حتّى تركيا والخليجُ العربيّ، الطِفْلينِ المدلّلين للولاياتِ المتّحدة الأمْريكيّة، واللّاعِبَيْنِ الأساسيّيْن في توجيهِ مسار الثّورة السّورية، لَمْ يَعْلَموا بَعدْ شَكل الحلَقةِ الأخيرةِ في إنهاءِ مُعاناةَ الشّعْب السّوريّ، خَاصّةً وأَنَّ تَصْريحاتُ قادةِ هَذهِ الدّول كانتْ تَنْحوُ بِشكلٍ أَساسيّ باتجاهِ مُحاربةِ تنظيم «الدولة الإسلاميّة» الرّديفُ الحديثُ للنّظام السّوريّ، والتّحالفُ الدّوليّ الجديدْ الذي بَدَأَ بِتوجيهِ ضَرَباتِهِ لِتنظيم الدّولة الإسلاميّة مُتناسياً مَنْ يَدعَمْ هذا التّنْظيم، ومَا أَفْصَحَ عَنهُ قَادَةِ الأتراكِ مُؤخَراً عَنْ خُطةٍ وَتفويضٍ لِتَدَخُلِ القواتِ التركيةِ فيْ سورية في حالِ دَعَتِ الحاجةُ، والتّلْويح بِإقامةِ مَنطقةٍ عازلةٍ على طُولِ الحدودِ التّركية السّوريّة وتَجَاهُل مَا يَقومُ بِهِ النّظامُ السّوريّ مِنْ جَرائِمَ ضِدَ الإنسانية، وتَجَاهُلْ ما يَقومُ بِهِ الأسد مِنْ تمويلٍ بالمالِ والسلاحِ لتنظيم الدولة الإسْلاميّة.

لِلحَيلولةِ دونَ الإستمرارِ فيْ الكارثةِ التي يَتعرّضُ لها الشّعبُ السّوريّ على يَدِ نِظامِ بشّار الأسد مِنْ جهةٍ، وتنظيمُ «الدولة الإسلاميّة» الحَليف الاسْتراتيجيّ للأسد مِنْ جهةٍ ثانيّة، لا بُدَ مِنْ العَوْدة إلى قَلْبِ الثّورةِ، ولا بُدَ للجميعِ من العَوْدةِ والعَملِ بِشكْلٍ سليمٍ، وَاتّباعِ اسْتراتيجيّةٍ سريعةٍ في العَملِ الثّوريّ المشْترك الجادّ، وَعلى وجهِ الخُصوصِ ذَلِكَ النّاشِطُ الثّوريّ الذي أَشْعَلَ فَتيلاً ما، فيْ بُقعَةٍ ما، مِنْ سورية وَمِنْ ثُمّ تركَ مَا بَدَأَ بِهِ وَرَحَلَ على أجْنِحة الثّورة إلى عواصمَ الحرّيةِ والرّفاهيةِ والكرامة، حتّى المعارضة السّورية هي أيْضاً تَستطيعُ العَوْدة والاستقرار فيْ مناطِقَ مُحرَرةٍ، وقيادةُ الثّورة من الدّاخل، هذا إنْ صَحّ تعبيرُ «مناطق مُحرّرة» كما تزْعمْ أبْواقُ المعَارضة وإعلاميّو الثّورة السّورية خارجَ أَسْوارِ الثّورة، والعَمل مَعَ جميع الفصائلِ المناهضةِ للنّظام السّوريّ تَحْتَ رُؤْيةٍ مُشْتركة، والتّشْبيكِ مع كافّةِ أطيافِ المجتمع السّوريّ مِنْ أجلِ غَدٍ حُرّ كريمْ.

HAWA SMART

هوا سمارت

دمشق. حمص. حماه 103.2

حلب. ادلب. اللاذقية. دير الزور 99.6

من الساعة

6 صباحاً - 12 مساءً

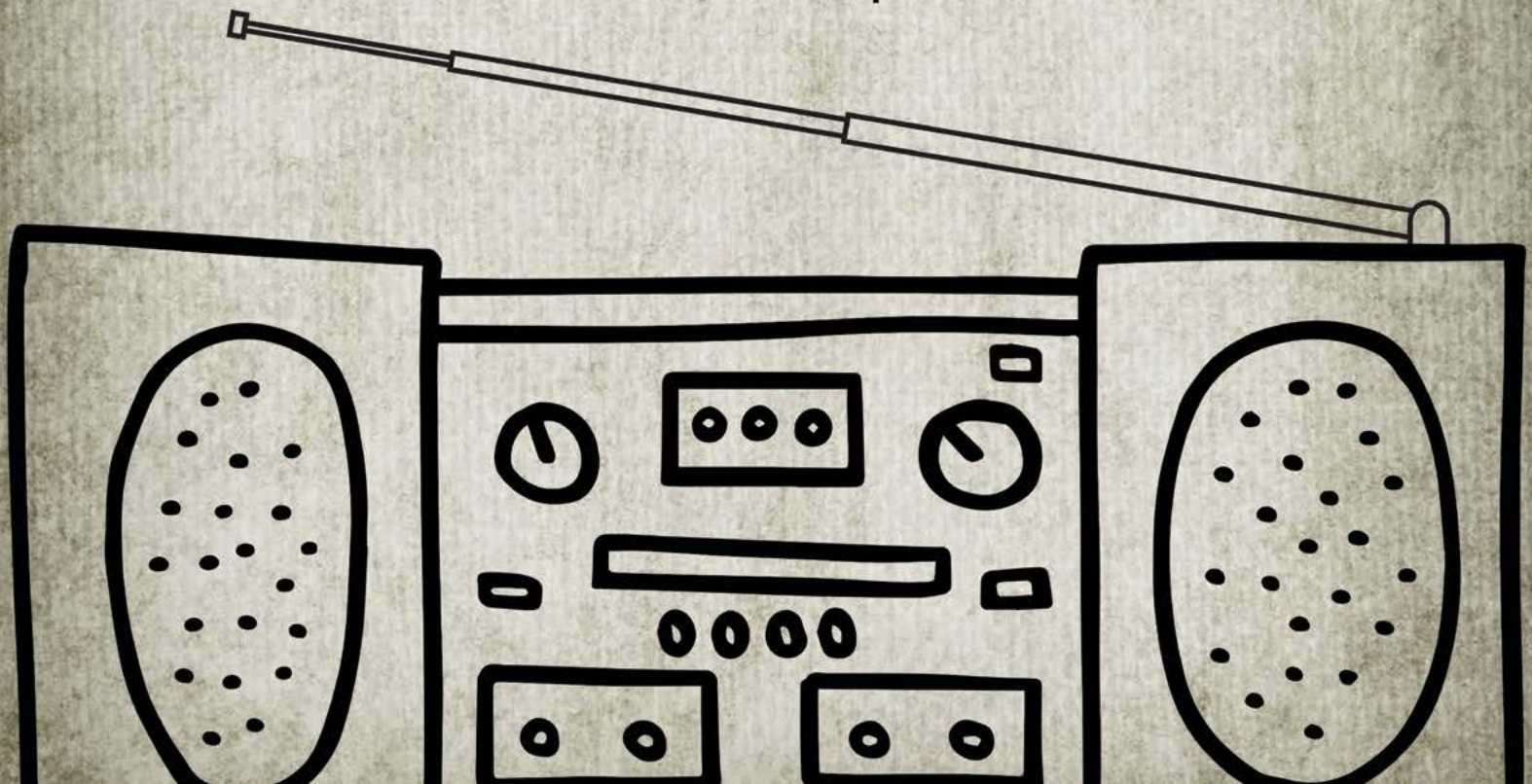

«النّظام» و «التّنظيم» في الميْزان الخَلدونيّ حلقة ١

د. عبد الفراتي

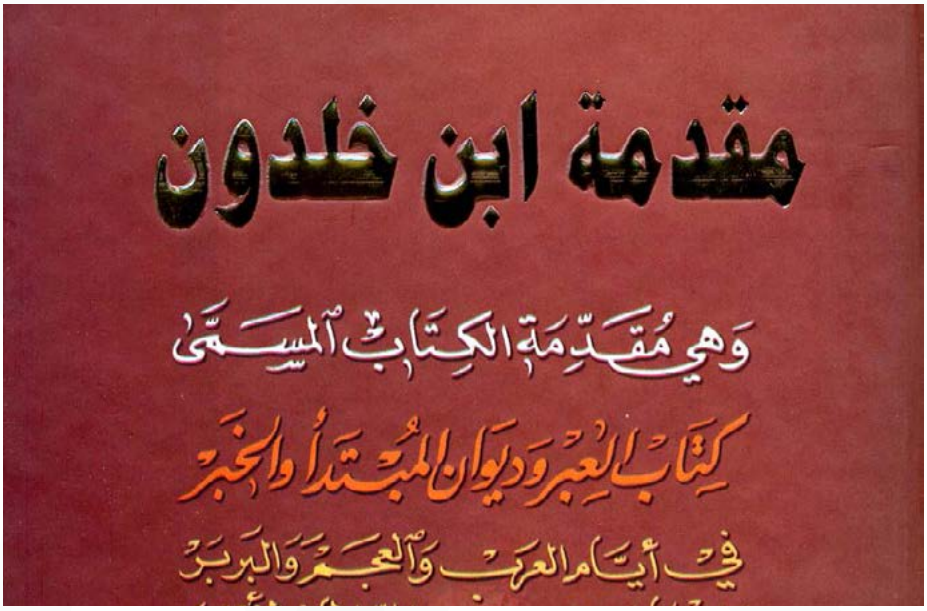

قَد لا يَخْتلف اثْنان عَلى عَبْقرية ابْن خَلْدون الذي سَبَق عَصْره عَبْر مُقدّمته الشّهيْرة التي تَنَاول فيْها مَوْضوع الدّوْلة بكَثيْر منَ التّفْصيل، وأَطْوارَها وتَبدّلاتها عَبْر الزّمَن، وإنْ كَانَت نَظَرية العُمْران قَدْ تَناولت مَفْهوم الدّوْلة وفْقَ مَا أَمْلته مُسلّمات العَصَبيّة وأَدَواتها في ذَلك الحيْن، فإنّه منَ الغَرَابة بمَكَان أنْ تَكُون لتلْك المسلّمات انْعكَاسَات فَلْسفيّة مُعَاصرة حدّ الانْطبَاق عَلى الوَاقع واسْتشْراف المسْتقبل لَوْلا بَعْض الاخْتلافَات غَيْر الجَوْهرية غَالباً. في هَذا المقَام سَنُحَاول إفْرادَ حَلَقتيْن مُتَتاليتيْن لإلْقَاء الضّوْء عَلى الطّبيْعة النّظريّةالخَلْدونيّة كمُكوّن لحَرَكة أَطْوار الدّوْلة في مثَاليْن مُتنَاقضَيْن ومُتكاملَيْن في آنٍ مَعاً،يَخصّان النّظامَ السّوريّ وتَنْظيم الدّوْلة الإسْلاميّة، تَمْهيداً لحَلقتيْن أُخريْن يَتَناولان البُعْد الاقْتصاديّ لهَذه الظّاهرَة وفْقاً لوجْهَة النّظَر الخَلْدونيّة.

فإذا كُنّا سَنَبْدأ بالنّظَام، فَعَليْنا الإشَارَة بادِئ ذي بِدْء إلى مَرَاحل تَطوّر الدّوْلة عنْدَ ابْن خَلْدون، ومَنْ ثَمّ نُسْقط انْعكَاس ذَاك المفْهوم عَلى مَراحلِ تَطوّر النّظَام السّوريّ مُنْذ بدْئِه وُصُولاً للثّوْرة السّوريّة و مَا يُمْكن في هَذا المقَام من اسْتشْراف المسْتقبل فيمَا يُمْكن أنْ تؤُول إليْه مَرَاحل هَذَا النّظَام وِفْقاً للرُؤْية الفَلْسفيّة الخَلْدونيّة.

بصُورة عَامّة، قَسّم ابْن خَلْدون مَرَاحل تَطوّر الدّوْلة إلى ثَلاثِ حُقَب: طَوْر النّشْأة والنّموّ، طَوْر التّمكّن والازْدهَار، طَوْر الهَرَم والفَنَاء. بدْءاً منْ طَوْر النّشْأة والنّموّ الذي به تَقُوم الدّوْلة وهُو في مُجْمل مَرَاحله الجزْئيّة يَسْتند أَساساً إلى العَصبيّة البَسيْطة والشّامِلة التي تَجْمع أَصْحابَها في سَبيْل المُلْك أوْ التّبوّء عَلى أَعْلى هَرَم السّلْطة، والشّاهدُ عَلَى ذَلك مَا اسْتوْقفَني كَثيْراً لهَذه النّقْطة تَحْديداً في مُقدّمة ابْن خَلْدون حيْن قَال:

« إنّ الجيْل الوَحْشيّ أَشدّ شَجَاعة منَ الجيْل الآخَر، فهُم أَقْدر عَلى التّغلّب وانْتزاع مَا في أَيْدي سِواهُم منْ الأُمَم، بَلْ أنّ الجيْلَ الوَاحدِ تَخْتلف أَحْواله في ذَلك باخْتلاَف الأَعْمار، فَكلّما نَزَلُوا الأَرْياف وتَقَبّلوا النّعيْم وفَوائدَ الخَصْب في المعَاش والنّعيْم، تَنْقص منْ شَجَاعتهم بقَدْر مَا يَنْقص منْ تَوحّشهم وبَدَاوتهم ....».

لنَتأمّل هَذه المقُولة بشَيْء منَ التّمعّن التّاريخيّ:

إنّ « الجيْلَ الوَحْشيّ»، وهُو الجيْل الذي لَمْ يَسْبق لَهُ مُمَارسة السّلْطة، والذي تَحدّث عَنْه ابْن خَلْدون، لَهُو مُنْطبق حَدّ التّطابُق المذْهل مَع بدَايَات العَلويّين في الجبَال السّاحليّة ممّنْ اعْتزلوا البَشَر والمدَر، وتَوحّشوا في أَعَالي الجبَال، ثُمّ شَرَعوا بالنّزُول مَع بدَاية الجيْل الثّاني ليَنْتزعوا المُلْك — وهُنَا السّلْطة العَسْكرية والرّئَاسة–منْ بَاقي الأُمَم — وهُنا تَعْني بَقيّة الأَقليّات والأَكْثريّة السّنيّة– فمنْ خلاَل الانْخرَاط بالجيْش والأَمْن، ومَعَ التّدرّج الزّمنيّ، بَدؤوا بنسْيَان حَيَاتهم الوَحْشيّة في الجبَال وتَوحّشهم وبُعْدهم عَن الحَضَارة والمدنيّة «فتَقبّلوا العَيْش والنّعيْم «، إلاّ أنّ وَحْشيّتهم الفِطْريّة — وإنْ كَانَت اخْتلفت في شَكْل حَيَاتهم فَإنّهم بقُوا بطَبْعهم الوَحْشيّ في سَائر مَا وَصَم حَيَاتهم وسُلُوكهم دَاخلَ الدّوْلة على صُعُد عِدّة. ويُؤَكّد ابْن خَلْدون أنّ تَغلّب هَؤُلاء عَلَى سِوَاهم منَ العَصبيّات لا يَكُون إلاّ بوُجُود عَامليْن تَوفّرا عَلى نَحْو مثَاليّ ومُفْرِغ في النّمُوذَج السّوريّ:

أَوّلهما، العَصبيّة والرّابطَة: وهُو مَا جَمَع أَبْناء الرّابطَة أوْ الطّائفَة أوْ العَصبيّة حَوْل المَنَافع والسّلْطة والجَاه وتَغْيير الحَالَة والانْسلاَخ عَن المعيْشة الوَحْشيّة التي اعْتَادوا العَيْش بها، فَتجمّعت لَهُم العَصبيّة النّقْعيّة التي صَهَرت بجَاذبيّتها العَصبيّات الجزْئيّة دَاخلَ الطّائفَة ذَاتها،فَتَحقّق العَاملُ الأوّل، وتَهيّأ الجيْل الأوّل عَصبيّاً. أمّا العَاملُ الثّانيّ فَتمثّل في ضُعْف العَصبيّات الموازيَة، أيّ ضُعْف الجَانب الآخَر عَلى طَرَف السّلْطة، وهُو مَا يَتمثّل في النّمُوذج السّوريّ بَبقيّة الأَقليّات في المجْتمع السّوريّ، إضَافَة للأَكْثريّة السّنيّة .. وذَلك الضّعْف يَأْتي —مِنْ وُجْهة نَظَر ابْن خَلْدون— مَع عَدَم قُدْرة هَذه العَصبيّات الجزْئيّة عَلى الاسْتمْرار فيْما أُلفَت العَيْش عَليْه منْ عَوَامل الاسْترْخَاء ورَغَد العَيْش التي اعْتَادت العَيْش عَليْها في مَرْحلة الاسْتقْرار التي كَانَت تَشْهدها هَذه العَصبيّات الجزْئيّة، مُمهّدة —عَن غَيْر قَصْد منْها— للمَرْحلة التّالية المتمثّلة بالشّيْخوخة والهَرَم، فالانْهيَار. إذْ تقُوم محلّها عَصبيّة أُخرى أَشدّ قُوّة وأَكْثر تَعصّباً. تَاريخيّاً، وفي النّمُوذَج السّوريّ يُمْكن أَنْ يَقَع الطّوْر الوَحْشيّ بَيْن عَقْدي الخَمْسينَات إلى السّبْعينَات، وهيَ الفَتْرة التي شَهدَت صُعُود الطّائفَة العَلَويّة إلى السّلْطة تَدْريجياً، مَعْ تَراجع العَصبيّات الأُخْرى منَ السّنة وبَقيّة الأَقليّات، وانْتهى هَذَا الطّوْر فعْلياً في عَامِ ١٩٧١ حيْن اسْتَلم حَافظ الأَسَد السّلْطة في سُورية. لتَبْدأ مَعَها المرْحلة الثّانيّة للعَصَبيّة العَلَوية مُتمثّلة بمَرْحلة «الازْدهَار العَصبيّ» والتي سَتَمْتد أَلَماً سُوريّاً عَلى مَدَى الأَرْبعة عُقُود التّاليّة.

يَرَى ابْن خَلْدون أنّ قيَامَ الدّوْلة —بمَفْهومها العَصبيّ– لا يَكُون إلاّ بتَوَافر عَامليْن أَساسيَيْن:

يَتمثّل العَاملُ الأَوّلُ بالشّوْكة والعَصبيّة، وهُو يَعْني بمَعْناه الضّيّق والمبَاشر الجَانب العَسْكريّ منَ المعَادلة، وهُو مَا يُتَرْجم بالجُنْد والأَمْن وسَائرِ وَسَائل الدّفَاع التّقْليديّ، وبالقيَاسِ إلى النّمُوذَج السّوريّ، فإنّ هَذا العَامل كَانَ العَاملَ الأَكْثر حَسْماً بكُلّ تَأْكيد، آخذينَ بالاعْتبَار تَغَلْغل الطّائفَة العَلَوية في جهَازيْ الأَمْن والجَيْش، حتّى

أَفْضى الأَمْر في النّهايَة إلى تَجْيير هَذيْن الجهَازيْن عَلى نَحوٍ عَصْبويّ طائفيّ شَكّل عَلى مَدَى تَدرّج العُقُود الأَرْبعَة العَمُود الأَوّل للدّوْلة العَصْبويّة.

أمّا العَاملُ الثّانيّ، فيَنْصرف حَتْماً إلى المال الذي بدُونِه لا يُمْكن الحفَاظ عَلى الشّوْكة والعَصبيّة، ولما كَانَ الإنْفَاق يتَناسب طَرْداً مَع تَطوّر الدّوْلة وأَحْوالها، ولَيْس منَ الصّعْب الفَهْم أنّ الإنْفَاق يَكُون في بدَايَة طَوْر التّأْسيس مُقْتصراً عَلى الوَظَائف التّقْليديّة للدّوْلة منْ أَمْن ودفَاع وقَضَاء، حَيْث تَكُون الدّوْلة وَحْشيةً بَدويةً غَليْظةً غَضّة، إلاّ أنّ اتسَاعَ الاعْتمَاد عَلى الجُنْد والأَمْنيين، وتَمكّن العَصبيّة منَ الجبَايَة واسْتجْرار الأَمْوال، سيَدْفَع حَتْماً لاتسَاع الإنْفَاق. وفي النّمُوذج السّوريّ يُلاحَظ هَذا الإنْفاقُ جَليّاً في عَقْد الثّمَانينيّات عَلى وَجْه الخُصُوص، ولَعلّ سَرايَا الدّفاع كَانَت مَع لَواحقِها المثَالَ الأَكْثر جَلاءً عَن هَذا الطَوْر.

غَيْر أنّ هُنَالك مُقَاربة غَرْبيّة أَوْردها ابْن خَلْدون بشَيْء منَ التّفْصيل عنْدَ حَديْثه حَوْل «المصْطنعين إلى العَصبيّة» وهُوَ مُصْطلح أَرَاد به ابْن خَلْدون إلْقَاء الضّوْء عَلى تلْك الشّرَائح الاجْتماعيّة التي عَاضَدَت العَصبيّة الكَبيْرة، وسَانَدتْها في سَعْيها للحُكْم –دُون أنْ تَكُون بالضّرُورة منَ العَصبيّة ذَاتها– وفي النّمُوذج السّوريّ يَنْسحب ذَلك المصْطلح إلى أُولئكَ المنْتفعين منَ السُّنة أوْ الطّوائف والأقلّيات الأُخْرى، الذين أفَادُوا منَ الطّائفَة وعَصبيّتها دونَ أنْ يَمتّوا لَهَا بصِلَة، ويُدلّلُ عَلى ذَلك بمثَاليْ مُصْطفى طلاّس وحَسَن تُوركْماني، وغَيْرهما.

ويُشيْر ابْن خَلْدون في تفْسير هَذه النّقْطة تَحْديداً إلى أنّ النّسَب العَصْبويّ، وهُو مَا يَعْني النّسَب بالدّم والقَرَابة المبَاشرة بَيْن أَفْراد العَصبيّة الوَاحدَة، لا يُمثّل في هَذه المرْحلة عَاملاً حَاسمًا في مُعَاضدة العَصبيّة المعْنية، قَدْر مَا تُمثّله «العَصبيّة النّفْعيّة»، بَلْ يُؤَكّد أنّه لا يَعْدو كَوْنه مُثيْراً عَاطفيّاً خَارجيّاً، وعَاملاً وَهْميّاً مُؤقّتاً يُسْتثمر لإشْعَال شَرَارة العَصبيّة وشَحْذ تَكتّلها أُسرياً وقَبَلياً نَحْو الغَايَة المنْشودة، وهيَ المُلْك أَوْ السّلْطة بمَعْناها المعَاصر، وهُو مَا يَجْعل منَ «العَصبيّة النّفعيّة» الرّابطَة الأَقْوى والأَكْثر تَماسكاً قيَاساً إلى عَصبيّة النّسَب والأَقْدر عَلى تَحْقيق أَهْداف العَصبيّة في السّلْطة، ويُتَرجم ذَلك في النّمُوذج السّوريّ باعْتمَاد الأَسَد الأَب عَلى تُجّار حَلَب ودمَشْق في تَوْطيد دَعَائم حُكْمه مُنْطلقاً منَ المثَل الشّعْبيّ «حُكْم دمَشْق برضَا تُجّارها»، وليْس ذَلك سِوى أَصْرخ مثَال عَلى تَفوّق العَصبيّة النّفْعيّة عَلى عَصبيّة النّسَب ودَوْرها الفَعّال في تَمْكين العَصبيّة في طَوْر التّمكّن والازْدهَار.

موالون للأسد ٢٠١٤

وفي ظلّ هَذا المنَاخ منْ تَدفّق المال والإسْرَاف في إنْفَاقه، ومَعَ الانْفرَاد بالسّلْطة وتَجْيير البلَاد لصَالح العَصبيّة يَكْثر التّرف بَيْن أَصْحاب العَصبيّة، وهُوَ مَا يُؤَكّده ابْن خَلْدون بقَوْله: «إنّ طَبيْعة المُلْك تقْتضي التّرف، فتَكْثر عَوائدهُم، وتزْداد نَفَقاتُهم وأُعْطياتُهم، ولا يَفي دَخْلهم بخَرْجهم، فالفَقيْر منْهم يَهْلك، والمتْرف يَسْتغرق عَطَاه بترَفه ..». بإسْقَاط ذَلك الكَلامُ حَرْفياً عَلى نَموذج الطّائفَة العَلَويّة في سُورية، نَجدُ بجَلاء أنّ عَائلتيْن أوْ ثَلاثة منَ السّلْطة قَدْ اسْتأْثرت بكُلّ المغَانم، وعَاشتْ بَقيةُ الطّائفَة، كَمَا بَقيّة الشّعْب السّوريّ، في فَقْر مُدْقع، أوْ يَكَاد. وهُو مَا يُفسّر البوْن الشّاسعَ بَيْن أَبْناء الطّائفَة ذَاتها، فَضْلاً عَن بَقيّة الشّعْب.

ويعُود ابْن خَلْدون فيُؤَكّد الجَانبَ الآخَر منْ هَذه المعَادلة المتمثّل بالاقْتصَاد أوْ مَقْدرات البلَاد التي أَصْبحت في يَد العَصبيّة، فيَقُول: «فإنّ أُعْطيات السّلْطان وأَصْحاب الدّوْلة تتَضاعف، ويَنْتشر الإسْراف بَيْن الرّعَايا، وتَمْتد أَيْديهم إلى أَمْوال الدّوْلة منْ جِهة، ومنْ جِهة أُخْرى يَبْدأ الجُنْد في التّجَاسر عَلى السّلْطة». وبتَحْليْل هَذا الكَلَام نَجدُ انْعكَاسيْن مُبَاشريْن في النّمُوذج السّوريّ، أوّلهُما يَتمثّل في مُحَاولة انْقلَاب رفَعتْ مَعَ سَرايَا الدّفَاع انْطلَاقاً منَ التّجَاسُر عَلى السّلْطة منْ دَاخل العَصبيّة ذَاتها، والثّانيّ يَتمثّل في انْفراد مَخْلوف المطْلق في مُقدّرات الاقْتصَاد السّوريّ في قطَاعَاته المخْتلفة، نَتيْجَة اتسَاع النّقَمات، واتسَاع السّلْطة، والامْتدَاد إلى أَمْلاك الشّعْب عَامّته وخَاصّته.

ولا أدلُّ عَلى ذَلك منْ تَعَلْغل أَجْهزة العَصبيّة الأَمْنية في اقْتصَاد البلَد، حتّى يَدْخل ذَلك في طَوْر الاحْتكار، فتَتحوّل الدّوْلة منْ حَامٍ للأَرْزاق إلى شَريكٍ بهَا –وهُو مَا سَنُفْرد لَه لاحقاً حَلَقة مُنْفصلة تُعَالج الجَانبَ الاقْتصاديّ من تَأْثير العَصبيّة في المجْتمع السّوريّ– غَيْر أنّ تَسلْسُل هَذه الأَحْداث ومُؤشّرات انْهيَار العَصبيّة من الدّاخل التي مَا عَادت تَخْفى عَلى أَحَد، حتّى قُبيْل انْطلاق الثّوْرة السّوريّة، تُؤَكّد دونَ أيّ مجَال للشّكّ دُخُولنا مَرْحلة الهَرَم منَ البَاب الكَبيْر، ولا أَدلُّ عَلى ذَلك منْ انْهيَار أوْ تَغيّر العَلاقَات التّشَابكيّة التي تَرْبط أَوْشاج «العِصبيّة النّفْعيّة» بَيْن المنْتفعين بالسّلْطة دَاخلها وخَارجها، وليْست حَمْلة «الكرسي إلك والتوابيت إلْنا» السّاحليّة والعَلويّة بامْتيَاز، سِوى التّعْبير الأَكْثر صَرَاحة عَن قمّة جَبَل الجَليْد البَادئ بالذّوبَان، قَدْ لا نَكُون مثَاليّين في تَوْقيتنا للحُكْم عَلى لَحْظة أَوْ تَوْقيت الانْهيَار الفعْليّ للعَصَبيّة العَلَويّة بالمفْهوم الخَلْدونيّ كمُكوّن للدّوْلة العَصْبويّة. لكنّ مُؤشّرات هَرمها مَا عَادت تَخْفى عَلى أَحَد. وقَدْ يُؤذنُ ظُهُور التّنْظيمات الأُخْرى كعَصبيّات مُنَاوئة عَلى ذَات النّهْج العَقْديّ في تَسْريع ذَلك الهَرَم والانْهيَار. وهُو مَا سَنُحاول الإجَابة عَنْه في الحَلَقة التَالية.

أزمَات الدّوْلة الإسْلاميّة:
ضَربَات الولايات المُتحدة على سورية تقْتل٥٥٣ شَخصاً.
عن مَوْقع: البي بي سي... تقْرير كسرة ناجي من الحُدود السّورية التركيّة.

تَرْجمة: روز الحُمْصي.

قَالَ نُشَطاء في المملكة المتّحدَة: أنّ الضَرَبات الجَويّة التي تقُودها الوِلايَات المتّحدة ضدّ مُتشدّدي الدّوْلة الإسْلاميّة في سُورية أَسْفرت عَن مَقْتل ٥٥٣ شَخْصاً مُنْذ شَهْر أَيْلول/ سبْتمْبر.

وقَدْ أَعْلن المرْصد السّوريّ لحُقُوق الإنْسَان، عَنْ مَقْتل ٤٦٤ مُقَاتلاً للدّوْلة الإسْلاميّة، و٥٧ مُتشدّداً، و٣٢ مُوَاطناً مَدنيّاً.

وفي الوَقْت نفْسه قَامَت الوِلايَات المتّحدة بشَنّ غَارَات جَويّة أَكْثر عَلى مَواقع تَجْمع مُقَاتلي الدّوْلة الإسْلاميّة بالقُرْب منَ المدينَة المحَاصرة (كُوْباني).

وقَدْ أَعْلمَت مَصَادر كُرْدية بي بي سي العَربيّة بأنّ الدّوْلة الإسْلاميّة قَدْ اسْتعَادَت سَيْطرتها عَلَى تلّة ذَات أَهميّة اسْتراتيْجيّة كَبيْرة تقَع عَلى بُعْد أَرْبع كيْلومتْرات منْ هَذه المدينَة. وتُواصِل القُوّات الكُرديّة القِتَال مَع مُقَاتلي الدّوْلة الإسْلاميّة في كُوْباني منْ أَجْل الاسْتيْلاء عَلى تَلّ الشّاعر مُنْذ تسْعة أيّام. كَمَا تُشيْر التقَارير أَيْضاً إلى أنّ مُقَاتلي الدّوْلة الإسْلاميّة يقْصفون مَوَاقع كُرْدية، ويَسْتهدفون وَسَط المدينَة.

وقَدْ صرّحَت قوّات سُورية كُرديّة للبي بي سي أنّه في مَسَاء يوْم الأَرْبعاء شَنّ مُقَاتلو الدّوْلة الإسْلاميّة هَجَمات مُكثّفة عَلَى الأَجْزاء الجَنُوبيّة والغَرْبيّة منَ المدينَة، وأَضَافت المصَادر أنّ القتَال اسْتُئْنف مُجدّداً صَبَاح يوْم الخَميْس بَعْد فتْرة وَجيْزة منَ الهُدوْء.

وقَالَ مُتحدّث باسْم الجَيْش الأَمريكيّ: بأنّ مُقَاتلاته قَدْ شَنّت خِلَال يوْميْ الأَرْبعاء والخَميْس، ستّ غَارات جَويّة ضدّ مَوَاقع تمَرْكز مُقَاتلي الدّوْلة الإسْلاميّة في سُورية بمَا فيْها أَرْبع هَجَمات بالقُرْب منْ كُوبَاني، أَسْفرت عَنْ تَدْميْر مَواقع تَمَرْكز مُقَاتلي الدّوْلة الإسْلاميّة، وآلياتهم، ومَرْكز التحكّم والقِيَادة الخَاصّ بهِمْ .

وأَوْضح بيَان للجَيْش الأَمْريكيّ أنّ الهَجَمات في سُورية –بالإضَافَة إلى تسْع غَارَات جَويّة ضدّ الدّوْلة الإسْلاميّة خِلَال يوْميْ الأَرْبعاء والخَميْس– كَانَت تهْدف إلى القَضَاء عَلى «جَمَاعة إرْهابيّة»، وعَلَى التّهْديد الذي تُشكّله عَلى المنْطقة، والمجْتمع الدّوْلي ككُلّ .

هُجُوم مُضَاد:

تبَادل المقَاتلون السوريّون الكُرْد ومُتشدّدو الدّوْلة الإسْلاميّة السّيْطرة عَلى تَلّ الشّاعر في الآونة الأَخيْرة. وأَخيْراً في الرّابع عَشَر منْ تِشْرين الأَوّل/ أكْتوبر اسْتَولى الكُرْد عَلى هَذا التّل الذي يقَع عَلى الحُدود مَع تُركيا.

ويقُول المحلّلون أنّ مَنْ يُسيْطر عَلى ذَلك التّل سَيكُون لَديْه الفُرْصة الأَكْبر في السّيْطرة عَلى كُوباني وهيَ بَلدة كُرْدية سُورية عَلى الحُدود مَع تُركيا.

الاسْتيْلاء عَلى كُوباني سَيُعْطي الدّوْلة الإسْلاميّة السّيْطرة التّامّة عَلى طُول امْتدَاد حُدُود الأَراضي السّوريّة. وقَالَ مُقَاتلون كُرْد وحُلَفائِهم منَ الجَيْش السّوريّ الحُرّ للبي بي سي: أَنّهم قَدْ شَنّوا هُجُوماً مُضَاداً ضدّ الدّوْلة الإسْلاميّة غَرْب كُوْباني؛ في مُحَاولة لتَخْفيْف الضّغْط عَنْ رِفَاقهم المقَاتليْن جَنُوب وغَرْب البَلْدة.

وصَرّح عُمر عَلّوش، وهُو مَسْؤولٌ كُرْديّ في كُوباني أنّ «القتَال هُو الأَعْنف منْ نوْعه خِلَال أُسْبوعيْن».

وبشَكْل مُنْفصل، أَخْبر المبْعوث الأَمْريكيّ –والمكلّف منْ قِبَل الرّئيْس بَارَاك أُوبَاما بإنْشَاء تَحَالف ضدّ الدّوْلة الإسْلاميّة– البي بي سي بأنّ تُركيا التي تَعرّضَت لانْتقَادات بشَأْن التّراخيْ فيْمَا يتَعلّق بكُوبَاني لَمْ تفْعل الكَثيْر للمُسَاعدة في التّعَامل مَع الأَزمة في سُورية.

وقَال الجنرال جُون ألين: أنّ تُركيا قَدْ قَبِلت العِبء الهَائِل من ١,٥ مَلْيون لاجئ، وأنّ الوِلايَات المتّحدة كَانَت في مُنَاقشات مَعَ الحُكُومة التُّركية ستؤدّي إلى الْتزامَات أُخْرى.

وَأَضَاف الجنرَال أَلين: أنّ الوِلايَات المتّحدة تعْمل مَع الحُكُومات الأُخْرى لقَطْع التّمْويل «الاكْتفَاء الذّاتيّ» عنِ الدّوْلة الإسْلاميّة منْ خِلَال اسْتهْداف «تهْريبها للنّفْط بصُورَة غَيْر مَشْرُوعة»، و«تهْريب الآثَار» و«الأَنْشطة الإجْراميّة» الأُخْرى.

تَقدّم الدّوْلة الإسْلاميّة في سُورية يَأْتي عَلى خَلْفية الحَرْب الأَهْلية هُنَاك. وقَدْ شَنّت الوِلايَات المتّحدة غَارَات جَويّة عَلَيْها دُوْن الحُصُول عَلى إذْنٍ صَرِيْح منَ الرّئيْس بَشّار الأَسَد، والذي يُرِيْده الغَرْب أَنْ يَتخلّى عنِ السّلْطة.

مَا هيَ الدّوْلة الإسْلاميّة ومَا الذي تُرِيْده؟

شُكّلت الدّوْلة الإسْلاميّة منْ قَاعدَة العرَاق (تَنْظيم القَاعدَة) في عام ٢٠١٣، وتمّ ظُهُورها بشَكْل عَلَنيّ لأوّل مرّة في الرّقّة في شَرْق سُورية اسْتَوْلت عَلى مَسَاحات وَاسعَة منَ العرَاق في يُوْنيو/ حُزيْران بمَا في ذَلك المؤْصل، وأَعْلنت «الخِلافَة» في المنَاطق التي تُسيْطر عَلَيْها في سُورية والعرَاق،واسْتَكْملت الشّكْل مُتطرّف منَ الإسْلام السّنيّ، وهيَ اضْطَهاد غَيْر المسْلميْن مثل اليَزيديّيْن والمسيْحيّين، فَضْلاً عنِ المسْلميْن الشّيْعة، الذيْن تعْتبرهم زَنَادقة. اشْتَهرت بمُمَارساتها الوَحْشيّة بمَا في ذَلك قَطْع رُؤوس الجُنُود والصّحفيّيْن وعُمّال الإغَاثَة. وَتقُول وَكَالة المخَابرات المرْكزيّة: أنّه يُمْكن أنْ تَصل المجْموعة إلى وَاحدٍ وثَلاثيْن أَلْف مُقَاتل في العرَاق وسُورية.

صورة المادة الأساسية

الأزْمة السّوريّة

ترْجمة ليْلى كَريم

في عَام ٢٠١١، امْتدت الثّوْرات العَربيّة لتَصلَ إلى سُورية. بَعْد ما يُقَارب الثّلاث سَنوات، أدّى الصّراع ضدّ بشّار الأسَد إلى أَكْثر من ١٣٠٠٠٠ قَتيْل، وتَسبّب في نُزوح ٢,٤ مليونَ شَخْصاً.

مَع «جنيْف٢» كانَ يَأْمل مُؤيدو ومُعارضو النّظام السّوريّ التّوصّل إلى اتفَاق منْ شَأْنه أنْ يُمهّد الطّريقَ لحِوَار بيْن حُلفاء سُورية والغَرْب. ولكنّ الوَضْع لمْ يَفْتر، وعَاد النّظام السّوريّ تَدْريجيّاً لوَضْع يَده على البلَد.

نَظْرة مُوجزة إلى الوَراء

في مَارس/ آذار ٢٠١١، خَرجَت مسيْراتٌ كثيْرة إلى الشّارع للتّنْديد بنظَام بشّار الأسَد. في غُضُون أسابيْع، أَخذ الصّراع بالتّطرّف عنْدما بَدأ النّظام السّوريّ يَنْدفع نَحْو القَمْع الدّمويّ. ودَخلت البلادَ إذاً في حَرْب أَهْلية.

بشّار الأسد هُو الأَميْن العَامّ لحزْب البَعْث، ورئيْس الجُمْهورية العَربيّة السّورية منْذُ عَام ٢٠٠٠، التّاريخُ الذي نَجَح فيْه بأَنْ يَكون خَلَف وَالده حَافظ الأَسَد. باعْتراف العَلويّين (الأقليّة في سُورية).

بَدأت مُعَارضة النّظام بإعْدَاد نَفْسها بسُرْعة. وتمّ إنْشَاء المجْلس الوَطنيّ السّوريّ، وفي عام ٢٠١٢، تمّ تَأْسيس الائْتلاف الوَطنيّ السّوريّ (CNS). الذي سَيقُوم بتَنْسيق المعَارضة لنظَام بشّار الأَسَد.

منْ جِهَتها، قَامَت المعارضة السّورية المَوْجودة في الغَرْب باسْتدْعاء إدانَة الرّئيْس السّوريّ. وفي أَوَائل عَام ٢٠١٢، تَبنّت الأُمَم المتّحدة قَراراً يُدين القَمْع الجاريْ منْ قِبَل الجَيْش السّوريّ، هَذا، عَلى الرُّغْم منْ مُعَارضة حُلَفاء سُورية (الصّين، وروسيا، وإيران).

إلاّ أنّ القتَال اسْتمرّ، وتمّتْ تَغْذيتُه تَدْريجيّاً منْ خِلَال وُصُول الجَمَاعات الإسْلاميّة، التي سَوْف تَنْضمّ إلى حَرَكة التّمرّد، وبذَلك تَعقّد الصّراع: جَبْهة النّصرة (الجَنَاح السّوريّ لتَنْظيْم القَاعدَة)، الدّوْلة الإسْلاميّة في العِراق والشّام I.S.I.S، (فَصائل إسْلاميّة عَديدة تابعة للجَيْش الحرّ، مُقَاتلون أكْراد) .. وقَدْ تمّ دَعْم حَركات التّمرّد مَاليّاً منْ قِبَل المَمْلكة العَربيّة السّعوديّة، وقَطَر.

في عَام ٢٠١٣، اتخذَ الصّراع مُنْعطفاً جَديْداً عنْدَما تَأكّد الاسْتخْدام المشْتبه به للأَسْلحة الكيْماويّة منْ قِبَل جَيْش النّظام، وهُو الأَمْر الذي يَعْتبره بَاراك أُوباما «خطّاً أَحْمراً» يَفْتح الطّرِيْق لتَسْليح الثّوّار منْ قِبَل الولايات المتّحدة. وفي نِهاية العَام ٢٠١٣، تمّ التّوصّل إلى اتفاقٍ يُجْبر النّظَام السّوريّ عَلى تَدْميْر تَرسَانته الكيْمياويّة. فُوجِئت فَرنْسا، التي سَعَت للتّدخّل في سُورية بَعْد الهُجوم الكيماويّ في شَهْر آب عام ٢٠١٣، عنْدَما اقْترحَت رُوسْيا وَضْع التّرسَانة الكيْمياويّة السّوريّة تَحْت إشْرافٍ دَوْليّ. وبذَلك انْهارَ المبرّر للتّدخّل في سُورية. قَبلَتْ الولايات المتّحدة الاقْتراح، مُرْتاحةً لقَرَارها بعَدَم التّدخّل، فقَرار التّدخّل في الصّراع السّوريّ لمْ يَكُن يَحْظَ بشَعْبيّة، كَما أنّه مَحْفوفٌ بالمخَاطر. و تمّ الوُصُول إلى اتفاقٍ بيْن الرّوس والأَميْركان قبْل مُوافقَة الأُمَم المتّحدة نِهايةَ شَهْر أَيْلول عام ٢٠١٣.

لكنّ المعْركة مُسْتمرّة بيْن مُقَاتلي الجَيْش السّوريّ الحُرّ (ASL)، وقوّات بشّار الأسد، التي اسْتعادتْ بَعْض المدن، مدعومةً منْ حزْب الله. الاشْتبَاكات أَجْبرت قِسْماً منَ السّكان عَلى الذّهاب إلى المنْفى. وبعْد ثَلاث سَنوات منْ انْدلا ع النّزاع: اللاجئون السّوريون في لُبْنان يُشكّلون ٢٥٪ منْ عَدد السّكان. والسّوريون مُتواجدون أَيْضاً في تُركيا، والعراق، ومصْر والأُرْدن.

مُفاوضات مُطوّلة

مع «جنيْف٢»، المفَاوضات تَضَع الأَصْدقاء والمعَارضين للنّظام السّوريّ حَوْل طَاولة وَاحِدة. الغَرَض منَ المفَاوضات هُو إيْجَاد حلّ للصّراع، وتَطْبيْق اتفاق «جنيْف١» المبْرم في عَام ٢٠١٢، والذي كَانَ يَدْعو لإنْشَاء حُكومَة انْتقاليةٍ.

ومَع ذَلك، فقَط نصْف أَعْضاء الائتلاف الوطني CNS كانوا قَدْ وَافقوا عَلى المشَاركة، كَما رَفَضتْها الجَبْهة الإسْلامية (التّشْكيل المقَاتل الرّئيْس).

تَخْطيطيّاً، بيْنما كَانَتْ رُوسيا تَدْعم النّظام السّوريّ، كانَ الغَربيّون يَسْعون إلى تَطْبيق «جنيْف١»، وبذَلك يُطْرد بشّار الأَسَد منَ السّلْطة. كَذلك سَعتْ المَمْلكة العَربيّة السّعوديّة وقَطَر لإضْعَاف النّظَام السّوريّ أَيْضاً، خِلالَ المفَاوضات. مَع ذَلك انْتقد وَزيرُ الخَارجيّة السّوريّة هَذه الدّول «التي تَتجرّأ عَلى إعْطَاء دُروسٍ في الدّيمقراطيّة والتّنْمية بيْنما تَتعثّر في الجَهْل ومُمَارسات القُرون الوُسْطى».

ولكنّ هَذه المرْحلة الأُولى منَ المفَاوضات، والتي سَمَحتْ للمَرّة الأُولى مُنْذ بدْء الحَرْب بعَقْد اجْتماعٍ بيْن الجَانبيْن انْتهَت بفَشل نِسبيّ. ومَعْ ذَلك، فُتح في هَذه الأَثْناء الحِوَار بيْن السّلطَات. لكنّ ذَلك لَمْ يُوقف النّظام السّوريّ منْ تَكْثيف الغَارات ضدّ مَنَاطق حَلَب بَعْد المفَاوضات في «جنيْف٢».

وقَدْ عَادَت المحَادثات لتتّخذَ مَكاناً لَها في العَاشر منْ شَهْر شباط، ولكنْ دونَ أيّ تَقدّم مَلْموس لتَحسين العلاقات بيْن سورية والغَرْب.

شَجَب الغَرْبيون سيَاسَة العَرْقلة التي تُمَارسها الحُكومة السّوريّة في المفَاوضَات. ورفَضتْ سُورية بالفِعْل مُنَاقشة تَشْكيل حُكومةٍ انْتقاليّة، والتي تُعْتبر وَاحدَة منَ الأَهْداف الرّئيسة لجنيْف ٢. بمُوَاجهة هَذه الإخْفَاقات،تمّ استئْناف النّقاشَ حَوْل التّدخّل العَسْكريّ. وقَام الغَرْبيّون بدرَاسةٍ حَوْل مَنْح مُسَاعدات جَديْدة للجَيْش السّوريّ الحُرّ، الجَنَاح المعْتدل للتّمرّد.

وتَمكّنتْ الأَزمة الأُوكْرانيّة منْ زيَادة الخِلافَ بيْن الغَربيّين والسّوريّين. ومَنَع التّبايُن بيْن واشنْطُن ومُوسْكو تَطْوير الحِوَار المرْسُوم في جنيْف٢. واسْتمرّت رُوسْيا، في الوَاقِع، بإرْسَال مَزيدٍ منَ الأَسْلحة إلى سُورية.

نحو تعزيز النظام السوري؟

ضَعُفتْ المعَارضة المسلّحة منْ خلَال انْقسَاماتها الخَاصّة، وفي ظلّ تَقدّم قُوّات بشّار الأَسَد. وُلدتْ هَذه الانْقسَامات عَبْر العَديْد منَ التّدخّلات التي تَميّزت بالمنَافسة بيْن قَطَر والمَمْلكة العَربيّة السّعوديّة، ولكنْ أَيْضاً منْ خِلال تَدفّق الجِهاديين الأَجَانب. ممّا أتاحَ للجَيْش السّوريّ وحزْب الله اسْتعَادة بَلْدة يَبْرود، كمَكَان اسْتراتيجيّ كانَ يَتمّ منْ خِلاله إمْدادُ مُقاتلي جَبْهة النّصْرة (التّابعة لتَنْظيم القَاعدة)، والجَيْش السّوريّ الحُرّ بالسّلاح والغِذَاء.

وقَدْ سَمَح إضْعَاف التّمرّد للنّظَام السّوريّ باسْتْرْداد قُوّته العَسْكريّة، وإعَادة انْتخَاب بشّار الأَسَد لولايَة جَديْدة منْ سَبْع سَنوات.

الاغتصاب والموروث الثقافي في أماكن النزاع

د.سوسن جميل حسن

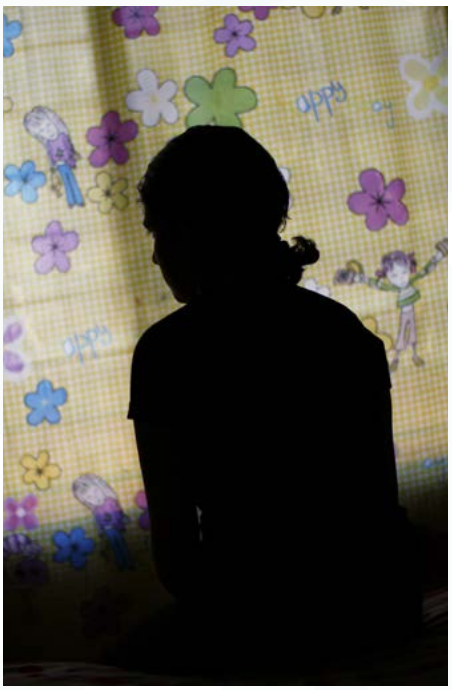

في الوقت الذي تباد فيه معظم الشعوب العربية على أيدي قوى مختلفة، ويضحى بها برخص وفجور على مذبح الجشع والسلطة والسيادة، وتصير أوطانها ميادين صراعات دولية وإقليمية لتحقيق مصالح قوى إقليمية ودولية أيضاً، في غياب كامل للضمير العالمي وللإرادة الدولية في إنهاء هذه الصراعات، ينبثق كل حين حدث يتسيد الشاشات والمنابر الإعلامية، من بينها موضوع التحرش الجنسي في أماكن النزاعات.

لا بد أن التحرش الجنسي، أو الاغتصاب، هو سلوك بشري غير طبيعي، لكنه موجود خارج ظروف النزاعات إنما يتجلى بشكل صارخ وفادح في ظل هذه الظروف نظراً لتوفر الشروط المحفزة له، فهو شكل من أشكال العنف ولا بد أن يزدهر عندما يتصعد العنف، خاصة في لحظات الاستعار العاطفي أو الشعوري أو الانفعالي الجماعي.

في مجتمعات كمجتمعاتنا تحكمها ثقافة معينة بحمولات عديدة، تجعل من المرأة والأطفال كائنات ضعيفة، يمارس بحقها أشكال متنوعة من العنف بمباركة اجتماعية وتخاذل قانوني، من دون أن يُسأل الجاني أو يُحاسب، العنف مستشر في ثقافة المجتمع ويطبع سلوكهم، بل يمكن النظر إليه على أنه الوجه الطبيعي للحياة، فكم تتعرض المرأة للاستغلال والتقييد وانتهاك كيانها الروحي والجسدي؟ حتى إن أحد أهم الوسائل التي يمكن للشخص أن يهين بها خصمه أو غريمه هو أن يتناول أمه أو أخته أو ابنته بقائمة من الشتائم والألفاظ الفاحشة كلها تتركز حول مفهوم الاغتصاب، والاغتصاب الجنسي تحديداً، بل جعلوا من اللغة مطية تؤدي مفرداتها حمولة المعنى الكثيف بكلمة دالة وحيدة هي فرج المرأة.

ما يظهر من حالات تحرش جنسي، أو الاعتداء الجنسي الجماعي في بعض مناطق التمرد أو الصراع أو الاقتتال، ليس أكثر من تعبير انفعالي عنفي في ظل خصومات تقسم المجتمع، تزيد من ضراوتها الفتنة التي لها من يؤججها باستمرار، وتخلق العنف في مواجهات من هذا النوع يحدث بأشكال عديدة كلها ردود أفعل تحريضية تخفي وراءها، في اللاوعي الجمعي حوامل ثقافية موروثة ساهمت تاريخياً في صياغة العواطف والمشاعر، تزداد ضراوتها تحت تأثير الإحساس بالانتماء إلى المجموع، أو إلى الجمهور المحتشد الثائر الغاضب، فيصبح الفرد أكثر جرأة، بل وتهوراً بسبب انعدام المسؤولية والإحساس بالفردية التي تنحي مشاعر الخوف أو الدونية، وبالتالي فإن المشاعر البسيطة التي يمكن أن يشعر بها الإنسان في الحالات العادية مثل النفور أو الرفض يمكن أن تتحول في هذه اللحظات إلى حقد وغضب ورغبة في الانتقام من الآخر وإذلاله باغتصابه أو باغتصاب رموزه. لذلك كان الاغتصاب أمراً واقعاً وشائعاً في ميادين الصراع، خاصة المناطق التي تشهد صراعاً يُدفع لكي يأخذ منحى الحرب الأهلية وذلك بتأجيج الفتنة المذهبية والطائفية، والعمل على مسخ الآخر المختلف وحيونته وبالتالي يصبح أمر اغتصابه معنوياً وفعلياً أمراً هيناً إذا لم يكن مطلوباً.

هي مشكلة نفسية لها جذورها العميقة في الوجدان الجمعي، هي على علاقة بشهوة العنف وفرض السيادة على الآخر الأضعف، بإذلاله، بإخضاعه، بامتلاك إرادته، بتعرية عجزه، ومن صاحب هذا الحق في الحيازة القسرية؟ إنه الذكر في ظل ثقافة ذكورية تمكنت عبر التاريخ بمباركة الأديان منذ أن أزيحت المرأة من مكانتها التي كانت تصل حد الألوهة في المجتمعات الزراعية التي تقدس الخصب. هذه المشكلة لا تُحلّ فقط بالقوانين الرادعة، هي مشكلة متجذرة في اللاوعي الجمعي، يلزمها فترة زمنية للسيطرة عليها وذلك بإصلاح الموروث الثقافي، والعمل على خلق بيئة صحية وسليمة كحاضنة للثقافة الجديدة، المشكلة تحتاج إلى رفع الغبن المطبق على المرأة بواسطة هذا الموروث، ووضعها في مكانتها الإنسانية وإكسابها شرف المواطنة من الدرجة الأولى مثلها مثل الرجل، أن يصاغ مفهوم آخر للجسد، أن يتم التصالح معه وتحريره من حمولات العرض والشرف والعفة والطهارة، أن تبدأ العملية الإصلاحية منذ الصغر، منذ أن يبدأ الطفل بتشكيل رموز وعيه وصياغة قاموسه المعرفي، من البيت إلى المدرسة إلى الشارع إلى العمل. إنه عمل مؤسساتي يحتاج الكثير من الجهد والصبر والإبداع أيضاً، وهذا في الوقت الحالي حلم مؤجل، فالمطلوب وبشكل إسعافي أولاً هو وقف العنف، ورفع الغبن عن هذه الشعوب والبدء بعملية سياسية من أجل التأسيس للمرحلة الأولى وهي تشكيل حكومات تمثل شعوبها وتبدأ بعملية البناء، لكن لا يُعفى أولئك الأفراد المحسوبون على شريحة النخبة، والثقافية تحديداً، من القيام بدورهم التنويري منذ الآن، هناك بعض من المثقفين الذين نصبوا أنفسهم آباء، روحيين وعضويين، لثورة الشعب السوري ارتدوا إلى جهلهم وأخذوا يحيون قيم وأعراف عصور الظلام والانحطاط الفكري والمجتمعي التي انتعشت تحت نير الاستبداد السياسي المهيمن على شعوبنا منذ قرون، بدلاً من إحياء مفهوم وأدبيات وخطاب المجتمع المدني، كما ادعوا سابقاً، فصارت نقاشاتهم وأطروحاتهم وكتاباتهم كلها تكرس عقداً جنسية مستوطنة لديهم اشتغل عليها الضمير الجمعي المستبد كمنتج لسلطة ذكورية تقوم على العنف وتكريس دونية المرأة، وبالتالي راحوا يعهّرون النساء انطلاقاً من هذا الحامل الثقافي بدلاً من الإتيان بحجج فكرية تفند السلوك البشري وتظهر الاختلاف وتقدم براهينها..

أين ضمير العالم مما يحصل لدينا؟ وهل الاغتصاب أو التحرش الجنسي هو وحده المشكلة الأساسية التي تتطلب حلا إسعافياً، أم إن هناك مشكلة أكبر تضع العالم والدول الضالعة بمصائبنا أمام سؤال التاريخ؟

تغريبة فرج بيرقدار في سجون المخابرات السورية

د. حسان العوض.

تعرض فرج بيرقدار لاعتقالين: الأول كشاعر من قبل المخابرات الجوية عام ١٩٧٨ بسبب كرّاس أدبي شارك في إصداره مع عدد من الأدباء الشباب في جامعة دمشق.

والثاني كسياسي من قبل المخابرات العسكرية في ١٩٨٧/٣/٣١ بسبب الانتماء إلى حزب العمل الشيوعي. بعد ست سنوات من التوقيف أحيل إلى محكمة أمن الدولة العليا بدمشق «وهي محكمة استثنائية» فأصدرت بحقه حكماً بالسجن خمسة عشر عاماً مع الأعمال الشاقة والحرمان من الحقوق المدنية والسياسية، قضاها ما بين فروع الأمن وسجن تدمر الصحراوي وسجن صيدنايا العسكري.

ليست تغريبة فرج بيرقدار في سجون المخابرات السورية إلا واحدة من آلاف التغريبات السورية في سجون النظام الأسدي، ولا بد أنها تضاعفت بعد انطلاق الثورة السورية عليه.

في كتابه «خيانات اللغة والصمت» الذي صدرت طبعته الثانية عن دار الجديد مؤخراً، ينشر فرج بيرقدار نصوصاً مستوحاة من تغريبته في سجون المخابرات السورية.. وفي بداية الكتاب يعترف الشاعر الذي تطاوعه اللغة عادة، أن اللغة تخونه في توصيف الحيف الذي كان يحدث، ولكن الصمت (كان ولا يزال.. أكثر حيفاً وخيانة) ص٥.

يتكون الكتاب من ١٨ نصاً أو شهادة مكتوبة بلغة أدبية رفيعة.. يتوزع في ثناياها الكثير من تفاصيل المعاناة الجسدية والنفسية التي يتعرض لها السجين السياسي لعل أبسطها الشتائم البذيئة التي تغدو على لسان المخابرات السورية من أدوات النداء.

في نص بعنوان «على شفا البصيرة» يقدم بيرقدار ما يشبه شرحاً لبعض المفردات التي وردت في النص، والتي هي بعض من وسائل التعذيب: الشبح على السلم- الفسخ- الدولاب- الكهرباء- الكرسي الألماني الذي يفضل الكاتب أن يسميه الكرسي النازي.

وفي نص «إلى الشرق» يروي الكاتب رحلته مع معتقلين سياسيين آخرين من فرع فلسطين إلى سجن تدمر حيث يتم استقبالهم بالسياط والكرابيج فيما يعرف بتسمية «التشريفة» التي لا تحمل من مسماها إلا النقيض.

ولعل أقسى الحكايات المؤلمة ما ورد في نص «دوائر ذات شهيق متصل» عن شرطي أحضر فأراً ميتاً وأجبر سجيناً على ابتلاعه من دون مضغ.

في نصه «تدمريات.. ما فوق سوريالية» يرسم الكاتب بالكلمات لوحات لا تنتمي إلى المدرسة السوريالية «ما فوق الواقعية» وإنما إلى المدرسة ما فوق السوريالية.. وقد سبق للشاعر فرج بيرقدار أن كتب في سجن صيدنايا عام ١٩٩٣ قصيدة بعنوان «سوريا... ليات» منحوت لغوياً من كلمتي سوريا وسوريالي بصيغة جمع المؤنث السالم. وقد تم نشر القصيدة ضمن ديوانه «أنقاض».

اللوحة السادسة ترصد مشهد اقتلاع أذن سجين بالبانسه.

أما في اللوحة السابعة فيوجد عسكري يرفع مطرقة كبير «مهدّة» وينزل بها على منتصف العمود الفقري لأحد السجناء.

في نص «ستة عشر يوماً من الجمر» يروي الكاتب سير الإضرابات عن الطعام التي لجأ إليها مع زملائه السجناء اليساريين في سجن تدمر -حيث يبدو أن تقسيم معتقلي الرأي فيه يتم حسب انتمائهم السياسي- وذلك من أجل تحسين المعاملة، أو بشكل أدق: للتقليل من سوئها.. ويبدو أنها كانت تجدي أحياناً.. ويعلمنا الكاتب أن وضع الإسلاميين أكثر بؤساً (أما الباحات الأخرى التي تضم الإخوان المسلمين وبعث العراق وبعض التهم المتفرقة، فقد كان حالها أقسى وأكثر بؤساً وخطورة وتراجيدية) ص٧٤.

في النصوص الأخرى نقرأ عن سجين نسي اسم أمه.. وسجين آخر زارته امرأة لأول مرة بعد أكثر من عشر سنوات على اعتقاله فاعتقد أنها أمه قبل أن تخبره (أنها أخته.. وأن أمه..!) ص١٧٠.. كما نقرأ عن سجناء اعتقلوا دون السن القانونية.. وفي نص «أغلى حلم في العالم» نقرأ عن سجين اعتقل بسبب (حلم ضبابي مشوش، فيه ما يشبه جنازة لمسؤول، أو عملية

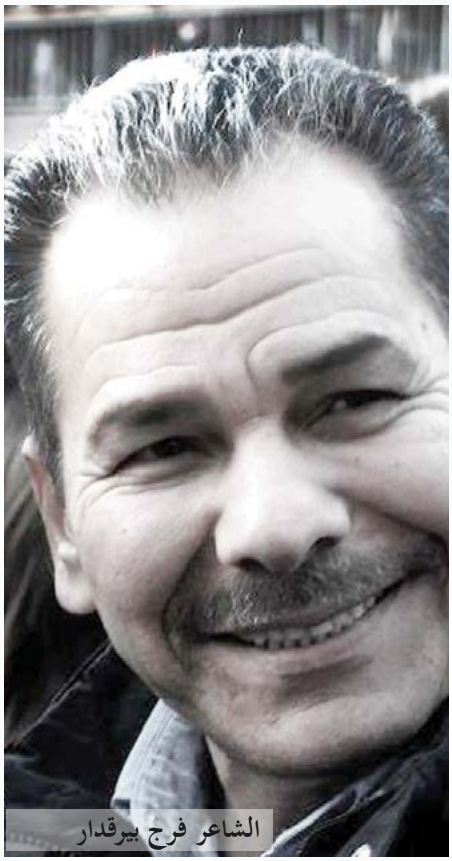

الشاعر فرج بيرقدار

اغتيال، وربما انقلاب عسكري) ص١٢٢.

ضمن هذه الظروف التي يعيشها السجناء، من الطبيعي أن يروا في نومهم الكوابيس، ولكن في نص «قابلية مجنونة للعدوى» يكتب بيرقدار عن كابوس جماعي، وليس كوابيس فردية، ضرب أحد المهاجع ثم انتشرت عدواه إلى المهاجع المجاورة.

ينهي فرج بيرقدار كتابه بنص المرافعة التي تقدم بها أمام محكمة أمن الدولة العليا بدمشق، وينهيها بشكر أمه لأنها علمته (أن الحرية التي في داخلنا أقوى من السجون التي نحن في داخلها. ولهذا سوف تنتصر الحرية وتنهزم السجون) ص١٨٠.

في الذكرى السنوية الثانية لانطلاق الثورة السورية كتب الشاعر فرج بيرقدار قصيدة بعنوان «تشريقة» جاء في نهايتها (سآتي إلى حمصَ وحدي/ سآتي إلى حمصَ ألفا/ سآتي إليها حنان أو زُلفى/ فحمصُ التي عمَّدتني/ وحمصُ التي أسلمتني/ يليق بها/أن أكون لها/ ألف حبٍ وحزنٍ ونهرٍ من الذكريات/ لتشفى وأشفى).

ما بين كابوس التغريبة وحلم التشريقة، ما زال فرج بيرقدار ومثله ملايين السوريين؛ فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر.

عتاق، ومعتّق نبيدن!

الزير أبو جريدة

(أربعون عاماً، أربعون عاماً من النّضال..)

– كان أبو خالد مناضلاً قديماً، ثم عمل بالتجارة وبعد تقاعده أوى إلى كوخٍ على سفح إحدى الجبال في قريتنا حيث يمضي أغلب وقته بهدوء..

– هل تعرفه جيداً؟

– جلست معه عدّة مرّات قبل أن يصبح بالنّسبة لي إدماناً لا أقدر التّحرّر منه، كان جاراً لي، وروى لي كثيراً من قصصه..

– لو سمحت تتفضل معنا ساعة سؤال وجواب..

يخرج بكيس أسود على الرأس، ويغيب أسابيعاً لينتهي من السؤال والجواب، ثم يرجع بذات الكيس.. لتروي جروحه مذكراته التي خطها الجلادون على طول الأيام التي قضاها مشبوحاً (معلقاً) بسقفٍ من أسقف هذا الوطن الواسع.

– كان يحب الخلوة والهدوء، وساعده على ذلك منزلة الهادئ، ولكنني بحكم جيرته قررت أن أحصل على زيارة له مهما كلفني الأمر.. استغليت أنه يحب (العرق) وذهب إله حاملاً عرق الكلكه القروي اللذيذ.. عندما استقبلني بدا وكأنه على موعدٍ معي!

قبل أيامٍ من الإفراج عنه في إحدى الاعتقالات يأتينا خبرٌ من شاب شاركه الزنزانة..

–»أبو خالد وضعو تعبان..، في التحقيق يسب ويشتم إنهم يعانون بالسيطرة عليه.. أمس كان سيخرج، على باب السجن سألوه «رح ترجع تتظاهر؟» أجابهم بقرف: «سأتظاهر على باب سجنكم».. لو جاوبن (لأ) كان طلع!

وقال لنا أيضاً أنا كل من يقترب من غرفة التحقيق خلال جلسات أبو خالد يستطيع سماع صوت عظام جمجمته وهي تُخبَط على الأرض..

إنه هَرِمٌ من صوّان.

كانت الصور تتعاقب في مخيلتي واضحةً، كنت أستنشق عبيرها.. أخذني الشّرود لحظة وأحسست أن الزمن عاد بي إلى الكرسي المقابل لأبي خالد ومائدته المتواضعة بصحونها القليلة، رائحة صحن (الجعيفورة) المشهور بين ندامى العرق.. وسلطة الجرجير مع الثوم، رائحة خشب الطاولة الجافة ودوائر العرق تحت الكأس.. الصوت الصادر من المسجل الصغير ودخان سجائر أبو خالد، ذلك الرجل الجميل، كان وجهه مليئاً بأخاديد الزمن، أسمرُ البشرة، عيناه شهلاوان واسعتان بتعب، حنونتان بتعب، وتملؤهما الثقة بتعبٍ أيضاً، ويظهر جفناه كما لو أن جلدهما قد ارتخى بعد طول السنين، بينما حاجباه لم يبق فيهما الكثير من السواد، عقدتهما نتجت عن حالات عصبية لا نهائية في حياته، يغطي العقدة صفٌّ ناعمٌ من الشعيرات المتناغمة مع تجاعيد(كشّته) التي تتصالب بدورها مع تجاعيد أفقيّةٍ متوازيةٍ تغطي جبينه، بينما التجاعيد التي تنطلق من طرفي عينيه البعيدين حفرتها الساعات الطويلة التي قضاها تحت الشمس الحادّة.. ولا تنتهي سُمرة وجهه إلا عند بداية حدود لحيته المهملة وشعرة الكثيف.. شيبٌ بشيب.. حتى صدرة يمتلئ بالشعر الأشيب.

– كاسك عمي..

– كاسك.!

– كم عمرك قلتلي؟

– عشرون عاماً.. (حاولت أن أنطقها بخشونةٍ علّها تصل لسمعه أربعين !..)

– هه.. كنت في عمرك عندما تطوعنا للحرب!

– سمعت أنك تقلدت وساماً

– انسى!.. باعوها العرصات!!

أبو خالد.. رجلٌ سردةٌ.. إنه محاربٌ وسياسيٌّ قديم لم يستقل حتى (..) متيّمٌ بهويته السورية حتى الوله، ولم تكن الاعتقالات الكثيرة التي كان يتعرض لها خلال الثورة قادرةً على كسر همته، فهو يردد: عمي– ما حدا يقول رح نأجل مظاهر أو نلغي مظاهرة، التظاهر أهم شي!

موعد التّظاهرة كوقت الصلاة، لا يعرف الهَرَمُ والتّردد طريقاً إلى قلبه، ولا رسائل الخطر المبطنة في استعراضات الذكورة، وكان يحب أن يهتف بالشتائم التي طالت أرواح كل فراعين الماضي والحاضر.. رأيته مرةً يقف ببرودة المستفز وهو يجهز لفافة تبغه ويوزع نظرات الاستهزاء على كل من يبادله النظر، بارد كرياح الشمال، غاضب لحدّ التمتمة، كانت حركة شفتيه وشاربه توحي بأنه يجمع بصاقاً في فمه ليرميه في وجه أول شخص يتجه إليه.. لم أكن أعلم إن كان شُهل عينيه هو ما يجعلهم يعيدون حساباتهم تكراراً قبل التوجه إليه ومحاولة إخراجه من الميدان، أم

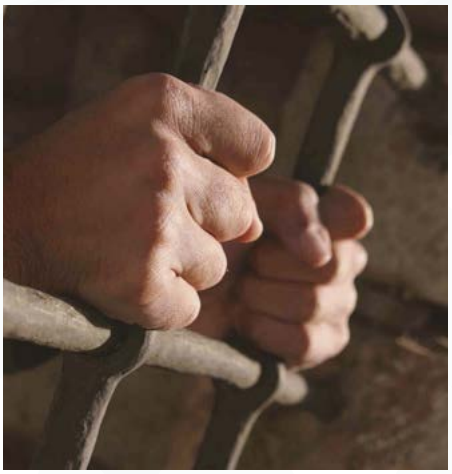

بصقته التي قد تنطلق في أي لحظةٍ بوجه أي شخص قد يزعجه.. أم أنهم فعلاً يتعمدون عدم الاحتكاك بهؤلاء القدامى لصعوبة التوصل لحلٍّ معهم.. كان متجذّراً بالأرض يستظل بشجرة الكينا المشهورة، ويشعل سيجارته بهدوء، كانت أول مرةٍ أرى فيها سنديانة تستظل بشجرة كينا.. بينما تسود الفوضى المكان.

– كان صديقي منذ أمدٍ بعيد.. اختلفنا بوجهات النظر، ولكننا ما زلنا نشرب العرق معاً.. يقول إنه «يرى حراك الشعب للاختيار مابين الخرا.. والأخرا»، طيب ماشي بس لابدّ منو يا عيوني.. شو رأيك عمي؟؟

إنه يسألني رأيي! كنت أراقب يديه السميكتين وكرشه! راودتني ضحكةٌ لم أضحكها، لا تضحك في حضور الكبار على طاولة الندامى إلا في الوقت اللازم للضحك، وإلا ستقضي بقية حياتك تشمل في الزقاقات وحدك!

– لابدّ منه عمي..!!

أخوة الحفيانة.. باعوها.. نحن تعبنا عمي، نحن عبءٌ عليكم، أفكارنا صارت بالية ومكررة، اتركونا خلفكم فلستم بحاجةٍ إلى حمل جرحى الحرب، طريقكم طويلة!

– له يا عمي.. كيف كيف نسبقكم إن تركناكم خلفنا!!

– خليها لربك عمي.. أربعون عاماً، أربعون عاماً من النّضال، لم نستطع الاتفاق على موقف.

– لن أفتح جبهةً على كلامك.. اسمع، رأيت أبو صبحي.. يرسل إليك سلاماً!

– إذا بتريد تفضل معنا، سؤال وجواب

– هه!

ويغيب أبو خالد، يطول غيابه أسابيعاً، وتتضارب

الأنباء حول تواجده، وعن كهولته المتعبة، ينتاب القلق كثيراً من رفاقه الذين يستطيعون تصور ما قد يحدث مع شخصٍ عنيدٍ ولا تعرف شيبته المهانة كأبي خالد.. أيامٌ أخرى تمضي، وما كان أسابيعاً صار شهوراً، وفجأة يأتي الخبر!!!...

– أبو صبحي نمر..

– آخر اشتباكٍ كان في القرية المجاورة لهم، كانت قد قاربت على السّقوط ولم تصل إمدادات الذخيرة، ركب أبو صبحي قارباً ليعبر النهر تحت خطر النيران لينقل الإمداد لهم، وبقي يقاتل معهم حتى استطاعوا رد العدوان بتعاون شباب كلتا الكتيبتين.. كان صديقي يبكي على جهاز الإرسال وهو يسمع الحديث..

– سمعت إنو صار شيخ؟

– ملتزم منذ فترة.

– بوسلي لحيته كتير.. أبو صبحي نشمه منذ الصغر!

يُفتَح باب الزنزانة الجماعية فجأةً، فينهض المعتقلون بذات اللحظة واقفين

– علي!

– نعم (يرد صوتٌ مُتعبٌ من خلف العشرات الواقفين)

– تحقيق!

يتابع رفاق الزنزانة خطواته التعبة المتجهة إلى الجلاد ويحاولون بنظراتهم إيصال رسائل التشجيع والمحبة له قبل خروجه، لقد كان أخاً رائعاً لهم، يحبون التحلق حوله لسماع رواياته الكثيرة، والاحتكام إليه في نقاشاتهم وخلافاتهم.. وسماع تجاربه الطويلة في الحياة، كانوا يسألونه كثيراً عن طائفته الغريبة عن بعضهم، ويجيبهم وهو يضحك: «ولك عمي الله بيحبكم ليش خايفين منو؟؟ الدين هو أن تحب الله، المحبة تصنع (بني آدم)، والتعصب الأعمى يقتل هذا البني آدم».. ويقول: «أن المتعصب الذي يلغي دور العقل يتحوّل لإنسانٍ بدائي، توجهه غرائزه، ويتعامل مع أي مشكلةٍ كأنّها خطرٌ على مستعمرته أو قطيعه، فيتوحش أكثر من حيوانات البرية، ويسعى جاهداً إلى تعليم منطقته ورسم حدوده بالأطراف المقطوعة، بدلاً من حف جلده ببعض جذوع الأشجار»، كانت هذه الخواطر تمرّ بأذهانهم وهم يشيعونه بعيونهم حتى يخرج.

لم يعرف رفاقه بالزنزانة المدة التي قضوها بتبادل هذه الذكريات فيما بينهم، بينما يغيب أبو خالد هناك، تحت الكثير من طبقات الخرسانة الإسمنتية، جميعهم يعرفون غرف التحقيق الصغيرة المعتمة التي تمتلئ بروائح الدماء البشرية المتفسخة، يعرفون أجهزة التعذيب واحدةً واحدة، من الكماشة إلى ما لا يعلم إلا الله من تجهيزات، ويعلمون أيضاً أنها تنهش الآن من جسد رفيقهم الشايب، فيكثرون الصلوات لأجله، يغيب لساعات وساعات، «يا جماعة طول أبو خالد»، يرددون بأصواتٍ قلقة، «الفاتحة يا شباب على نية الفرج على أبو خالد».. يتمتمون بهدوء، ليسوا كلهم مسلمين، ولكن كلهم يحبون أبو خالد!

وبذات الهمجية يفتح باب الزنزانة ويظهر ثلاثة جلادين، وقف الأسرى فور سماعهم صوت الأقفال، لكن هذه المرة لاستقبال أبو خالد، يرمونه باشمئزاز بينهم ويغلقون الباب.

لم يكن أبو خالد من عاد!

والله يا أخي أنا كنت موجوداً، في هذه اللحظة بالذات كنت فوق رأسه.. كان جسداً ممزقاً ينزف الألم من كل مكان، لم يكن أبو خالد من عاد، تمتم البعض هذا ليس أبو خالد.. عندما لفوه ببطانيته.. رأيت وطناً مكسور الجناح، مثقلاً بطعنات الخيانة.. ذهب إلى غرفة التحقيق، وعاد –بدلاً منه– جسداً يتنفس ما بقي له من النسمات التي استطاع تهريبها من كل نقاط التفتيش التي مر بها قبل دخوله الزنزانة.. نسماتٌ أحضرها من المساءات الصيفيّة المشوبة بدخان الحطب ورائحة اليانسون اللاذعة أمام منزله.. عاد جسداً يختصر ذكرى أربعين عاماً من العبودية لأقدامٍ شعب وجد على سطح الخليقة... عاد أول سوريي دَمْشَقَ في بناء أول نافورةٍ شامية ليشهد اغتصاب ياسمينها المشرّش وكل عصافيرها، ليشهد محرقة جديدةً لكل موزاييك دمشق وصبايا حمص وموسيقى حلب، وريل العراق، وديار حمد، وشتائم مظفر النواب، وحادي العيس الذي يطوف صحاري الشام..

عاد إلى أحضان رفاقه الحزانى، ينقّل عينيه بين وجوههم المتجمعة فوقه بألم..

– يا شباب اتركوا أبو خالد ياخد نَفَسْ

– ينتفض مجدّداً «فشروا الكلاب!»

طول بالك يا أبو خالد.. بكرة بتفرج.. ومنطلع بالنصر.. منطلع عالحياة الجديدة.. ومنحتفل ومنسهر ومنسكر..

يا للسماء! «الله وكيلك يا عمي آخر لحظات من حياة أبو خالد صاح فيهن هالكلمتين» ينهض على قدميه وهو يدفع بيديه كل من كان يحاول أن يبقيه مستلقياً، ويصرخ بكل ما يملكه صوته الأجش من صلوات أمهاتهم اليومية وبكاءهن:

– سوف نسكر.. كلنا سنسكر وإنتو.. وأنا.. بدنا نسكر كلنا بس لما بيسقط الجحش ابن الجحش...!!!!

و كما النسور تحلق إلى أعلى نقطة تصلها حتى تسلم الروح.. سلم روحه وهوى جسده الذبيح بيننا..

***

– العزيز تصير كلها اعزاز ربعه!.. وصلنا

فضلت عدم الدخول إلى خيمة العزاء المنصوبة للشهيدِ بعد أن صُلِيَ عليه صلاة الغائب، جلست على الرصيف خارجاً، حاولت أن أتقبل ما حدث، لم يعد جسد أبي خالد من رحلته الأخيرة، ربما روحه رفضت ذلك، وفضّلَتْ أن يدفن بأي مكان، لتبقى رسالة منه إلى الأجيال القادمة، كل كمشة من تراب هذا الوطن عانقت يوماً شهيداً مجهول الهوية قد يكون أنا أو أنت أو أحد إخوتنا، فضل أبو خالد عدم الرجوع، ليجعلنا نرى كل مراقد الشهداء مرقداً له، لنقف أمام كل ضريح ونخاطب أبي خالد ونقرأ له الصلوات البسيطة التي نحفظها، علّها تدخل السكينة لروحه الهائمة..

– ما الذي كنت تتمتم به؟ (يقاطع صاحبي شرودي)

– كنت أقول:

رحت ما گلت رايح وين الوداع اختنگ ناعي
القدر ما گدر ينعه
رد لهلك وودع كل الأحباب لبوك اشلون تمشي
وما تودعه؟
هاي امَّك تريدك فرحة العين واخوتك رايدينك
ضوه وشمعه
على اطراف الأصابع نعشك انشال العزيز اتصير
كلها اعزاز ربعه
صارت طشَّت الجاكيت جمرات على صدر
اليحبك ألف لسعه
الصوره والورد والمستهلات اذكريني يايُمَّه، ومن
يسمعه(١)

---

(١): جابر الشكرجي: شهيد الزفاف

شقائق نعمان على سرير موت

أيمن سليمان

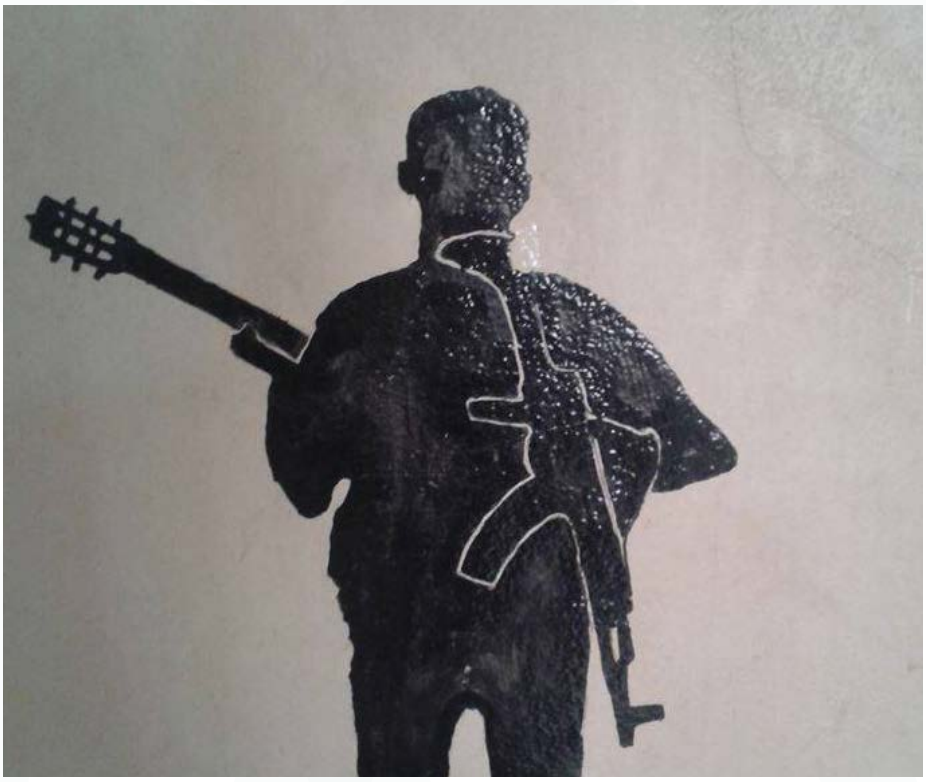

لا كلام تقوله معرة النعمان من بعيد، صمت مقطوع اللسان تلوح به المدينة المنكوبة، أو ركام من الكلام والذكريات يتراءى لزائر ألف المكان وأدهشته رائحة نساء المدينة الجميلات ما قبل الحرب.

صوت «القبضة اللاسلكية» ينبئ باقتراب طائرة حربية قيل أنها جاءت لتعيد ركام المدينة إلى حضن الوطن.. لكنها نسيت في كل غارتها السابقة أنه: كيف لعاشقة لحضن من تحب أن تعانق بيدين مبتورتين.

استقبلتنا الطائرة في مدخل المدينة الشمالي، اشتعلت المضادات الأرضية، واستنفر الحاجز الذي وصلنا للتو إليه، مقاتلون يرفعون بنادق في مواجهة طائرة حربية يعرفون اختلال المواجهة لكن عيونهم المتحدية تقول شيئاً أخر.. تحلق الطائرة و»تتكس» لتنفذ هجومها بينما كان السائق جانبي يردد الشهادتين ويذكرني بترديدهما... يمتلئ المكان بالصوت المتفجر «بوووووم» يصلنا غبار مخنوق، ورائحة موت مكررة.. ويتطاير ركام الأبنية بملل إلى كبد السماء لكن كمن يحاول طعن الهواء عبثاً، فالركام اللامتناهي كسر بديهية الأصوات، الحمام وحده ينجو بدهشة وينزعج من غبار القصف!

لا هواء في المدينة، رائحة البارود تخنق الشوارع، حجرٌ يدمر حجر، ركام من الذكريات يلف بقايا البيوت المهجورة.

الساعة السابعة مساء اقترب موعد الإفطار وبينما أحاول أن استمع للأصوات القليلة التي تنبعث من المدينة، تعود الطائرة من جديد وكأنها تؤقت موعد قصفها لحظة تجمع الناس للإفطار.

لا أضواء في المدينة صوت بعض المولدات الكهربائية يأتي من بعيد لكنها لا تستر الصمت العميق للمكان ولا تغير في وحشة المكان ولا بنكهة الموت شيئاً.

العنوان العام للموت يمكن تجاهله بكشف تفاصيل من أصر على الحياة هنا... بالقرب من أحبة غادروهم أو من ذكريات ثقيلة لا تستوعبها حقائب النزوح أو الهجرة.

بعد صلاة التراويح بقليل ثمة ما يشبه السوق بضع محلات يمكن عدها بعضها للألبسة والبعض الأخرى للمواد الغذائية وضعفها للوقود.. أضواء بسيطة وما بين محل وأخر ثمة ما يذكرك بموت حصل هنا.

تذكرني المرأة الجميلة التي عبرتني قبل قليل بأن الحياة كان يمكن أن تكون أفضل في هذا المكان وكان يمكن لهذه المرأة الجميلة أن ترسم تفاصيل وجهها فرحاً وتوهجاً أكثر... لكن السماء التي تتخلل أحلام تللك الفتاة والرب.. تمر منها طائرات تجعل منها أرملة أو يتيمة أو مفجوعة بابن أو بأخ أو أخت أو حبيب..

لا تشعر وأنت في المعرة بوجود فاصل بين ليل ونهار الإحساس بالزمن معدوم وكأن ثقباً ما أصابه لا يمكن التكهن بأن الناس تنام هنا لا تملك هذا الاحساس هنا لا تشعر بان الصباح شيء طبيعي بل نافذة أكبر من القلق وموعد مفضل للقصف.

الساعة ١١ صباحاً ثمة من يبحث في زاوية ما عن جدار كامل.. لم تدركه قنبلة فراغية أو صاروخ وطني.. يبدأ الشاب العشريني بالرسم على الجدار.. دهان أسود فقط بين يديه... اقترب منه قليلاً دون أن أحاول تشتيت انتباه.. يرسم بيد متمرسة وحزينة مقاتلاً باللون الأسود الغامق يدير ظهر لهذا الدمار ويحمل بيده غيتاراً وعلى كتفه بندقية!

فيما يمكن تسميته نهاية الشارع ثمة عناصر لفصيل مقاتل لا تكف القبضات اللاسلكية بين أيديهم تحذرهم من الطائرة التي انطلقت قبل قليل من مطار حماة العسكري.

تجمع الحامدية القريب من معرة النعمان والمحاصر من قبل الثوار يعتبر خاصرة الموت للمدينة معظم الدمار الحاصل في المدينة والقرى المحيطة بها كان من مدفعية هذا التجمع.

بعد تفاصيل موت كاملة في الأجزاء الجنوبية والشرقية للمدينة، صوت آذان العصر يكسر الموت المتجمد حولنا ونحن نتجه نحو الجهة الغربية للمدينة حيث يبدأ خيط رفيع للحياة وللهواء، عربات خضار قليلة، أطفال يتجمعون قرب عربة لبيع الملابس وأخرى لبيع الألعاب.. وكأن الحياة تكتشف نفسها للمرة الأولى هنا ببدائية.

الغروب في آخره، نتجهز للمغادرة.. والمدينة التي يكاد الناس فيها شيئاً نادراً يمكن ملاحظتهم بكثافة في المقبرة الممتدة من غرب المدينة وصولاً إلى ما تبقى من «كفرومة»..في باحة الموت المترامية الأطراف تسير نسوة ويمكن تمييز كثرة القبور الجديدة.. غصة عميقة تحاصر حنجرتي مرة أخرى لا أشعر بالسماء ولا بالهواء ولا بجسدي لكن السائق بجانبي يعيدني إلى الحياة– الكابوس، بالقول: المنطقة القادمة مكشوفة للقنص..

الحُكّام يأكلون الحصرم

عبد الرزاق دحنون

١

يقول أهل اللغة: الميم في كلمة حصرم زائدة مأخوذة من الحصر وهو العجز عن النطق. والحصير الملك سُمي بذلك لامتناعه عن الأعين. قال الشاعر:

قماقم غلب الرقاب كأنهم
جند لدى باب الحصير قيام

وعامة الخلق لا يرون رعاتهم ملوكاً كانوا أو أُمراء أو سلاطين أو أباطرة أو رؤساء دول أو قادة أحزاب، فالراعي يحصر حاله ضمن نطاق ضيق فيسمى حصيرا. قال تعالى: وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا. وسميت جهنم حصيرا لمنعها من فيها من الخروج. و في عصرنا الحديث هذا نادراً ما نجد الحاكم يخرج إلى الناس دون حرس وأمن، بل نراه محاصراً من كل جانب، وكأن بينه وبين الرعية ثأراً متروكاً. والسؤال ما الذي يمنع الحاكم من التحرك بحرية، بحيث ينزل إلى الشارع ، يقابل الناس، يدخل بيوتهم، في أي وقت يشاء؟ هل العيب فيه أم في الرعية؟ و كيف نشأت هذه الجفوة بين الحاكم والمحكوم؟ وهل الحاكم المؤتمن على رقاب العباد يتصرف وفق أهواء السلطة أم وفق مصالح الخلق الذين هو راعيهم والمسؤول أمامهم وأمام الله عن أحوالهم و أموالهم وأعراضهم وحياتهم؟مع العلم أن الحاكم يستمد سلطته من الجماهير الغفيرة التي يحكمها، وهو ملزم بتحقيق رغباتها لا رغباته، وهو المسؤول عن معيشة رعاياه. بل وأكثر من ذلك إن وجود فقراء الأرض هو بحد ذاته توبيخ من الله لأهل السلطة التي تجنح في طبعها نحو الاستبداد، ويكون عبد الرحمن الكواكبي محقاً في تسمية كتابه طبائع الاستبداد.

٢

وقد كان السيد المسيح لطيفاً ليّناً مع المساكين غليظ القلب مع أهل السلطة والمال، واعتبر الغنى من الكبائر التي تمنع مرتكبيه من الدخول إلى ملكوت الله. وقد تشدد في هذا المعيار، فرفض دخول الأغنياء في جماعته. ونحن نجد اليوم في المجتمعات العربية من يملك مليارات الوحدات النقدية وغيره يكسب قوته اليومي بالتسول أو بأي وسيلة أخرى يقوم بها على حساب كرامته الشخصية أو على حساب جسده. والبشر من عمال وفلاحين وحرفين –خارج مؤسسات الدولة– تهلك أجسادهم في العمل ولا يجدون في نهاية عمرهم إلا الذل والحاجة. وهاهم على الطرقات –من المحيط إلى الخليج– يُكافحون في سبيل لقمة عيش كريمة بعد أن بلغوا أرذل العمر. على كل حال على أهل الفكر والثقافة أن يتواضعوا عند دراسة تجربة الأنبياء في الشرق، لأنها في النهاية حركة جماهيرية مستمرة حتى اليوم، وفيها الكثير من الخبرة والتجربة وكذلك هي تجربة مشاعية صادقة، وما لحقها من تشويه لا يتحمل وزره الأنبياء، لأن الأنبياء تعذّبوا في مسيرتهم حتى أصبح القطيع البشري الذي يشرفون على رعايته أكثر مودة ولطفاً وأنساً. وهنا ملاحظة مهمة لا بد من إظهارها تتعلق بالعلاقة بين الراعي والرعية، فقد قال سقراط في معرض رده على أفلاطون: إن أي رجل دولة مسؤول يستوجب القصاص منه والحكم عليه بالفعل؛ لأنه ترك القطيع البشري الذي يرعاه أكثر شراسة مما كان عليه حين تولى أمره.

٣

يروي الطبري في تاريخه أن عمر بن الخطاب صادف في تجواله الليلي أرملة تطبخ الماء، فيسألها عن السبب، فتخبره أنها تُسكت به جوع أولادها حتى يناموا. ثم تستطرد الأرملة قائلة: الله بيننا وبين عمر. فيعترض عليها موضحاً إن عمر لا يدري بهم. فتجيبه يتولى أمرنا ويغفل عنا. ويضيف الطبري أنها كانت تقول له وهو يساعدها في طبخ الدقيق بعد أن أحضره لها: جزاك الله خيراً أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين. تقصد أنت أحق بالخلافة منه، وعدم علم الحاكم بأحوال الناس لا تعفيه من حقوقهم عنده. والحكاية بهذا التفصيل تحتمل الشك، لصعوبة تصديق كيف أن امرأة بسيطة تفهم مهمة السلطة على هذا النحو الذي لا يتيسر في الوقت الحاضر للكثير من المثقفين والسياسيين. ولكننا نقول إن صحة الوعي لا تتعلق بثقافة الفرد بقدر ما تتعلق بتجربته الحياتية، فالحكمة الشعبية تنطق بها أفواه العامة. وفي رواية ترجع إلى صدر الإسلام عن تابعي يدعى أبو مسلم الخولاني، من أهل اليمن، دخل على خليفة أموي فخاطبه بعبارة أيها الأجير، ولما استنكرها الخليفة بين له: نعم أنت أجير استأجرك رب هذا الأغنام لرعايتها. وإذا كان الحاكم أجيراً عند الناس فمن حقهم خلعه عندما يخل بشروط العقد الذي أبرمه معهم. وهناك قاعدة فكرية خطيرة ترجع إلى كونفوشيوس وتوسع فيها أهل الفكر في الحضارة الإسلامية: إن أخلاق الناس تتبع سلوك الحاكم، فإن كان عادلاً مستقيماً عدلوا واستقاموا وإن جار وسرق جاروا وسرقوا. وهذه القاعدة تدعم فكرة سقراط السابقة. وقد سأل معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس عن الزمان فقال: أنت الزمان فإن صلحت صلح وإن فسدت فسد. وتعود المعادلة من جديد إلى معاوية الذي رسم الخط السائد لحرية الفكر بقوله الشهير: إننا لا نحول بين وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين السلطان.

٤

يقول أبو سليمان البُستي في كتاب (العزلة) إن سبب فساد الحاكم هو غياب النقد وما يلقاه من المدح والتملق من الحاشية والأدباء. وتحدث الماوردي في (نصيحة الملوك) وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً توجد منه نسخة وحيدة في المكتبة الوطنية في باريس. قرأه هادي العلوي البغدادي فقال: يقع الكتاب في ٩٨ ورقة مكتوبة بخط جيد يرجع تاريخ نسخه إلى عام ١٠٠٧ هجرية. وفيه يتحدث عن أسباب سقوط الحكام فأرجعها إلى سببين كبيرين هما الحكم الوراثي وغياب المعارضة. الأول لأنه يعطي السلطة للوريث دون النظر إلى مؤهلاته فينتج عنه ظهور حكام ضعفاء عديمي الكفاءة فيعجزون عن إدامة سير الدولة في طريق الازدهار فيقع الضعف والانحلال في أوصالها. أما المعارضة فغيابها يترك الحاكم يتمادى في فرديته فتتراكم أخطاؤه إذ لا يجد من يكشفها له بل إن المداحين من الحاشية والأدباء يطوقونه بهالات التبجيل والحكمة والعصمة فيصدق هو فيصبح خطؤه مأثرة وخطيئته إحساناً ولصوصيته إيثاراً واستبداده رحمة. وحسب الماوردي فالحاكم يقع فريسة أخطائه وأهوائه التي تتفاقم فتضع دولته على حافة الانهيار.

السرد بالأحلام... مقاربة لرواية (لا ريب فيه) لطاهرة علوي

علي كاظم داود

تستخدم رواية (لا ريب فيه) للكاتبة الإيرانية طاهرة علوي الأحلام وسيلة عرضٍ أساسيةٍ لتقديم مادتها الحكائية، وتنقسم الرواية إلى قسمين: يرى أحلام القسم الأول منها أصدقاء بطلة الرواية وساردتها في نفس الوقت، في حين ترى الساردة أحلام القسم الثاني في مناماتها.

الساردة شخصيةٌ مضطربة، تظهر في أحلام أصدقائها المخيفة أو المحذرة، كأن تركب فيلاً أعمى وأعرج ثم تقع من على ظهره، أو أن يحاصرها آلاف الإرهابيين ويصوبون أسلحتهم نحوها، كما في حلم صديقها الأفغاني، الذي يكرر عليها الحلم ذاته عدة مرات؛ لأنه يراه كلما ينام، يسرد لها التفاصيل دون أن يصل إلى النهاية السعيدة التي ترجوها. ثم تقول «من أفظع الأحلام التي يتفضل الأصدقاء برؤيتها لي هي الأحلام المحذرة»، ومع الأحلام المحذرة ينتابها القلق من أهوال قادمة، خصوصاً وأن الأصدقاء يحدثونها عن الخطر وكأنه حتمي الوقوع، ولهذا كانت هذه الأحلام أشدُّ وطأةً عليها من الأحلام المخيفة.

تحت ضغط هذه الأحلام المرعبة الموجّهةِ نحوها يطالبها الأصدقاء أن تبوح لهم بحقيقة ما تعيشه في الواقع، لكنهم يستغربون عندما تخبرهم بأنه لم يحدث شيءٌ سيّئٌ لها. وكأنها تقول أن حياتها من السوء بما يكفي إلى الحد الذي لا تحتاج فيه لسوءٍ مضاف. بالمقابل تفكر أحياناً في أن تطلب منهم أن لا يروا لها أحلامهم عنها مجدداً، لكنها لا تفعل، هذا مع معرفتها بأنها تبدو شخصيةً سلبيةً في كل الأحلام، في حين يكون الحالمون دائماً طيبين وأبطالاً ومحببين، ربما لأنها عرفت بأن الحقيقة قد تجسدت فيها، ولهذا تعترف أنَّ مرائي الأصدقاء كانت تحمل في طياتها قراءةً لحقيقة شخصيتها، فتقول: «عرفت نفسي في أحلام الأصدقاء، شخصيةً تمد يدها في جحرٍ لُدغت منه أكثر من مرّة، هذه هي أنا»، لكنها تؤدي وظيفتها الحكائية على أتم وجه، وتنقل التفاصيل المرعبة التي تسمعها بلغةٍ لا تخلو من التهكم والسخرية، كما لو أنها تريد كسر رتابة وقتامة السرد بروحِ الدعابة والفكاهة.

الجارة أيضاً كان لها نصيبٌ من الأحلام، لكنها بخلاف الجميع كانت تحمل لها تفاصيل مناماتٍ مُبهجة، الساردة كانت تسميها بـ «الأحلام خاطئة المقادير»؛ لأنها لا تتعلق بالواقع بل تختلف معه تماماً، بحسب وجهة نظرها. تحلم الجارة أنهما كانتا تسبحان في بحيرةٍ كبيرةٍ ماؤها نقيٌّ مثل الدمع، تغمرهما السعادة، والابتسامة لا تفارق شفتيهما، رغم ذلك تؤكد الساردة أن لا شيء سعيداً قد وقع في حياتها بتأثيرٍ من هذا الحلم، ولم يطرأ عليها أي تغيير، بل بقيت تسير كما كانت. لكننا نرى في وجود التشبيه بالدمع ما يدل على أنها سعادةٌ كاذبة، إذ كانت أيامها مشبعةً بحزنٍ نقيٍّ وخفيّ.

الأقرباء المتدينون كانوا يروون لها أحلاماً تدور أحداثها في الأماكن الدينية، أما الأقرباء البعيدون عن الدين فتكون أحلامهم عن تمضية الأوقات في المرح واللهو، في حين كانت تعاني كثيراً من ضغوط هذه الأحلام وتفسيراتها وتأثيراتها على مجريات حياتها، خصوصاً بسبب قربها من أجواء العائلة المريبة.

من خلال الأحلام ذات البعد الديني تسبر الرواية قضايا اجتماعيةً وآراءً تؤمن بها بعض الشخصيات، كما تقوم بتمثيل حالاتٍ اجتماعيةٍ نادرةٍ لها حضورٌ فريدٌ في الخيال الشعبي، مثل تلك المقولة الغريبة التي تفيد بأن أكبر نقيصةٍ قد تصيب الفتاة هي أن تتعلق بأبيها، والمتزوجة أن تحب زوجها، وكأنها تجسد رفضاً نسوياً للتعلق بالرجل والدخول تحت سلطته، أي الخروج من هيمنة الثقافة الأبوية الذكورية على المرأة، وهذه أحد مرتكزات السرد النسوي الساعي إلى بلورة هويةٍ أنثويةٍ مستقلة.

على خلاف القسم الأول من الرواية حيث يتكفل الأصدقاء والأقرباء بسرد الأحلام، تبدأ الساردة في القسم الثاني برؤية الأحلام بنفسها، حيث ترى جدتها في عدة أحلامٍ متسلسلة مخيفةٍ غالباً، سيكون لها انعكاسٌ كبيرٌ على واقعها، ويتحقق بعضها بشكلٍ ما. ثم تأخذ جدتها بتكليفها بإيصال «رسائل مختلفة إلى عدة أشخاص»، كأن تخبر إحداهن بأن تكف عن

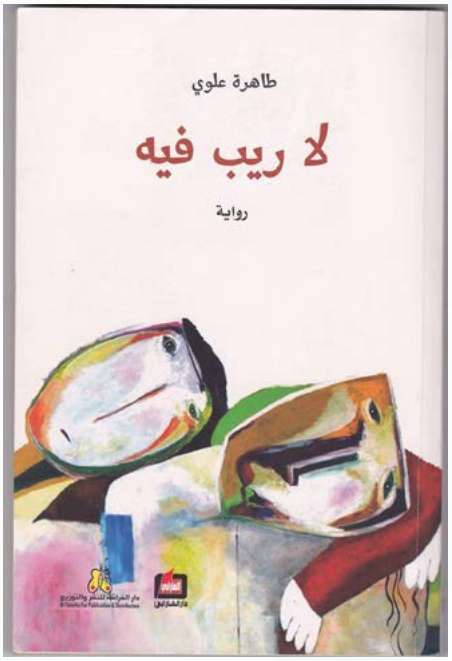

لبس السواد، أو أن تخبر أخرى بأن مرضها ليس خطيراً وعليها أن لا تخاف، أو أن تنهى ثالثة عن بيع بيتها وإلا سوف تندم. تعالج خلال ذلك بعض العادات والتقاليد السارية في المجتمعات الشرقية، كتلك التي تخص ملابس الحداد مثلاً.

تعاليم ونصائح وطلبات تتلقاها بشكلٍ شبه يومي وشبه طبيعي من جدتها التي تسكن في العالم الآخر، ويبدو للساردة أن الجدة تسعى لتصحيح أخطائها أو تصفية حساباتها من خلالها. في غضون ذلك تقوم الساردة برسم شخصية جدتها في حياتها، من خلال استعادة ما علِق بذاكرتها عنها، وبعد موتها، أي بحسب ما تراه في الأحلام الكثيرة التي تزورها فيها.

من أعقد المطالب التي ألحّت عليها الجدة وشددت على تنفيذها هي أن تدفع أحد الأقرباء، ويعمل طبيباً، على أن يقوم بإرجاع حق أخته لها، حيث كان قد استحوذ يوماً ما على حصتها من الإرث، ودفع لها سعراً أقل بكثير مما دفعه لإخوته الآخرين. وصل الأمر بالجدة إلى تهديد الحفيدة لأنها امتنعت عن الذهاب للطبيب، لأنه أمرٌ محرجٌ وصعب جداً عليها، فضلاً عن مضي مدةٍ طويلةٍ عليه، حتى أن الأخت نفسها لم تعد تهتمّ له، مثلما تبين لها عند اللقاء بها.

جدتها تحولت إلى كابوسٍ حقيقي، حتى صارت تهددها بأنها سوف تأخذها معها؛ لأنها لم تستطع إقناع الطبيب بما أرادت. صارت مجبرةً

على ملاحقته في منزله ومكان المستشفى الذي يعمل فيه، وحتى في الشارع بعد منعها من دخول تلك الأماكن، إلى أن لجأت يوماً إلى أسلوب التخويف له، وإدخال الرعب في نفسه؛ لعله يستجيب لها، فترتاح من تهديدات جدتها.

ترى الساردة أن للأحلام أحياناً «معانٍ نقع كلنا تحت تأثيرها»، لكن المشكلة أن أحلامها كانت تسيّر حياتها وتؤثر فيها بشكلٍ كبير، حتى أنها قالت في لحظة إدراك، أن «الارتباط القائم مع عالم الأرواح له حسناته ومساوئه»، ربما كان هذا الاعتراف قبل أن تعيش تجربتها السيئة مع جدتها، والتي أتت عليها بكل السوء الذي يمكن أن يتصوره فردٌ عن ذلك العالم.

ما يمكن استنطاقه من كل ذلك أن البطلة تريد أن تتحرر وأن تكون نافعةً في المجتمع وذات قيمة، لا أن تبقى شيئاً مهملاً أو ميتاً، بلا رأيٍ أو إرادة، تتحكم فيها إرادات الآخرين وأهواؤهم، تريد أن تكون مؤثرةً وفاعلةً؛ وحتى مخيفةً أحيانا إذا اقتضت الضرورة، تريد أن ترسم خطة حياتها بنفسها لا أن يرسمها الآخرون لها، مُذكّرةً على نحوٍ ما بالمقولة الشهيرة: «الآخرون هم الجحيم».

هذه الرواية من نمط الروايات الجديدة، أي أنها صنعت نسقها السردي الخاص بها ورؤيتها الفنية المختلفة، فبعد أن تخلّت عن الحبكة والخط الزمني المحدد، اتجهت إلى إيجاد المشترك التقني بين الأحداث، وهو الأحلام، وإلى ترسيخ حضور الشخصية المركزية الناظمة لها. وقد مثلت الساردة خيط الرواية الذي نُسجت حوله الحكايات، والشريك الدائم في كل مجريتها.

على عادة الأدب والسرد النسويّ نجد أنه يتخذ من ذات المرأة محوراً يدور حوله، كما لو أنها هي مركز العالم ومحور الحياة، ولا نجد فيه قضايا كبرى أو تمثيلات لإشكاليات إنسانية عامة، بل هموماً ومشكلاتٍ تخص المرأة في وسطها الاجتماعي الضاغط، ومحيطها الضيق والقامع، ولم تخرج رواية طاهرة علوي من هذه الميزة التي اتسم بها أدب المرأة، أي في المحصلة النهائية لن نجد شيئاً جديداً وراء الأكَمَة. لكنها بالمقابل تخلو من اللغة الشعرية والتسويف أو المماطلة الإنشائية في عرض الأحداث وتسعى للوصول إلى غايتها بأقصر الطرق السردية، أي أنها تقدم نموذجاً جيداً على مستوى الشكل الروائي. كما تتسم الرواية بسردٍ رشيقٍ ومختزل، يركز على إظهار الأحداث بوضوح، مع الحرص على شحنها ببعدٍ رمزي، فليس المقصود هو ظاهر الأحلام، بل ما يكمن خلفها من دلالات. لذلك فإن هذه الرواية تعد مجالاً خصباً لدارسي علم نفس الأدب، خصوصاً في مجال الرؤيا، حيث تقدم سيناريو مكتمل لحياةٍ غرائبيةٍ تتكفل الأحلام بتشكيلها وتسييرها، وقد كُرّست الرواية بأكملها من أجل ذلك، في بناءٍ سرديٍّ متماسكٍ وناجح، وهو أمرٌ جديرٌ بالالتفات والاهتمام. ومن أجل ذلك تعطي الرواية انطباعاً ايجابياً عن المستوى الذي وصلت إليه الرواية الإيرانية بشكلٍ عام، بوصفها ثقافةً روائيةً مختلفةً في تقاليدها وأساليبها عن الثقافة الروائية العربية.

* رواية (لا ريب فيه) لطاهرة علوي، ترجمة: أحمد حيدري، صادرة عن دار الفارابي في بيروت ودار الفراشة في الكويت عام ٢٠١٤.

نحن شعب الخيام والعراء.. يا صغيرتي

وداد نبي

لا تقفي طويلاً أمام العبارة..لا تستنكريها وترفعي
يدكِ عالياً لتطالي السماء معترضةً..
أتريدين أن تصرخي بوجهِ الطاغية أم بوجهي..
لتثبتِ أنك لست من شعوب الخيام..
لستِ من الغجر الذين يطوفون البلاد الغريبة دون
أن يكون لهم مسقط رأس بعد أن
فقدوا مسقط القلب..
أتريدين أن تتأكدي أن أهلك لم يكونوا منبوذين
من المدن التي سكنوها وأقاموا
فيها بيتاً وحديقة ومدرسة ومقهى تقاسموا فيه القهوة
والحب مع أصدقاؤهم..
لستُ أنا من أضافت اسمك لقوائم اللاجئين
بمفوضية الأمم المتحدة
لستُ من تضع اسمك بمخصصات الأغذية
والمساعدات حين التوزيع
لستُ من هجرتك من منزلكِ.. واستبدلتهُ بالخيمة
التي تحميك ، من مطر هذا الشتاء البليد الذي لم
يفهم معنى كلمة النازح بعد.
تحتاجُ الأرض والسماء يا صغيرتي
وهذا الكون البليد لمعرفة المعان الجديدة للحياة التي
نعيشها
بعد ذلك النزوح الكبير الذي أغرق البلاد..
لو عرفت السماء وجع النزوح وموت الصغار تحت
برد الخيمة بمخيم
(أطمة) لتوقفت عن برودتها وصقيعها.
لربما أدركت معان جديدة تدّبُ تحت غيمها الماطر
وحيوات تثقلُها البرودة
نحن شعب الخيام يا صغيرتي التي لم أنجبها بعد لهذا
العراء.
نحن شعب الخيام يا أهلي.. يا أصدقائي.. يا
أطفالي الذين لم أنجبهم بعد.
نحنُ الذين كانت لهم بلادٌ لا تصلحُ أن نطلق
عليها اسم الوطن
الوطن الذي عرفناهُ بقصائد محمود درويش ولوركا
وشيركو بيكه س.
لكنها كانت بلادٌ من طين وشجر وبيوت وأحبة
وذكريات
وطرق كثيرة ومتعرجة نتيه فيها حينما يضيق صدرنا
بالوجع
وحصى الوحشة التي لم تفارقنا يوماً سواء على تلة
مشته نور بـ كوباني
أو بأزقة الجديدة بالقرب من كنيسة الحطب
بحلب..
لكننا منذ أكثر من ثلاث أعوام تحولنا لشعوب
خيم ومنافي
ولا تجزعي يا صغيرتي..
يمكنك أن تستدلي على جذورك تبعاً للمخيم الذي
أتيت منه أمك
اسألي أباك..
من أي مخيم أتيت يا أبي.. من مخيمات لبنان أم
من مخيمات العراق؟.
من مخيمات تركيا أم من مخيمات الأردن؟.
ألم تأتي من تلك المخيمات.. إذاً كان أباك لاجئاً
بقلبٍ سريع العطب
الخيمةً يا صغيرتي أنبل من كل تلك الدول ..لا
تستهزئي بها
فهي أمك وأبوك وأختك وأخاك وصديقك وذكرى
من تحبينهُ حينما يتخلى عنك الجميع
لا تقفي طويلاً مرة أخرى.. حينما يصرخُ بك طفل
المدينة التي تسكنيها
ويهتف.. يا شعب الخيام..
فقط أرفعي رأسك عالياً كنخلة باتجاه الخيمة وقلبي
المعطوب هذا
ويمكنك أن تذرفي ما تشائين من الدموع..
سيغطي المطر دموعك كما غطى دموع أمك طويلاً
فسماء المخيمات كعادتها ستكون ماطرة..
تمطر بكثافة علينا نحن شعوب الخيام والمنافي
القاسية.. القاسية, يا إله الخيام.

أنا والذباب والحزب وأشياء أخرى

مصطفى تاج الدين الموسى

في طفولتي كان لدي هواية غريبة أمارسها بمتعة. طيلة النهار أتجول في حديقة البيت لأصطاد بيدي السريعة عشرات الذبابات وأجمعها في علبة كبريت. وفي المساء أصرخ على إخوتي وأبناء الجيران، ثم أرفع أمامهم علبة الكبريت، وأنتظر دقيقة وهم يحبسون أنفاسهم في صدورهم، ثم أفتحها فجأةً ..لتحلق الذبابات اللطيفة عالياً، وكأنها بالونات ملونة.. في مشهدٍ رائع ومنعش للروح (هكذا كنت أشعر).. والدتي حاربتْ هوايتي هذه بكل الوسائل وعندما يئست، جلست إلى جواري لتحاورني وتقنعني بأن هذه الكائنات قذرة، فشرحتُ لها آنذاك:

ـ الذبابة هي بالأصل كانت فراشة ملونة.. لكنها عندما أكلت من التفاحة المحرمة غضب الله عليها و..

لم تستوعب أمي فلسفة طفلها، لكن الرفيق والدي (وللأمانة) شجعني على ممارسة هوايتي، وقال لأمي أن هذه الهواية هي هواية بروليتارية بامتياز. لكن، أول قصة قصيرة كتبتها في ١٩٩٨ كانت عن ذبابة، بسردٍ سريالي مرتبك للغاية، ومنفر للأمانة، وعندما قرأها والدي قال لي:

ـ هل أنت ابني؟.. أم ابن كافكا؟..

في صيف ١٩٩٩ كنت بمعسكر للمواهب الأدبية في اتحاد شبيبة النظام، آخر يوم جاءت صبية جميلة ومعها مصور.. وفهمنا أنهما من برنامج للمنظمات الشعبية. مشرف المعسكر اقترح عليها أسماء بعض المراهقين، وكنت أحدهم. اقتربت مني، وريثما يجهز المصور آلته أجرت معي بروفة سريعة مكونة من أسئلة كلاسيكية، وكان أن سألتني:

ـ ما هي هواياتك؟..

أجبتها فوراً :

ـ اصطياد الذباب..

شهقت:

ـ أتتكلم جادّاً؟..

ـ وهل يوجد بيننا مزاح؟..

امتعضتْ وقالت لي بغضب:

ـ أثناء التصوير، قل من هواياتك: المطالعة الأدبية، وقد شجعني الحزب كثيراً واهتم بموهبتي..

ـ حاضر..

بدأ التصوير وأعادت عليّ نفس الأسئلة، إلى أن سألتني:

ـ ما هي هواياتك رفيق مصطفى؟..

أجبتها وبسرعة :

ـ من هواياتي الحركة التصحيحية.. وقد صلح الحزب حركاتي.. عفواً.. وقد حرك الحزب تصليحاتي.. عفواً.. وقد خرب الحزب.. عفواً.. وقد تحزب الحزب.. عفواً... و... و... و.....

يومها ارتبكتُ كثيراً، أما هي فكادت أن تصفعني، وظللتُ بعد ذلك لسنوات أتابع برامج المنظمات الشعبية على قناة البرنامج العام، لكن لم أشاهد اللقاء. والدي قال لي مرة، أن اللقاء عرض في برنامج (طرائف من العالم).

أقلعتُ عن هوايتي هذه منذ سنوات.

البارحة كنت في السوق عندما بدأت الاشتباكات، فرجعتُ إلى البيت مسرعاً، ثم دخلتُ باب البناء وأنا أتنفس الصعداء. شاهدتُ ابن الجيران وهو يصطاد الذباب وبمتعة في المدخل.. انحنيتُ إليه وقلت:

ـ الذبابات كائنات قذرة..

أجابني بغضب:

ـ لا يا عمو.. الذبابة بالأصل كانت فراشة ملونة، لكن الله عاقبها لأنها..

قاطعته :

ـ لأنها أكلتْ من التفاحة المحرمة..

ابتسم لي فرحاً وقد عثر أخيراً على من يفهم فلسفته، قبلته ثم صعدتُ الدرج، وقبل أن أغيب عن نظره ناداني (يا عمو) استدرتُ إليه، فقال بحزن:

ـ لا أحد يعرف ما قد يحدث لنا في الأيام القادمة.. قد أذبح في أي لحظة، مثل أطفال بانياس والبيضا.. لهذا، ياعمو.. الذبابات أمانة في رقبتك...

آلهةٌ لا تعرف الحُب

نص لـ: إيمان خير الدين

في طمي الوهم، هجعَ قلبٌ غارقٌ في صدر يجاهدُ لالتقاط أنفاس تطعن جوفهُ النازف لهاثا، وراء أمنيات مربوطة بحبل القدر ككلب أحرق. خرَّ على ركبتيه مُتعبا فوق قصاصاتٍ من الورق الموحِل كُتِبَ عليها (تابع جريَك فعينُ الآلهة ترعاك)، نظرَ إلى السماء باحِثا بعينيه عن تلك العين الراعية ثم ابتسم، وقفَ رغمَ صرير مفاصلهِ المرعب وتابعَ الجري. كان يقفزُ فوق طريقهِ الوعرة كالغراب دون أن ينظرَ إلى جذعِهِ المتكئ على قدم واحدة، فقد سقطت الأخرى في مصيدةٍ مُعدّةٍ لذئبٍ واسع الحيلةِ دون أن ينتبه، وحين أدركَ ما فقدَ توقف، وخرَّ على ركبةٍ واحدة فوق قصاصات الورق التي كُتِبَ عليها (تابع جريَك فعين الآلهة...)، نظرَ إلى السماء بعينين حمراوين كعينيّ ذئبٍ ساخط ولم يبتسم، وقفَ رغم ألآمه المبرحة وتابعَ الجري. لم يعد يقفزُ كما كان يفعل، تباطأت حركتهُ وصار يزحفُ على بطنهِ كسلحفاة دون درع، استخدمَ يديهِ كالقِردة ليحملَ جذعَه الدامي عبرَ حقول الشوك، بكى، لم يَعد لديهِ ركبتين يخرّ عليهما حين أعياهُ تعبُ المطاردة، سقط فوق قصاصات الورق التي كُتِبَ عليها (تابع زحفك فعينُ...)، نظرَ إلى السماء بعينٍ واحدة دامعة، لم يَقف، رغم وجع عظامهِ تابعَ الزحفَ وراءَ عظمَتِه المربوطة إلى حبل القدر. على يدٍ واحدة صارَ أثقل، سقطت ذراعهُ الأخرى حين تعلقَ بأقدام الراكضين مثله، لم تعُد عظمة القدر تُغريه، راحَ يبحث في القفار البعيدة عن ركن يحضن ما تبقى منه، لم يجد سوى قصاصات الورق التي كُتِبَ عليها (تابع زحفك...)، لم ينظر إلى السماء لأنّه لم يعُد يراها، وتابع زحفه تحوّلَ إلى حلزون لزِج مُقرفٍ برأس إنسان، يتركُ مُخاطهُ علامةَ ذلهِ على أماكن زحفه، يستظِلُ تحت صخور ناتئة من حرِّ الزمن، مُتسائلا أين عنهُ عين آلهتهُ التي ترعاه؟ في كسرات الزجاج المزروعة حولهُ كسياج حاول النظرَ إلى السماء خلسة، لكن عينهُ التقت فجأة بعين الآلهة فاختبأ تحت قصاصات الورق التي كتب عليها (تابع...)، خرجَ من تحت الصخور، نظرَ إلى السماء صارخا : (احملني!)، أدارَ الإلهُ ظهرهُ وراحَ يوزعُ قصاصات الورق التي كتبَ عليها (مُت، فعين الآلهة لم تعد ترعاك).

شذراتٌ مني. . . .شذراتٌ منها. . . .

حسين خليفة

تركتُ فيكِ حيرتي
تركتِ فيَّ
حيرتي
* * *

على هامشي كتبتُكِ
صار الهامشُ متناً
* * *

قال لها: أنتِ مختصري المفيد
* * *

وقال: سأعزفكِ
كناي تجتاحُه أنفاسُ راعٍ جبلي
* * *

كنتُ أريدُكِ دائماً
امرأةً منزوعة الحزن
* * *

على أحرَّ من قافيةٍ انتظرتُكِ
وحين جئتِ
كسرتِ الوزن والقافية
صرتُ نثراً مملاً
بلا مجاز ولا حبّ ولا حرب
صرتُ
(جدولاً لا ماء فيه)
* * *

حاولتُ وِردَكِ مرة
فما وردني سوى العطش
* * *

وما الورد سوى
من ملابسات عطركِ
* * *

وقلت لكِ ذات غناء:
آن لكرمِكِ أن يعتصرني
* * *

تأخَّري عليَّ ما شئت
أريد أن أربّي المزيد
من اللّهفة
* * *

وما زلتُ كما عرفتِني
إشارةَ استفهام
على غلاف كتابك
* * *

المشهدُ واضح
امرأةٌ تعلّقُني على حبل غسيلها
وأنا أذرف روحي شهقةً شهقة
* * *

وإنكِ لعلى إغواءٍ عظيم
* * *

قلتُ: دثّريني بطيشك
قبل اللقاء
وبعده. . .
أنتِ أغنيتي الوثيرة
* * *

وها أنا ذا
مشيتُ حتى قطعت الأربعين
قستُ بساط السهول
كلَّلْتُ الجبالَ بثلجي وريحي
وختمتُ لآليء البحر
... ولم أجد سواكِ روايةً تستحق
أن
تروى
سأرويكِ ذات سحاب
* * *

تتلعثمُ شفاهي
فقط
حين
تتعثر بشفاهِكِ
* * *

(تحتاجُ نظارتين. . .
واحدةً لقراءة الحرف
وأخرى
لقراءتها. . .)
قال لي طبيب العيون. ..
* * *

(هي أبجديةٌ
لا تُرى بالعين المجردة)
قال الطبيب
* * *

خففي الوطء
فما على أديمي
سوى أنتِ
وبقايا وطن
* * *

وما زال يقترف الشعر
ما زلتِ تقترفين الأنوثة
* * *

لم أشرب بعد من ينابيعكِ
حتى
تجفّي
* * *

وذات امرأةٍ نديةٍ كبحر
لم أعدّ لها صباحاً يليق بشروقها
فنكّستْ أقمارَها
ونامت. .
* * *

ولأنكِ صمتٌ
عقدَ الكلامُ حاجبيه
وأضربَ عن القصيدة
* * *

تعالي
أعددتُ لكِ
طبقاً
من لهفة
* * *

في الطريق إلى نبيذك
صعوداً
لم أعرف التعب
* * *

في انكسارات الكأس لمحْتُ وجهَكِ
الفودكا حمالة وجوه
* * *

كنتُ أجسُّ نبض شوارعَ يعلوها الغبار والدخان
الشوارع التي كنت أشتكي من صمتها نطقت
أخيراً
لا يهم أنها تتأتىء
المهم أنها نطقت
* * *

بعد كل رشفة نبيذ
يزيد منسوبُك في دمي
* * *

أنا احتمالك
أنت يقيني
* * *

خذوا المعنى
لا مكان له في قلب الشاعر
* * *

وأخيراً
ذاب ثلجي
فبان مرجك
* * *

دثّريني بأزرقكِ
فاني باهتٌ حتى
الرماد

الطائفة

أنتِ بتقرر